

روزنامه

محمد الرطبان

مكتبة | 235

رُوزَنَامَةٌ

الكتاب: رُوْزَنَامَة

المؤلف: محمّد الرطيان

التصنيف: تاريخ

الناشر: دار مدارك للنشر

الطبعة الأولى: مارس (آذار) 2017

الطبعة الثانية: أغسطس (آب) 2017

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: 8 - 897 - 429 - 614 - 978 ISBN:

تصميم الغلاف: عبدالرحمن الفايز

طبع في  دار مدارك للنشر
الدار العربية للطباعة والنشر
MADAREK PUBLISHING & PRINTING HOUSE
الجوال / 063 110 063 +966

Madarek

Madarek Publishing House

M

مدارك

دار مدارك للنشر

محمّد الرطبيّان

رُوزْنامَة

للمزيد والجديد من الكتب والروايات

تابعوا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

telegram @ktabpdf

الأيام

مدخل

مقدمة أولى

مقدمة ثانية

1 يناير | العالم يشعر بالدوار

4 يناير | الشعب يريد إسقاط النظام

7 يناير | رسالة لهذا الغرب العاطفي

13 يناير | سيرك

23 يناير | الأجهزة.. عندما تخدع نفسها!

25 يناير | عن مصر التي أحبها

26 يناير | رائحة ولون وطعم

31 يناير | طفرة النفط طفرة الحرية

1 فبراير | يا «سيف الدولة»: لا حليب في حلب

8 فبراير | اذهب مباشرة إليها، وعانقها

10 فبراير | شارك في صنع القرار

11 فبراير | توماس أديسون

12 فبراير | قصص وموز

14 فبراير | عيد الحب

21 فبراير | على السلم الموسيقي لأغنية حرة

25 فبراير | الكتابة بالأخضر عن الأزرق

1 مارس | إبادة

5 مارس | الجلاء

8 مارس | لا ترم الناس.. واضربها بوردة!

9 مارس | في ميدان التحرير: حرية / ديمقراطية / ثورة / انقلاب!

10 مارس | الفزاعة

18 مارس | كتابة على الجدران

1 أبريل | صدق أبريل

5 أبريل | التيار الشعبي في السعودية.

9 أبريل | قرية كبيرة / مدينة صغيرة

- 25 أبريل | رسالة مفتوحة إلى سمو الأمير
- 30 أبريل | الضمان أدولف هتلر
- 2 مايو | لا رأي لـ «الرأي العام»!
- 3 مايو | 20 نصيحة لكتابة مقال سيمنع من النشر!
- 13 مايو | عقدة «الخطوط»
- 20 مايو | ريموت كنترول
- 26 مايو | عزيزي القارئ: تحسس أنفك.. وعقلك
- 2 يونيو | ملاكمة وغولف
- 21 يونيو | «راجع، والوحش
- 26 يونيو | الإرهابي نيلسون مانديلا!
- 27 يونيو | هنا «قطر» من الجزيرة!
- 3 يوليو | الجمهور
- 6 يوليو | النبي والطاغية
- 8 يوليو | قتل بشع.. وقتل أنيق
- 15 يوليو | محمد بن راشد «يرويه».. ويرويها
- 22 يوليو | الحديث ذو «سجون»!

- 23 يوليو | لله درك يا بن عبد العزيز
- 1 أغسطس | السلطة الأكثر شراسة
- 6 أغسطس | «روبوت».. من لحم ودم
- 10 أغسطس | خطاب إلى الوطن
- 12 أغسطس | انتماء وولاء
- 15 أغسطس | مقال قصير جداً عن رجل طويل جداً
- 1 سبتمبر | مانشيت
- 17 سبتمبر | حنين
- 23 سبتمبر | 23 سبتمبر
- 24 سبتمبر | حوار صحفي مع «كورونا»
- 25 سبتمبر | نتيجة الفحص
- 7 أكتوبر | حارس المرمى
- 15 أكتوبر | بين الهوا والهوى
- 16 أكتوبر | خبز الكتابة / كتابة الخبز!
- 22 أكتوبر | سلطان العلماء وعلم السلاطين
- 28 أكتوبر | تمثال

- 30 أكتوبر | عن اللعبة التي أحب
- 1 نوفمبر | الخيانة.. وخلف ظهرك رُومٌ
- 4 نوفمبر | غسيل مخ!
- 9 نوفمبر | من الذي دفع للزمار؟
- 18 نوفمبر | كاميرا
- 29 نوفمبر | اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني.
- 1 ديسمبر | هذه الـ«لا» الفاتنة
- 9 ديسمبر | السيد «فساد» يتألق!
- 10 ديسمبر | قف
- 13 ديسمبر | طريق!
- 31 ديسمبر | توأم: خمس دقائق.. وعقل
- روزنامة متخيلة | تاريخ المستقبل!
- مقدمة ثالثة | هذا الكتاب لا يعينك!

مدخل

استقبل الماضي.. لتمضي إلى المستقبل!

مقدمة أولى

التاريخ ليس رفاهية، أو حكاية مسلية يرويها جد لأحفاده.
التاريخ: مرآة صنعها «الأمس» ليرى فيها «اليوم» وجهه «غداً»!

كي نعرف: إلى أين نحن ذاهبون؟

علينا أن نعرف: من أين أتينا؟

من لا يقرأ التاريخ، لا يرى المستقبل!

مقدمة ثانية

لا يوجد إنسان منذ بدء الخليقة لم تراوده الكتابة عن نفسه:
منذ الإنسان الأول الذي ترك نقوشه على جدران الكهوف.. إلى
إنسان الألفية الثالثة الذي يخربش على لوح معدني إلكتروني. مروراً
بالبخاخ الذي يحمله ولد مراهق، والقلم الملوّن الذي وقع به أحد
العابرين على جدار استراحة متواضعة في منطقة نائية: الإنسان يريد
أن يقول رأيه.

لماذا تنزعجون عندما نقول آراءنا؟.. لماذا تخافون من الكلمات؟

وحدهم الطغاة يكرهون الكتابة، ويخافون من تأثيرها.
وحدهم الظلاميون والجهلة لا يرون سحرها ونورها.

العبيد لا يجيدون الكتابة..

الكتابة: حرية!

1

يناير / كانون الثاني

[1 يناير]

- «العالم» يشعر بالدوار..

أرهقته سهرة البارحة، وضجيج رأس السنة، وتوقعات المنجمين، وثلاث - أو: ربما خمس - كؤوس شرب آخرها برفقة دواء جديد.. تقول شركات الأدوية إنه سيُمكنه من ممارسة الجنس والضحك بشكل متواصل خلال الـ 24 ساعة!

- دَخَلَت السنة الجديدة، ووجدت «العالم» يبحث في الخزانة عن قرص «بنادول»!

- بعد أن تناول إفطاره المملّب، يُفكّر «العالم» بكتابة قصيدة إلكترونية عبر برنامج جديد قال له المتجر الإلكتروني إنه برنامج شعري.. يتراجع «العالم» عن هذه الفكرة... يطالع أخبار اليوم عبر هاتفه الذكي:

- مقتل (17) في حادثة قطار.
- انفجار في الشرق الأوسط أودى بحياة (43) شخصًا.
- مصرع (239) شخصًا إثر سقوط طائرة.
- أكثر من 18 ألف طفل يموتون جوعاً كل يوم في العالم.
- فايروس جديد يحصد عشرات الأرواح في أفريقيا.

يتمتم «العالم»: تياً لوسائل الإعلام والقنوات الإخبارية، هؤلاء بشر..
وليسوا أرقاماً!

- يخطط «العالم» هذا المساء للذهاب إلى السينما لمشاهدة فيلم
رعب جديد: تدور أحداثه حول تحكّم بعض الآلات بما تبقى من البشر
وتحويلهم إلى عبيد!

- «العالم» يفكّر بنزع رأسه واستبداله بشريحة إلكترونية!

[2 يناير]

س: متى يكون الجوع خيراً من الشبع؟
ج: لم ولن يكن الجوع خيراً من الشبع، إلا في حالتين:
صوم مؤمن، واضراب حرّ عن الطعام!

[3 يناير]

. أيهما أفضل: أن تعيش بذل، أو أن تموت بشرف؟
. ألا يوجد خيار ثالث؟ ... مثلاً: أن نعيش بشرف!

[4 يناير] على إيقاع: الشعب.. يُريد.. إسقاط.. النظام

في مثل هذا اليوم 4 يناير من عام 2011 مات!

مضت أكثر من ست سنوات على نشر هذا الخبر الصغير الذي لم يتخيّل أي أحد مدى أهميته وتأثيره. عود كبريت صغير أشعله رجل مجهول:

بعضهم قال إنه «أضاء» المنطقة، وبعضهم الآخر يرى أنه «أحرقها»! لم يتخيّل أكبر المتشائمين/ أو المتفائلين، أن ضوءه/ أو حريقه سيمتد لكل الجهات.
يقول الخبر:

قام اليوم (الجمعة 2010/12/17م) شاب تونسي اسمه محمد البوعزيزي بإضرام النار في نفسه أمام مقر ولاية سيدي بوزيد احتجاجاً على مصادرة السلطات في بلدية المدينة لعربة كان يبيع عليها الخضار والفواكه لكسب رزقه، وللتنديد برفض سلطات المدينة قبول شكوى أراد تقديمها ضد الشرطة فادية حمدي التي صفعتها أمام الملأ، وقالت له: ارحل.
صارت «ارحل» شعاراً للثورات (أو قل: انتفاضات الغضب) العربية.
صار اليوم الذي أحرق نفسه فيه «الجمعة» يوماً مفضلاً للاعتصامات والمظاهرات.

(1)

لو خرج البوعزيزي من قبره، ونظر إلى المشهد العربي لأصابه
الذهول مما يحدث - ومما حدث - ومما سيحدث، ولقال
باستغراب كبير: يا إلهي.. هل فعلت كل هذا؟!.. ثمَّ يدخلُ بعدها في
غيبوبة طويلة من هول الصدمة!

تعالوا لتخيّل اختلافاً بسيطاً في المشهد:

يذهب البوعزيزي إلى قسم الشرطة، تستقبله الشرطة بابتسامة
طيبة بدلاً من صفعه على وجهه، يأمر المسؤول بإعادة عربة الخضار
إليه... انتهى المشهد.

ما الذي سيحدث؟.. هل ستشتعل الثورة، وتمتد نيرانها إلى جهات
عربية أخرى؟..

هل ستغيّر عربة التاريخ وجهتها باختلاف وجهة عربة خضار
البوعزيزي؟

هل اختلاف أبطال المشهد (البوعزيزي/ عربة الخضار/ الشرطة)
سيجعل المشهد يتغيّر تماماً؟

الحقيقة: أن عربة التاريخ لن توقفها ابتسامة الشرطة، ولطف
المسؤول الاستثنائي.

الحقيقة: أن الزمن تغيّر، وأدواته تغيّرت، ووسائل التعبير تغيّرت،
وكبرت الفجوة بين الدولة العربية ومواطنيها. (هذا إذا اتفقنا أن
الدولة العربية «دولة» ورعاياها «مواطنون» بما تعنيه الكلمة!).

الحقيقة: أنه ليس بإمكان أي أحد أن يقف في وجه السنن الكونية، ولا

تستطيع كل الحُفرو (المطبات) التي تملأ الشوارع العربية أن تُوقف العربية أو تُغيّر مسارها.

الحقيقة: أنه سيأتي (بوعزيزي) آخر - وباسم مختلف - ليشعل الشرارة الأولى، التي ستمتد ناراها لشوارع عربية أخرى قابلة للاشتعال!

(2)

الربيع العربي لم ينجبه الوعي، بل وُلد من رحم الغضب.. لهذا: كان طفلاً غير مكتمل النمو!

(3)

أول مَنْ استخدم تعريف «الربيع العربي» لوصف ما يحدث في عالمنا العربي هي وسائل الإعلام الغربية. التعريف لم يكن جديداً.. بدأ أول مرة مع محاولات تشيكوسلوفاكيا عام 1968م للتخلص من سيطرة الاتحاد السوفييتي وتحكمه، وسُمِّي في وقتها «ربيع براغ»، وكانت بدايته في عز الشتاء - بالضبط مثلما حدث مع الربيع العربي - فلا علاقة للفصول العادية التي نعرفها بالوصف: الحرية تختار فصولها كما تشاء، ويشاء الأحرار.

ربيع براغ: انتهى بعد ثمانية أشهر بعد أن سحقته الدبابات السوفييتية.

الربيع العربي: سحقه الجهل، والمال، و«ثقافة الاستبداد».. التي لا تسقط بسقوط المستبد.

(4)

لن يكون هناك ربيع على الأرض، إن لم يزهر ربيع العقل.

(5)

أغلب الشعوب العربية كانت تصرخ في الميادين: الشعب يريد إسقاط (النظام) ..

أليس من المفترض أن تكون الصرخة بهذا الشكل: الشعب يريد إسقاط (الفضوى)؟!

- سيقول أحدهم: لعل (الفضوى) المقبلة أرحم من (النظام) العربي!
أحياناً..

الفضوى: شكل من أشكال النظام السريّة.
والنظام: شكل من أشكال الفضوى المعلنة!

(6)

سقط بن علي، سقط مبارك، سقط القذافي، سقط علي عبدالله صالح، وسيسقط آخرون: وماذا بعد؟

الأهم من سقوط «المستبد» هو سقوط «ثقافة الاستبداد» التي أنتجته..

طالما هي موجودة، ستنتج غيره بأشكال وطرق وعناوين مختلفة!

هل سقطوا بسبب تراكم الغضب، أم بسبب تراكم الوعي؟
انظر حولك: ستجد أن الذي شارك بنزع المستبد القديم مشغول الآن
بصناعة مستبد جديد!

مكتبة الرمحي أحمد

(7)

مضى أكثر من ست سنوات على إشعال عود الكبريت الأول، وما يزال
الدخان يتصاعد من كل الجهات، وما يزال هناك جمر تحت الرماد..
سنوات فيها الكثير من الدم والفضوى، والقليل من الوعي والحرية.
عود كبريت « أشعل » الغضب، ولكنه هل «أضاء» الوعي في عممة الجهل
والتخلف؟

هل انتهى الربيع العربي؟.. أو إنه لم يُولد أصلاً، وكل ما حدث لم يكن
سوى حمل كاذب؟!

هناك عبارة تُنسب لرئيس وزراء تشيكوسلوفاكيا الذي أطاح به
الروس في «ربيع براغ».. يقول فيها:

قد تستطيع أن تظلم الأزهار.. لكنك حتماً لن تؤخر الربيع!

[5 يناير]

كل شعب يمجد اللصوص، والانتهازيين ويصفق لأنصاف الموهوبين،
ويضعهم في المقدمة، ويسميهم «نخبة»: يستحق ما هو فيه من بؤس
وشقاء!

[6 يناير : اليوم العالمي لیتامی الحروب]

الحرب: العالم ينزع رأسه، ويستبدله بحذاء عسكري!

[7 يناير]

رسالة لهذا الغرب العاطفي!

(1)

أطفال سورية يموتون في الملاجئ من البرد.
محرورو صحيفة شارلي إبدو ماتوا في قاعة مكيفة وعلى مكاتبهم
الأنيقة.

لا فرق بين موت وموت.. الفرق يكمن في الحياة.

أطفال سورية ماتوا في لعبة لم يفهموها، وحرب قذرة لم يستوعبوا
أسبابها، ولم يكن لهم موقف تجاهها .

محرورو الصحيفة الفرنسية ماتوا لأن لديهم موقفاً، وأصروا على
نشره على خطورته واستفزازه لأكثر من مليار مسلم حول العالم،
منهم: 6 ملايين يعيشون في فرنسا.

أطفال سورية تجمدوا في العراء والعالم يتفرج على جثثهم في خبر
سريع لا يحظى بأكثر من دقيقة من وقت البث.

محرورو الصحيفة سيطروا على ساعات البث بالكامل، وزعماء العالم
«الأول» يتسابقون للإدلاء بتصريحاتهم الشاجبة المستنكرة.. يقولونها

بحزن شديد ومرارة، وبلغة قوية أحياناً.

أوباما وقف دقيقة صمت لضحايا الصحيفة... ولم يقف ولو لثوانٍ من أجل أطفال سورية.

بوتين أدان ما حدث ووصفه بالجريمة الشنعاء... طبعاً يتحدث عن ما جرى في الصحيفة... أما ما جرى لأطفال سورية فالعالم كله يعلم أنه شريك فيه: كيف تكون إنسانياً في جهة وقاتلاً في الجهة الأخرى!! لا فرق بين موت وموت.. الفرق يكمن في الحياة.

(2)

العاملون في الصحيفة الفرنسية:

قتلهم إرهابيون متوترون متطرفون.

أطفال سورية:

قتلتهم دول وأنظمة وأجهزة استخباراتية وجماعات شارك بصناعتها

مؤسسات ودول يديرها أناس عقلاء... وفي الأخير، يُتهم البرد

بقتلهم!

لا فرق بين موت وموت.. الفرق يكمن في الحياة.

(3)

في نفس ذلك اليوم:

قتلى على الحدود السعودية.

قتلى في انفجار في العراق.

عشرات القتلى في صنعاء.

قتلى في سورية ولبنان وليبيا ومصر وفلسطين.

إبادات هنا وهناك وعلى امتداد خارطتنا الدموية.

و.. قتلى في باريس.

لا فرق بين موت وموت، ولكن.. هل هنالك فرق بين قتيل وقتيل؟..
أحياناً: نعم!

(4)

هذا الغرب العظيم الرائع الذي قدّم للبشرية الكثير من المنجزات
والابتكارات الرائعة: إنسانيته فيها خلل!
يحزن في الوقت الذي يختاره، ويذرف دموعه على مشهد واحد وينسى
بقية المشاهد.

هذا «الغرب» يتسمّر أمام الشاشة ليتابع بقلق عملية إنقاذ قطة
صغيرة علقت في أعلى الشجرة، ولا تكاد تكمل المذيعة الخبر لشدة
حزنها... وفي الخبر التالي تقول دون أن يهتز لها طرف: إن ثلث من
جنود الغرب أبادوا قرية كاملة في أفغانستان لـ (شكهم) بوجود
«إرهابي» في حفل زواج في تلك القرية!
أنا لا أصدق هذه الإنسانية التي يهزها موت قطة ولا تهتز لإبادة قرية
كاملة.

لا أصدق الحزن الذي لم يحزن بسبب سقوط أسقف البيوت على
رؤوس أطفال غزة طوال شهر كامل.

فتش أيها «الغرب» الجميل بقوائم قتلاك، وقارن بينها وبين قتلى
الشرق... سيفزعك الفرق في عدد الجثث التي تتركها وراءك!
كان، وما يزال، يأتي إليك «الشرق» - في الغالب - بحثاً عن العمل
الشريف والمعرفة والحياة الآمنة.. وتمنحها له.

وكنت تأتي إليه - في الغالب - قاتلاً ومحتلاً وسارقاً لثرواته.

كم قتلت منه خلال القرون الخمسة الماضية؟

هل ساورك الشك أنني في هذه اللحظة أبرر للقتل؟ لا.. لا.. أنا أكره القتل أيا كانت هوياتهم وأفكارهم التي تحركهم.. أكره القاتل حين يأتي على هيئة إرهابي تجره أفكاره المتطرفة وغضبه المتراكم، أو جندي غربي تجره حاملة طائرات عبرت المحيطات لترسل جيشاً مدججاً بأحدث آلات القتل... لا أبرر، أنا أريد أن أنبهك على المشهد الذي تعيش داخله ولا تراه بكامل زواياه.. أنبهك لإنسانيتك المفاقة تلك التي تحزن لجريمة قتل هنا، وتشارك هناك بملايين الجرائم القاتلة... لم أعد أهتم لقتلاك، فقتلى الشرق في كل الزوايا، وأنت كما تعلم شريك في كل ما يحدث: ساندت الكثير من الدكتاتوريات والأنظمة المستبدة، يوجد في كل بيت قتيل بسبب أسلحتك الفتاكة، شاركت في نهب كل ما يملك الآخر، لديك - على كل ما تدعيه من نبذ للعنصرية - تلك النظرة التي ترى الآخر أقل!

(5)

خذا مني أيها «العرب» المذهل الفنان المبدع المبتكر الملون المتلون:
كل نار تشعلها في هذا العالم سيصل إليك لهيبها ولو بعد حين!

في مثل هذا اليوم 7 يناير 2015 وقع الهجوم على صحيفة شارلي إبدو مسفراً عن مقتل 12 شخصاً، من بينهم 8 أشخاص من المساهمين في المجلة الأسبوعية.

[8 يناير]

لا تحتاج إلى أن تعرف اسم القاتل وشكله وهويته..
أو اسم القتل بلا ذنب، لتحدد موقفك من القتل.
العنصريون والطائفيون وحدهم هم من يبحثون عن هوية القتل
ليحددوا موقفهم من دمه!

[9 يناير]

السجين يأكل ويشرب ويتنفس.. وأنت كذلك.
السجين يُجبر على نظام معين.. وأنت كذلك.
السجين له موقف اعتقد به ودفع ثمنه، وأنت... لست كذلك!

أيكما: السجين؟

[10 يناير]

الظلم..
يجعل المخالب تنمو على
أطراف أكثر الأنامل رقة!

[11 يناير]

حدث في مثل هذا اليوم من عام 1992 «الشاذلي بن جديد» يترك
السلطة، ويتخلى عن رئاسة الجزائر. ومجلس الأمن الأعلى بالجزائر
يلفي الجولة الثانية من الانتخابات التشريعية بعد الفوز الساحق الذي

حققته الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجولة الأولى. لتدخل الجزائر بعدها بموجة من العنف والحرب الأهلية استمرت سنوات. ومن تداعيات هذه الحرب في نفس اليوم 11 يناير عام 1998 وقعت مذبحه سيدي حامد التي أدت إلى سقوط أكثر من 100 قتيل.

[12 يناير]

تستطيع أن تروض الأسد وتحوله من ملك غابة إلى مهرج في سيرك. لكنك لا تستطيع أن تحول المهرج إلى أسد!

[13 يناير]

سيرك

(1)

منذ طفولتي، وحتى اليوم، لم تكن تضحكني فقرة «المهرج» في السيرك، على العكس تماماً: كنت أحزن لهذا الرجل الذي يرتدي الملابس المزركشة الغريبة ويصبغ وجهه بالألوان الصارخة ليؤدي بعد ذلك بعض الحركات الغبية لإضحاك الجمهور. حين كبرت اكتشفت أن الحياة مليئة بالمهرجين.. ولكنهم لا يصبغون وجوههم (يكتفون بلبس الأفتنة) وملابسهم أنيقة وبعضهم أكثر شهرة وحضوراً وسطوة من مهرج السيرك البائس!

(2)

أكثر فقرة أحببتها في السيرك هي الفقرة المثيرة التي ينتقل فيها

لاعب السيرك من مكان آمن إلى آخر عبر حبل رفيع مربوط في الأعلى لا يساعده في هذه المهمة - ويحفظ له توازنه - حتى لا يسقط سوى العصا التي يحملها بيديه: أراه أشبه بكاتب جريء. والعصا: قلمه. والمسافة الخطرة: النص الذي يكتبه. من يومها وأنا أحب الكتابة على حافة الأشياء!

(3)

الحياة أشبه بسيرك:

- هذا يعيش حياته على الحافة دائماً، ويسير على خيط رفيع مربوط في الأعلى، مُعلق بين السماء والأرض، ومهدد بالسقوط في أي لحظة وعند كل خطوة.. حياته: مغامرة مستمرة!
- وذاك أشبه بساحر: يمنحنا الوهم.. ويُخرج «الأرانب» من قبعته السحرية!
- وثالث مهمته في الحياة حمل السوط لترويض الأسود المفترسة وإدخالها الزنزانة.
- وآخر ليس سوى مُهرج يظن أننا نضحك منه ونحن نضحك عليه: يمكنك أن تراه في كل مكان وبأسماء وأشكال مختلفة!

(4)

- ما الفرق بين السياسي وساحر السيرك؟
- الساحر يُخرج الأرانب من قبعته، والسياسي تجد «الأرانب» في تصريحاته.. ومحفظته!

(والأرنب، في اللهجة المصرية: المليون، وفي اللهجة السعودية: الكذبة).

- أرناب الساحر وديعة وأليفة، أرناب السياسي شرسة ومتوحشة.
- عصا الساحر تتحوّل إلى مناديل ملوّنة.. عصا السياسي تتحوّل إلى سوط!

(5)

السيرك ليس هؤلاء النجوم الذين يتقافزون أمامك على المسرح ليدهشوك ويخطفوا أنفاسك بألعابهم ومهاراتهم العجيبة.. السيرك هو أناس وراء الكواليس يتحكمون بكل هذا المشهد، ويصنعون لك في كل زاوية مُهرجاً ليضحكك وببكيك.. وأنت: تجلس بين الجمهور تصفق، وترتجف أحياناً من صوت سوط مروّض الأسود!

(6)

أشعر أحياناً أنني - دون أن أعلم - جزء من هذا السيرك..
هذا الأمر يرعبني، ويجعلني أفكر بالتوقف!

في مثل هذا اليوم 13 يناير عام 1966 بدأت عروض السيرك الأشهر في العالم العربي «السيرك القومي المصري»، ومن أشهر القصص التي حدثت خلال أحد عروضه وأغربها: انقضاض الأسد (سلطان) أمام الجمهور على مدربه (محمد الحلو) وقبل أن يموت متأثراً بجراحه أوصى ألا يُقتل الأسد. يقال إن الأسد دخل في إضراب عن الطعام، كأنه يعاقب نفسه على ما فعله بمدربه، ثم صار يلتهم نفسه حتى مات منتحراً!

[14 يناير]

في مثل هذا اليوم من عام 2011 أجبر الرئيس التونسي «زين العابدين بن علي» على التنحي عن حكم تونس. سيقول التاريخ:

البوعزيزي لم يشعل النار في جسده فحسب.. بل أشعل المنطقة بأكملها.

البوعزيزي لم يكن يجر عربة الخضار.. بل كان يجر عربة التاريخ!

[15 يناير]

في مثل هذا اليوم 15 يناير 1902 دخل الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود إلى «الرياض» لتبدأ الخطوة الأولى في طريق طويلة وجريئة تنتهي بتأسيس الدولة السعودية الثالثة.

[16 يناير]

تحرك، واذهب إليه:
المستقبل لا يأتي إليك هنا.
إنه ينتظرك..... هناك!

[17 يناير]

كلما قلَّ عدد الذين يعرفونك، ازدادت حريتك.
الذين لا يعرفهم أحد، ولا يُنتظر منهم أي شيء، هم الأكثر حرية في
هذا العالم!

الناس: قيود.

[18 يناير]

قالت الهراوة والدم يسيل منها:
ذات يوم كنت غصناً على شجرة تأتي العصافير لتبني أعشاشها
فوقي وتغني بحرية. شوهتني السياسة.. صرت عصا الشرطي التي
يُفرِّق بها المظاهرة.
ليتني كنت حطباً في موقد تشعله أرملة لأطفالها!

[19 يناير]

في مثل هذا اليوم عام 2007 اغتيل الصحفي التركي ذو الأصول
الأرمنية «هرانت دينك» أمام مقر صحيفة أغوس التي يرأس
تحريرها، وذلك لمطالبته الدائمة بإدانة إبادة الأتراك للأرمن أثناء
الحرب العالمية الأولى.

[20 يناير]

الحُر لا يتباهى بحريته.. لأنه يراها أمراً طبيعياً.

[21 يناير]

البلاد التي تمنح القيود للشرفاء، والامتيازات للصوص: هي في طريقها إلى الخراب.

بلاد لم تفهم الماضي، ولن تصل إلى المستقبل!

[22 يناير]

ليست كل خديعة تتعرض لها دليلاً على طبيبتك وحسن ظنك.. عليك أن تعترف: أحياناً.. أنت أحمق، ومن السهل خداعك!

[23 يناير]

الأجهزة.. عندما تخذع نفسها!

لا بد أن لدى «المسؤول» - أو صانع القرار - أجهزة ومؤسّسات تتابع النبض العام، ويحدد من خلالها توجهات «الرأي العام» ومدى غضبه - أو رضاه - تجاه حدث أو قرار ما، وعلى ضوءها يقرر ما يجب عمله، وما الوسائل الناجعة لإزالة هذا الاحتقان - إن وجد - أو علاج مشكلة ما.. هي أجهزة أشبه بـ «ترموتر» تقيس حرارة «الشارع»، ويعرف من خلالها الداء والدواء المناسب له.

مصيبة: إن لم يكن لهذه الأجهزة وجود.. سوى في خيالي!

مصيبة أكبر: إذا كانت موجودة، ولكنها تكتب القراءات الخاطئة،
وتقيس الحرارة بشكل سيء، وبدلاً من صرف العلاج المناسب تكتفي
بـ «المسكنات» وتعالج السرطان بحبة بنادول!

مصيبة المصائب: أن يكون لها وجود، وتقرأ بشكل جيد، ولكنها
«تفش» في القراءة!.. فمثلاً، تجد أن لديها عنصراً علنياً في صحيفة
ما، أو عنصراً وهمياً في موقع إلكتروني، ويشارك بكتابة «الرأي
العام» المزيف، وبدلاً من أن تصل الحقيقة يحاول طمسها بكل
الوسائل المتاحة.

هنا «الأجهزة» تعمل ضد نفسها!

هنا «الأجهزة» تخدع نفسها بنفسها.. وتظن أنها تخدع الجمهور!

تعالوا لنأخذ مثالاً بعيداً/ قريباً من الموضوع:

الحقيقة: غرق إحدى أكبر المدن في البلاد.. جدة.

الجهاز/ وكالة الأنباء السعودية: هطلت الأمطار على مدينة جدة،

وخرج الأهالي للاستمتاع بالطقس الرائع... إلى آخر الهلس!

حبة البنادول: التحقيق ما يزال مستمراً!

عزيزي المسؤول.. لست بحاجة إلى كل هذه الأجهزة التي تصنع

«الكذبة» بمهارة، وتلمعها وتزينها، حتى تجعلها أكثر جاذبية من

الحقيقة!.. وتعال إلى الانترنت بكب مواقعه، وسترى الحقيقة كما

يجب:

هنا «رأي عام» يتشكل بوضوح، ولا يأتيك عبر التقارير.

هنا غضب وتذمر وإحباط.

هنا يقول الناس كل الكلمات التي لا تجرؤ كل وسائل الإعلام الرسمية

على نشرها.

هنا يفضحون المزور، واللص الكبير، وتجار اللحوم الفاسدة، والقرى الصغيرة التي تملك ربع البلد، والشركات الضخمة وشركاءها، والخدمات السيئة، وغطرسة المسؤول.

هنا ستسمع صراخ فتى عاطل، وأنين فتاة لم تحصل على أدنى حقوقها الإنسانية، وقهر رجل لم يحصل على سرير في مستشفى لوالدته.

هنا ستري البلد.. كما يجب أن تراها.

سيدي المسؤول.. عليك أن تجلس كل يوم ساعة - على الأقل - أمام جهاز الكمبيوتر.. هذا الجهاز يتفوق على كل أجهزتك ويقول الحقيقة كما هي.

وياك - يا سيدي - وحبّة البنادول!!

في مثل هذا اليوم 23 يناير 1971 تأسست وكالة الأنباء السعودية: واس.

[24 يناير]

احذر من نفسك:

لا أحد في هذا العالم يخدعك أكثر منك!

[25 يناير] عن مصر التي أحبها

أنا رجل أعشق مصر:

لم يكن السبب فتاة من «المنصورة» اختلطت فيها الأعراق فشكّلت
حُسنًا خرافياً، ولم يحدث لي مثلما حدث لسنتياغو - بطل رواية
الخمياي - حين سحرته فتاة من «الفيوم»، ولم يسبق لي أن شربت
من مياه النيل... النيل لا ينتظرک لتذهب إليه، لو فتحت أي شباك في
أي بيت عربي سترى النيل يجري: أغنيات ومواويل وقصائد وهدير
وصهيل وحكايات مجد ووجد ونخيل.

لا يحتاج العربي أن يذهب إلى مصر.. مصر تأتي إليه في عقر داره:
من منّا لم يُصب بوجع الشجن المنبعث من نايها وكمانها؟
من منّا لم يسبق له أن عالجه أحد أطبائها؟
من منّا لم يقرأ كتاباً خطّته يد أحد مبدعيها؟
من منّا لم يعلمه أحد مدرسيها؟
من منّا لم يهتز طرباً على أحد مقاماتها؟
من منّا لم تُضحكه - من القلب - نكتة ابتكرها أحد ساخريها؟

هي مصر: لها وجودها في ذاكرتنا، ولها وجودها في أحلامنا..

هي المكان.. الذي يمنحنا المكانة.

هي «مصر».. وكفى، وكفى مصر أن تقول: مصر.

يقول التاريخ: لم يقف في وجه التتار - ويهزمهم - إلا رجالها.
يقول التاريخ: منها خرج القائد والجيش الذي هزم الصليبيين
الغزاة.

يقول التاريخ: إنها في رمضان حطمت خط بارليف، وكسرت الجيش
الذي لا يكسر.

يقول التاريخ: كم أعشق «الجغرافيا» التي شكّلتها!

في مثل هذا اليوم 25 يناير من عام 2011 نزلت - بل ارتفعت - مصر
إلى ميدان التحرير، وبعد 18 يوماً من المظاهرات والاعتصام في الميدان رضح
حسني مبارك، وتنحى عن حكم مصر.

[26 يناير] رائحة ولون وطعم!

يحدثني صاحبي عن تلك الوجبة البسيطة جداً التي كانت تصنعها
أمه في طفولته: «هي ألد وأشهى وجبة أكلتها في حياتي»، ويتمنى أن
تعود لمائدته.

قلت له: لن تكون بنفس الطعم!

قال: لماذا؟!

قلت: عليك أن تستعيد اللحظة، والمكان البسيط، والطقس، ورائحة أمك، والبساطة، ومزاج طفولتك وبراءته، وأشياء كثيرة قبل أن تجمع مكونات الوجبة.

الآن.. بإمكانك أن تصنعها كما كانت وأفضل:

ستحصل على الطعام.. ولكنك لن تحصل على الطعم!

كل شيء أحببناه (طعم، رائحة، صوت، طقس، منظر، لون، لمسة) أحببناه لأسبابه، وتوقيته، ولأجل من كانوا معنا لحظتها. هذا العطر الذي عشقته لأنه عطرها - حتى إنني كنت أرش القليل منه على معطفي - أصبحت أكرهه في غيابها، صار يؤلني.. حتى أنني صار يتحسس منه!

كل الأشياء مرتبطة بناسها ولحظاتها: نحبها ونكرهها بأسبابهم. فارق التوقيت يجعلك تحب الشيء أو تكرهه:

- أغنية (صوتك يناديني: تذكر) موجهة بالنسبة إليّ... صاحبي يستمع إليها وهو يبتسم!

- رائحة (علك أبو سهم) ما تزال بالنسبة إليّ تنافس أغلى الروائح وأشهرها!

- ليلة عيد الفطر - رغم كل ما أعيشه الآن من أوضاع مادية جيّدة - ما تزال تذكّرني بلحظة لم يكن فيها في بيتنا مئة ريال!

- جرّبت أغلى وأفخر أنواع الشوكولاتة في العالم، ولكن.. ما تزال حلوى (الماكنتوش) هي الألد... طعمها: طعم طفولتي.

- شخصياتنا تتشكّل بهذا الشكل: روائح ونكهات وألوان وأصوات، وكل ما يصاحبها من مواقف ومشاعر مبهجة ومؤلمة. بهذا الخليط العجيب من الأشياء الصغيرة.. تصبح: أنت - لا تظن أنك المواقف العظيمة والحوادث الجسام فحسب.. أنت - بالضبط - كل التفاصيل الصغيرة: - رائحة شممتها في طفولتك، وحددت ذاكرة أنفك وعلاقته مع الأشياء..
- طعمٌ ظننت أنه طعم الحياة ونكهتها.
- لونٌ صنع مزاجك تجاه الأشياء.
- صوتٌ «كلماته» حدّدت طباعك.
- ولسة... إلى هذه اللحظة تجعلك تحلم بيدها!

في مثل هذا اليوم 26 يناير 1932 توفي رجل الأعمال الأمريكي وليام ريغلي مؤسس شركة ريغليز (أبو سهم) أكبر شركة لتصنيع العلك على مستوى العالم، أسسها في شيكاغو، أبريل 1891 بدأ حياته بطفولة مليئة بالشقاء والتعب، في العاشرة من عمره طُرد من المدرسة، في الثالثة عشرة كان يدور الشوارع يسحب وراءه عربة يبيع عليها الصابون، وفي الثلاثينيات من عمره كانت إعلانات شركاته تملأ شوارع أمريكا، ويُوصف بـ: «ملك العلكة»!

[27 يناير]

هناك من ينظر إلى الطين: ماء تلوّث بالتراب.
وهناك من يراه: تراباً تطهّر بالماء.
أغلب الأشياء في هذه الحياة تحتل تلك النظرتين!

[28 يناير]

في مثل هذا اليوم عام 1976 سمحت القاضية «روث أود» من المحكمة الإسرائيلية لليهود في الصلاة داخل المسجد الأقصى.

[29 يناير]

أيها النظام العربي:
لا تطالبني - في أناشيدك القومية - برفع رأسي، وأنت الذي علمتني
كل طرق الانحناء!

[30 يناير]

عزيزي الحاكم العربي..
كيف تصدق الإعلامي/ الطبل؟
كيف تسمح لمرتزق أن (يضحك عليك)، ويصفك بكل هذه الصفات
الخرافية؟
أنت في النهاية كائن بشري، ولست «سوبرمان»..
من المستحيل أن تكون الأول والأفضل والأجمل بكل شيء..
أنت مثلنا.. لك أخطاؤك وعيوبك البشرية.

ثم، هل تظن أن مقالة غبية من كاتب/ طبل ستقوم بتحسين صورتك أمام الجمهور؟!

عزيزي الحاكم..

الكاتب، والإعلامي/ الطبل لا يخدعنا، فنحن نعرفك بشكل جيد..
الكاتب/ الطبل يخدعك أنت.

[31 يناير] طفرة النفط.. وطفرة الحرية

(1)

قبل سنوات قليلة - ومع بداية الإنترنت - قالوا: العالم أصبح قرية. وبعدها بفترة قصيرة صار العالم: غرفة صغيرة، مفتاحها في يد ولد مراهق يمتلك الكمبيوتر المحمول! الآن.. يحق لي أن أقول: العالم، في جيبك، وجيبك.. وتحديداً في هاتفك المحمول، والذي يحتوي على حسابك في «تويتر» وصفحتك في «الفيسبوك».

(2)

هذه الأجهزة الذكية الصغيرة.. لم تأت وحدها.. أتت ومعها (أخلاقها) وعاداتها الجديدة، فكل (آلة) ومهما حاولت أن تطوعها،

وتُعرَّبها، أو تسعودها، فسيبقى فيها شيء من (روح) مبتكرها وأخلاقه.. وبعد فترة تفرض عاداتها الجديدة:
قبل أن تعرف منازل مدينتنا الصغيرة الهواتف الأرضية كنا ندور المدينة - في العيد - لمعايدة الأهل والأحباب، بعد الهواتف صرنا نكتفي بالاتصال و(سماع) أصواتهم، بعد الجوال - حتى الصوت لم نعد نسمعه - صرنا نكتفي بـ «رسالة»!
هذا مجرد مثال لما تفعله (الآلة) بنا، ويتسرب إلينا دون أن نشعر به.

(3)

الآلة التي بين يديك، لم تتجها أنت، ولا ثقافتك..
أنت من ثقافة مختلفة، ومن مجتمع تراكم لديه الوعي والمعرفة على مدى سنوات.

كانت (الآلة) لديهم: نتيجة.

ولديك أنت: لا تدري هل هي (نتيجة) أو (سبب) أو مجرد (شيء)
تستطيع أن تحصل عليه بأموالك!

ومثلما حدث معك - معنا - في الطفرة الاقتصادية، يحدث الآن في الطفرة التقنية، ونظن أننا، وبفضل الإنترنت وما قدمته من إعلام جديد مُتاح للجميع، أننا نعيش «طفرة الحرية»: نتحدث بحرية، ونشاكس، ونشاذب، ونصور، ونفضح، ونطالب، و.. ونقوم بممارسة الكثير من (الضحيج) الحر.. علانية أحياناً، وفي الغالب خلف الأسماء المستعارة.

هذه ليست «حرية».. الحرية ليست طفرة.

الحرية: تراكم من المعرفة والوعي بحقوقك.

الحرية: حضارة.

الحرية: أخلاق ومبادئ.

الحرية: لا تهبط فجأة عليك (مع الآلة أو دونها) .. بل هي تتشكل في

داخلك على مدى سنوات، وقراءات، وتجارب.

الحرية: أن تعي، وتستوعب، أن لكل إنسان الحق بالاختلاف عنك

ومعك، وتحترم هذا الاختلاف.

انظروا حولكم، تابعوا ما يحدث في الفضائيات وعبر مواقع الإنترنت

ولا سيّما مواقع التواصل الاجتماعي، ركزوا على اللغة المستخدمة في

الحوارات.. ليس لدى العامة فحسب، بل لدى النخب أيضاً:

هل هذه لغة حرة؟.. هل ما يجري حولك حوار حر؟..

كل ما يحدث في عالمنا الواقعي نقلناه إلى عالمنا الافتراضي (الحر)

نفس العيوب، ونفس الشتائم، ونفس اللغة الرديئة، ونفس النظرة

المرتبطة من الآخر ومن أي فكرة مختلفة.

ببساطة، هؤلاء: أبناء (طفرة التقنية) .. وليسوا أبناء الحرية!

كل ما في الأمر أن: التكنولوجيا تخدم التخلف كما تخدم التقدم.

(4)

حين تكون لديك صفحة في الفيسبوك أو حساب في تويتر وتثرثر

عبرهما بحرية (كما تظن) فهذا لا يعني أنك إنسان حر يعني ما

الحرية وما مسؤولياتها والتزاماتها.. كل ما في الأمر أن الحضارة الغربية منحتك (حائطاً إلكترونياً) ، واكتشفت أنك بإمكانك أن (تشخبط) عليه، وهذا ما تفعله!

أنت ابن (طفرة التقنية).. وهذه لا تختلف كثيراً عن (طفرة النفط) التي أصابت والدك، وشوّهت صورته وهويته، ومنحته عيوبها وهزاتها الاجتماعية، وشوّهت روحه دون أن يشعر.. فانتبه، انتبه يا رعاك الله، أن تخرج من طفرتك كما خرج والدك من طفرته: الكثير من الإمكانيات.. القليل من الإنجازات!

(5)

الآلة لن تمنحك الحرية.. ولكنها تحتفي بها، وبك عندما تكون حراً.
كن ابن الحرية.. قبل أن تذهب إلى المنبر .

في مثل هذا اليوم 31 يناير من عام 1944 تم غُيّر اسم كاسوك إلى شركة الزيت العربية الأمريكية، التي أصبحت تعرف اختصاراً باسم: شركة أرامكو السعودية.

2

فبرائر / شباط

[1 فبراير] يا «سيف الدولة»: لا حليب في حلب!

(1)

تقول الحكاية: كان هنالك ملك لديه بقرة تُسمى «الشهباء»، استعصى على الجميع الاقتراب منها وحلبها. قرّر الملك أن يحلبها بنفسه، وحصل له ما أراد، فصار الذين حوله يخبرون الآخرين بأنه: حلب الشهباء.. حلب الشهباء!

الحكاية الثانية تقول: إن النبي إبراهيم -عليه السلام- كانت لديه بقرة شهباء، كان يوزع حليبها على الفقراء في المدينة، وتكفيهم وتزيد، ويأتون وهم يحملون أوانيهم، ويتباشرون عند حلبها: لقد حلب الشهباء.. حلب الشهباء.

حلب الشهباء -الآن- يعاني أطفالها نقص الحليب!

(2)

هي من أقدم المدن في العالم، سكنها الإنسان، وعمّرها قبل 14 ألف سنة، وإلى قبل عامين تجاوز عدد سكانها خمسة ملايين نسمة. واليوم: يُبادون أمام مرأى العالم الذي يتفرج بصمت!

وحلب - الآن - مدينتان في مدينة واحدة: حلب الغربية، وحلب الشرقية.

حلب التي انتفضت مع الذين انتفضوا، وحلب التي ما تزال تردّد الأغاني الوطنية التي كتبها ولحنها النظام.
حلب التي تسهر في الملهى على أصوات الإيقاعات.. وحلب التي تسهر على أزيز الطائرات، ودوي البراميل المتفجّرة.
حلب الطفلة الخارجة من الركام، وتساءل: أين أبي؟
وحلب السيدة المترفة التي تستعد لشراء هدايا رأس السنة!
حلب الشرقية التي تراها في نشرة الأخبار، وكأنّ زلزالاً مدمراً يضربها كل يوم..
وحلب الغربية التي يزعجها انقطاع الإنترنت أحياناً!

في حلب الشرقية كل يوم يموت العشرات.
في حلب الغربية كل يوم يأتي ساكن جديد: في الغالب علويّ أو شيعيّ.

(3)

من عاصمته حلب: كان الشيعيّ العربيّ سيف الدولة الحمداني يصدّ كلّ الغزاة عن أرض العرب.
واليوم: ترى في حلب الإيرانيّ واللبنانيّ والأفغانيّ والعراقيّ والباكستانيّ (جمعهم الشيع) وتجمعهم صورة - سيلعنها التاريخ ويبصق عليها - بجانب جنرال روسي!

- أحد حكماء الشيعة في هذا الزمان، اللبناني «علي الأمين» قال:
ولاية الفقيه حدودها إيران، وليست عابرة للحدود، ولا يجوز أن تكون
للشيعة في أوطانهم مشروعات مستقلة. عليهم أن يكونوا نسيجًا من
أوطانهم.. لا وقودًا لمشروعات إيران.

- الشيخ صبحي الطفيلي (رجل دين شيعي لبناني) أيد بصراحة
وجرأة الثورة السورية، وأعلن: أن من يُقتل من حزب الله في سورية
فهو في جهنم.

- حسن نصر الله يرى أنهم شهداء.. ووعدهم بالجنة!
- حسن نصر الله يتحدث بلغة عربية فصيحة.. لا يمكنك إعرابها إلا
بالعودة لكتاب النحو الفارسي!

ستغضب مني اللغة، والتاريخ، والشرف؛ لأنني أضع اسمه في فقرة
واحدة مع سيف الدولة الحمداني.

(4)

سيأتي اليوم الذي يغيب فيه حسن نصر الله - وأشباهه - من
المشهد، وستتغير الأحداث.
سيغيب هؤلاء الذين يتباهون بتجول قاسم سليمان - وتحت حمايتهم
- في أربع عواصم عربية.
ستسقط كل الميليشيات والأحزاب التي صنعتها إيران كخناجر سامة
تُفرز في الجسد العربي.
ما الذي سيقوله التاريخ عن هؤلاء «العرب» الذين اختاروا أن يحملوا
البندقية الإيرانية، ويصوبونها نحو صدور بني عمومتهم العرب؟!!

هل سيقول عنهم ما قاله عن سيف الدولة الحمداني (الشيوعي العربي)، الذي عاش عمره يردُّ الغزاة الرومَ عن الأرضِ العربيَّة؟ هل سيتغنَّى بهم مثلما فعل المتنبّي مع سيف الدولة؟ هل يستوي من ردِّ الروم بسيفه بمن فتح الباب للروم والفرس معاً؟ التاريخ انحنى باحترام، وقال - وسيقول الكثير - عن سيف الدولة، وتغنَّى به على لسان المتنبّي:

أَنْتَ طُولَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَازٌ
فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُفُولُ
وَسَوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ
فَعَلَى أَيِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ
فَعَدَّ النَّاسُ كُلَّهُمْ عَنِّ مَسَاعِيكَ
وَقَامَتْ بِهَا الْقَنَا وَالنُّصُولُ
مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا
كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشُّمُولُ

(5)

سببقى الحمداني: «سيف» الدولة..
وسيظل نصر الله وأشباهه: خناجر!!

في مثل هذا اليوم 1 فبراير 1979 هبطت طائرة الخميني في العاصمة الإيرانية طهران قادمة من باريس بعد سنوات قضائها في المنفى. في الليلة نفسها كان المانشيت الأبرز في أغلب الصحف الإيرانية: «وصل الإمام».

[2 فبراير]

في مثل هذا اليوم 2 فبراير 1260 سقطت دمشق على يد التتار وقائدهم هولاكو.

في مثل هذا اليوم 2 فبراير 1982 اجتاحت قوات سرايا الدفاع بقيادة رفعت الأسد حماة وقصفتها بالمدافع، فيما اشتهر لاحقاً باسم: مجزرة حماة.

وذات يوم.. ستعود حلب، وتعود حماة، وتعود دمشق: قدرها أن تظل مدناً عربية على رغم أنوف كل الغزاة.

[3 فبراير]

نعيش في منطقة مشغولة بالأسئلة التاريخية، ولم - ولن - تجد الإجابة المتفق عليها.. كل طرف لديه إجاباته النهائية التي لا تقبل الشك ولا المراجعة.

يعيشون لحظة «الفتنة الكبرى».. ويواصلون طرح الأسئلة:

- من الذي قتل عثمان؟
- كيف استولى معاوية على السلطة؟
- متى وكيف تشكل الخوارج؟
- كيف قتل الحسين؟

يعيشون التفاصيل بمشاعر اللحظة نفسها..

لا يريدون تجاوز حوادث عقد من الزمن مضى عليه 1400 سنة.
تحول الصراع السياسي لانتزاع السلطة: إلى عقيدة، ودين، وطقوس
يعاد إنتاجها لتظل جزءاً من ذاكرة الأتباع، حتى يعيشوا اللحظة
بكامل حزنها وغضبها ومأساتها.

منطقة مشغولة بالأسئلة التاريخية..

إلى الدرجة التي جعلتها تنسى أسئلة المستقبل!

[4 فبراير]

في مثل هذا اليوم من 4 فبراير عام 1942 حاصر الجيش البريطاني
قصر عابدين، وخيّر الملك فاروق بين تكليف مصطفى النحاس
تشكيل الحكومة أو أن يتنازل عن العرش، وانتهى الحصار بتنفيذ
الملك لشروط الإنجليز.

وفي اليوم نفسه - بعد عشر سنوات - 4 فبراير في عام 1952
حاصرت القوات الفرنسية قصر ملك المغرب محمد الخامس،
وأجبرته على اتخاذ بعض القرارات، منها: عزل رئيس جامعة
القرويين، وعزل بعض الأعضاء في ديوانه!

[5 فبراير]

بعض البلاد تضعك أمام ألف باب
مغلق، وتمنحك مفتاحًا واحدًا..
وبعض البلاد تضعك أمام باب واحد
وتمنحك ألف مفتاح.

وبعض البلاد تعلمك كسر الأقفال!

[6 فبراير]

احذر:

إذا صارت ذكرياتك أكثر من أحلامك فأنت لم تعد شابًا!

[7 فبراير]

عندما ترى أن الحياة: «أبيض وأسود» فقط..
تأكد أن الخلل فيك، وليس في الحياة وألوانها!

[8 فبراير]

أذهب مباشرة إليها، وعانقها!

(1)

قلتُ لهم: ما أحلامكم؟ ما الغاية التي يتمنى كل منكم الوصول إليها؟
قال الأول: الحضور المبهر والشهرة.

قال الثاني: الثراء.

قال الثالث: بيت يضمّني مع أولادي.

قال رابع: النفوذ والسلطة.

قلتُ: لا أسألكم عن الوسائل.. أسألكم عن الغاية؟

ارتبكت الإجابات.. وعادت لتشرح نفسها شرحاً مختلفاً.

قلت: الغاية واحدة.. السعادة!

كل هذه الأحلام / الوسائل المُربكة هي طريقكم - كما تظنون - إلى

الغاية النهائية: السعادة.

الذي يشقى بجمع المال، يضيّع السعادة بحثاً عن السعادة!

الذي يحلم بالبيت، هو يحلم بالاستقرار، الذي سيَجلب له الطمأنينة،

التي ستجلب السعادة لقلبه وروحه.

الذي يحلم بالشهرة، ويمضي عمره وهو يشقى بمطاردة أضوائها

الباهرة، يظنُّ أن الشهرة ستفتح له كل الأبواب؛ ليدخل إلى قصر

السعادة.

اسأل أيَّ حالم عن حلمه (شهرة، ثراء، سلطة، منصب، جمال،

قوة، حضور) ستكتشف أنه يُحدّثك عن الوسائل التي - يظنُّ - أنّها ستوصله إلى الغاية الكبرى/ مدينة السعادة.

الأمر نسبي:

في اللحظة التي أجلس فيها في الصف الأول في ذلك الحفل الفخم، وتحت الأضواء الباهرة، تجدني أتملعل على الكرسي، وأحلم لو أنني لحظتها في مدينتي الشمالية النائبة لأحظى بلحظة فاخرة برفقة «عشوي الرفاع»، وأضحك معه ضحكة حقيقية صافية نابعة من نبع القلب. في نفس اللحظة هناك - في مدينتي النائبة الصغيرة - مَنْ يحلم بالجلوس على نفس الكرسي الممل! أنا وهو نظن أن السعادة في الجهة المقابلة.

الأمر نسبي:

هذا في قصره الفخم يشعر بالشقاء؛ لأن زوجته أنجبت طفلاً مشوّهاً..

وهذه الطفلة في خيمتها المهترئة - فوق أرض متجمدة، وتحت سماء تُمطر ثلجاً - تكاد تطير من الفرح؛ لأنها حصلت من وكالة الإغاثة على: بطانية!

تختلف التفاصيل، والوسائل، والطرق التي نسلكها، ولكننا جميعاً نريد أن نصل إليها: السعادة.. حتى هذا الإرهابي الذي فجّر نفسه يظنُّ أنه ذاهب إليها عبر أقصر الطرق! لم يستطع أن يواجه الحياة، فهرب إلى الموت.. يظنُّ أنه يغادر لحظة الشقاء لينتقل إلى السعادة الأبدية.

(2)

هل تعرف اسم الرئيس الهندي؟ هل تعرف اسم الرئيس التنفيذي لشركة أبل؟ هل تعرف اسم كبير العلماء في ناسا؟ الغالبية العظمى (في حال أنهم لم يستمعينوا بفوغل) سيقولون: لا.

هل تعرف «ليونيل ميسي»؟ الغالبية العظمى ستصرخ: نعم! ميسي - النموذج - للشباب الأكثر شهرة في العالم، والأعلى دخلاً، وأصدقائي، الذين طرحت عليهم السؤال في السطور الأولى، يكادون يجزمون أنه يمتلك كل ما يجعله سعيداً: الشباب، والصحة، والشهرة، والثراء، وحب الجماهير.

كتبت لكم سابقاً عما حدثني به صديقي من كواليس الإستديو: قبل أن يبدأ الحوار مع الابن بلحظات انفجر الأب في وجهه غاضباً! وبّخه لإهماله، وعدم اهتمامه والتزامه بعض الأمور... قال له: كيف تنسى ساعتك الـ AP في الفندق؟ لا يمكنك أن تظهر في أي حوار دون أن تكون في معصمك.. هذا أحد شروط العقد! نزع الأب ساعته، وهي من الماركة نفسها، وألبسها ابنه الذي دخل إلى الإستديو وكل ما فيه يوحي لك أنه تحوّل من إنسان إلى لوحة إعلانية متحركة.

الأب يشبه بقية الآباء في العالم..

الابن.. مختلف واستثنائي وساحر.. اسمه: ليونيل ميسي!
- ساعته هي التي تتحكم بوقته، وتحدد مواعيده المدفوعة بالثواني.
- لا يمكنه أن يشرب ما يشتهي في الأماكن العامة.. فالعقد يلزمه ذلك الشراب الغازي تحديداً دون غيره.

- الجميع يلبسون بدلاتهم الرسمية السوداء الأنيقة في حفل الزفاف..
وحده ميسي يلبس تلك البدلة الغربية ذات الألوان الفاقعة، وذلك
حسب شروط العقد الموقع بينه وبين الشركة المصنعة لها.
يأكل ويشرب حسب العقد، يلبس حسب العقد، يتحدث حسب التوقيت
الذي يحدده العقد، يتنفس حسب شروط العقد!
الكامب نويج عشرات الآلاف من الجماهير، والملايين وراء
الشاشات:

جميعهم ينتظرون إبداعاته وأهدافه الساحرة.

هل ميسي يشعر بالملل لحظتها؟.. لا يهم!

هل يمر بحالة نفسية سيئة بسبب ظرف عائلي؟.. لا يهم!

هل طفله الصغير اختنق بحبة. قبل ساعتين من بدء المباراة. وكاد

يموت؟.. أيضاً: لا يهم!

الجميع يستمتع بما يقدمه ميسي من عروض.. إلا - ربما - ميسي!

والآن، هل تجزم أنه سعيد؟!

(3)

جميعنا نبحث عن السعادة، ونظنها في البعيد البعيد من الأشياء، ولو
تلفّتنا حولنا لوجدناها معنا وبيننا في أشياء بسيطة جداً.

مشكلتنا أننا لا ننتبه، ولا نحتفي بالأشياء التي بين أيدينا..

لأننا مشغولون بالأشياء التي بين أيدي الآخرين!

في مثل هذا اليوم 8 فبراير 2016 استحدثت وزارة للسعادة في دولة الإمارات
العربية المتحدة، وعُيّنَت عهد الرومي وزيرة دولة للسعادة.

[9 فبراير]

بعض القرارات تشبه في كرة القدم التصويبة القوية التي ترتطم بالعارضة:

- تعجب الجمهور.

- يصرخ المذيع لجمالها وخطورتها.

- تبرك الدفاع.

- ولكنها، في النهاية، بلا «هدف»!

[10 فبراير]

شارك في صنع القرار

حين تمر في أحد الشوارع السعودية، وتشاهد هذا الإعلان الضخم/

الفخم عن انتخابات المجالس البلدية وهو يحتوي على هذه العبارة

الرائعة، والتي تقول (شارك في صنع القرار) بماذا تشعر؟..

بالسعودي الفصيح: «وش تحس فيه»؟!

هل تصرخ: «وحنا وش ذابحنا وجايب لنا الصمرقع والقولون

والضغط.. غير أننا نبي نشارك»؟!

أنا - لقلة انتباهي - لم أشاهد هذه اللوحة الإعلانية إلا البارحة،
معلقة في أحد الشوارع منذ سنوات لتحريض الناس للمشاركة، ويا
للهلول.. (أول مرة أكتب «يا للهلول» في مقال، وذلك لحجم الصدمة..
لذا وجب التنويه).. يا للهلول.. أصابني الدوار.. قرأتها أول مرة
بهذا الشكل: شارك في صنع (القرار).. لا أدري أين ذهبت النقطة
الثانية!.. فركت عيوني وقرأتها مرة أخرى بهذا الشكل: شارك في
(صنع) القرار.. سألت نفسي: يا ربي!.. يعني وش أسوي؟.. أصبغه
فوشي مثلاً؟.. ولا نيلي؟.. حتى يصبح القرار (متنيل) مثلاً؟!..
أخيراً.. قرأت العبارة بشكل صحيح (شارك في صنع القرار).. وهنا
- سأحاول - إعراب وتفكيك هذه العبارة الحلوة التي قتلت الكثير
من عشاقها:

شارك:

تجعلك هذه الكلمة تعود إلى الموروث المحلي، وتستدعي من الذاكرة
بعض الأمثال الشعبية.. مثل (قدر الشراكة ما يفور).. وتسأل نفسك:
هل ستنضج هذه الطبخة ويستوي (القرار) إذا شاركت؟!
في:

حرف جر يجر المواطن بالكسرة، ويكسر رأسه بالجرّة!
صنع:

هل نؤمن أصلاً بأن القرارات (تُصنع) وأن صناعة أي شيء تحتاج إلى عقول ماهرة، وأدوات، وأشياء أخرى حتى تكتمل صناعة هذا الشيء كما يجب.. أو إن ما يحدث - في بعض الأحيان - يأتي على البركة، وبسبب المزاج في أحيان أخرى.. وإن بعضاً من القرارات لم يطبخ جيداً.. ولم (يُصنع) كما يجب.

القرار:

أي (قرار) هذا الذي سأشارك بصناعته؟

ردم الحفرة التي أمام منزلي؟

وضع مطب جديد في الحي الذي اسكن فيه؟

طيّب!.. هداني الله و (شاركت في صنع القرار).. إذن.. لماذا تتسوق

إننا نكتب منذ سنوات ونطالب بالمشاركة في صنع القرار؟.. أو إن

قراراتنا لا تتجاوز الحفرة والمطبخ؟

سألني أحد الأقارب: هل قيّدت اسمك ناخباً؟

قلت له: وأنا ناقص قيود حتى (أقيّد) اسمي؟

في مثل هذا اليوم 10 فبراير من عام 2005 بدأت أول انتخابات بلدية حديثة في تاريخ السعودية.

[11 فبراير]

في مثل هذا اليوم من العام 1847 ولد العبقري توماس أديسون..
و حين تقراً أن أستاذه وصفه بالفبي..

أو أن والت ديزني فصله مديره لأنه غير مبتكر..

وأن أحد العظماء - أيا كان اسمه ومجال تفوقه - كان بليداً في المدرسة:
لا تظن أن ترديدك لهذه المعلومات سيجعلك، رغم كل ما يقال عنك،
ذكياً ومبتكراً.

كل ما في الأمر: أن مدير ديزني وأستاذ أديسون غيبان... مثلك!

[12 فبراير]

قفص وموز

(1)

تقول الحكاية:

وضع مجموعة من العلماء خمسة قرود في قفص واحد، وفي وسط
القفص سلم، وفي أعلاه بعض الموز.

في كل مرة يصعد أحد القرود لأخذ الموز يرش العلماء باقي القرود
بالماء المغلي، بعد مدة بسيطة أصبح كل قرد يصعد السلم لأخذ الموز

تمنعه بقية القروود وتضربه حتى لا يتم رشّها.
بعد مدّة لم يجروّ أي قرد على أخذ الموز أو مجرد التفكير بصعود السلم خوفاً من الماء وعقاب بقية القردة له.

(2)

بعد مدّة قرر العلماء أن يبدّلوا أحد القروود الخمسة ويضعوا مكانه قرداً جديداً، ولأنه لا يعرف النظام السائد في القفص، أول شيء فكّر فيه القرد الجديد محاولة صعود السلم لأخذ الموز، ولكن على الفور ضربته القروود الأربعة الباقية وأجبرته على النزول من السلم.
بعد مرات عدة من الضرب فهم القرد الجديد بأن عليه ألا يصعد السلم مع أنه لا يدري ما السبب!

(3)

في مرحلة الثالثة: بدّل العلماء أيضاً بأحد القروود القدامى قرداً جديداً، وحل به ما حل بالقرد البديل الأول حتى إن القرد البديل الأول شارك زملاءه بالضرب، وهو لا يدري لماذا يضربه؟!

(4)

استمرت العملية تدريجياً حتى بدّل بجميع القروود الخمسة الأوائل قرووداً جديدة، وصار في القفص خمسة قروود لم يسبق أن رش عليها الماء المغلي، ومع هذا تضرب أي قرد تسول له نفسه صعود السلم دون أن تعرف ما السبب!

في البدء كان الخوف من الماء المغلي.

لاحقاً صار الخوف داخل كل واحد منها - من خطورة الاقتراب من السلم - رغم أنه لم يجرب الماء المغلي.

وأخيراً، صارت «ثقافة» وطباعاً، تجعلها ترفض أي محاولة جديدة لصعود السلم..

صار على الفرد أن يتجاوز منع الجماعة والثقافة السائدة له قبل أن يفكر بالماء المغلي وصعود السلم.

انتهى الوضع بهذا الشكل:

من يريد أن يأتي لها بـ «الموز» يصبح خصمهم.. لا الذي يمنعهم من الوصول إليه..

وأي (جديد) يجب أن يُدجّن حتى لا يهدم النظام السائد في القفص، ويهدد أمن القروء!

(5)

هذه التجربة مذهلة ومخيفة!

وما يتم تطبيقه على القروء في تجربة علمية، يتم فعله بالبشر بأشكال مختلفة.

هناك من يخاف من صعود السلم لانزعاع الموز.. أو الحرية.

هناك من لا يزال يعيش في (قفص) الأعراف والعادات والأفكار السائدة.

هناك من لديه استعداد - بسبب الخوف من الماء المغلي - أن يُحرّم أكل الموز!

هناك (القديم) الذي يرفض (الجديد) ويضربه ويقمعه لأنه يرى
الأغلبية تفعل ذلك.
هناك ألف قفص..
وألف جالون من الماء المغلي..
والكثير من الموز الذي لا نستطيع الوصول إليه..
و.. هناك الكثير من القروء، التي لا تعلم أنها قروء!

في مثل هذا اليوم 12 فبراير 1809 ولد العالم الإنجليزي تشارلز داروين
صاحب نظرية التطور.

[13 فبراير]

لماذا كلما شاهدت طبيباً نفسانياً شعرت أنه بحاجة إلى طبيب نفسي!
هل تعرّي النفس البشرية أمامهم يجعلهم بهذا الشكل؟!

[14 فبراير: عيد الحب]

حضورها يمنح المكان المكانة..
وأى زاوية تجلس فيها تصبح فاتنة ومضيئة.

بإمكانها أن تلعب بالراء، والفاء، والقاف... وأعصابي!
معها.. الرفقة: رفق.
ودونها: فقر، وغيابها: قفر.

وحدها تصنع ال : فرق..
وتحوّل ال «ك ل م ا ت» إلى: ملكات ولكمات!

ما أشعر به تجاهها شيء..
والكلمات التي حاولت وصفه شيء آخر!

أمامها المعنى يفقد معناه.

[15 فبراير]

عندما صافحها الأعمى رأى ما لم يره الآخرون.
كانت عيونهم: أصابع
كانت أصابعه: عيون!

[16 فبراير]

كل الأشياء المدهشة تفقد دهشتها مع الزمن.. إلا أنت:
كانك حديقةً سحريةً تُبدل ألوانها وروائحها كل يوم.
كانك فاكهةً خرافيةً مع كل قضةٍ لكِ طعم جديد ومختلف.
كانك ..
كانك ...
كانك ماذا؟! .. كانك أنت!
فلا شبيهةً لكِ سواكِ.

[17 فبراير]

وجود المرأة بجانب البحر، لا يخلو من مخاطر..
منها: أن يفرق البحر!

[18 فبراير]

قال بصوت يرتجف:

رديني إليك..

أورديني إليّ.

لا تتركيني واقفاً في المنتصف!

[19 فبراير]

أي امرأة تحبها هي جميلة..

المقياس الحقيقي والدقيق للجمال هو: الحب.

الحب ليس أعمى، كما يقولون..

الحب هو الذي يمنحك العيون!

[20 فبراير]

نظرت إليّ (وعيناها باتساع البحر) وقالت:

- هل تُجيد السباحة؟

قلت: لا... أجد الفرق!

[21 فبراير]

على السلم الموسيقي لأغنية حرة

(دو)

لا توجد زنزانة في العالم تستطيع حبس فكرة حرة.
الفكرة الحرة بإمكانها أن تحبس الزنزانة.. وتحبس الأنفاس!

(ري)

هذا ما قاله العصفور الحُر.. لعندليب القصر:
عشٌ بسيط، على غصن
شجرة جرداء..
أجمل من قفص ذهبي
فيه حَب وماء!

(مي)

ما يزال الرقيق مستمراً..
البشر في الألفية الثالثة: عبيد الشركات الكبرى، والتلفزيون!

(فا)

الحرية: أن تختار قيودك كما تشاء!

(صول)

مالكولم إكس، المناضل الأمريكي الشهير، تحدث عن نوعين من

العبيد في تاريخ العبودية في أمريكا:

عبد الحقل وعبد المنزل.. وهذان النوعان أظنهما متوفرين في كل مجتمع.

عبد المنزل هو الذي قرّبه (السيد) لخدمته في منزله: يشعر بالدفء، ويلبس الملابس الأنيقة حتى وإن كانت ملابس سيده القديمة، يأكل الطعام حتى وإن كان من بقايا مائدة سيده، ويشعر بتميّزه لأنه من (نخبة العبيد) التي اختارها السيد لخدمته.

عبد الحقل هو الذي يجابه حرارة الصيف وبرد الشتاء، ويعمل في الأعمال الشاقة، ويموت تحت السياط أحياناً.

عبد الحقل: ستأتي لحظة ما يُفكر فيها بالتمرد.

عبد المنزل: أول من سيجابه هذا التمرد!

عبد الحقل: يفني للحريّة.

عبد المنزل: لا يفهم هذا الغناء، ولا يطربه، وسيدافع عن (العبودية) التي منحته خيرها!

(السيد) في لحظة ما: سيستخدم عبد المنزل لقمع عبد الحقل.

عبد المنزل موجود في كل مكان وبملامح وأشكال مختلفة.. فاحذروا من عبيد المنازل!

(لا)

الجاهل سيظل عبداً لأشياء كثيرة..
المعرفة: أول خطوة في رحلة تحررك.
الحر لا يجهل، والجاهل لا يتحرر.

(سي)

....، وكان آخر ما قاله لهم:
اعلم أنها تسكن في قصر يحرسه عشرة من العبيد.
اعلم أن لها عشرة إخوة أشداء.
اعلم أن لها عشرة أعمام ، كل منهم له عشرة أبناء.
اعلم أن لها أباً يمتلك نصف المدينة، ويستطيع أن يشتري النصف
الآخر.

ولكن.. سأنام الليلة في غرفتها!

قالوا: ما اسم تلك الصبية؟

قال: الحرية!

في مثل هذا اليوم 21 فبراير من عام 1965 اغتيل مالكولم إكس رائد الحقوق
المدنية.

[22 فبراير]

. سأمنحك «حرية الضجيج».

. وما «حرية الضجيج» يا سيدي؟

. أنت تقول ما تشاء.. وأنا أفعل ما أشاء!

[23 فبراير]

أسوأ ما يمكن أن يتعرض له فمك:

أن «تغلقه السُّلطة»، و«يفتحه» طبيب الأسنان!

[24 فبراير]

هل تعلم أنه لديك أجنحة خفية؟!

. حاول أن تكتشفها أولاً..

. وثانياً حاول أن تتعلم كيف تطير.

من لم يجرب الحب، والكتابة، والحلم.. لن يصدقني!

الكتابة بالأخضر عن الأزرق

(1)

- يقولون لي ما الذي بقي فيك من الكويت؟

- أقول لهم ثلاثة أشياء:

الأول: التباس جميل في نطق (القاف) و (الغين) يجعلني (أغمر) القمر!

والثاني: شغب حُر، يشبه تلك النظرة التي تسكن عيني «محمد الوشبحي» حين يرى مهرة شاردة!

والثالث: الكويت نفسها، بكل ما فيها، من «حسين عبد الرضا» إلى «محمد العوضي» مروراً بالفخم / الضخم «أحمد الربيعي».

(2)

أول كأس حليب شربته.. كان كويتي الطعم.

أول صبيّة عشقتها بصمت وحياء.. كانت كويتية الفنج.

أول قصيدة كتبتها.. كانت عن الكويت.

أول أغنية حفظتها.. كان فيها الكثير من (الهولوواليامال).

أول حرف حفظته، وأول جملة كتبتها (مع حمد قلم) كانت في مدرسة

المعتصم في جهراء الكويت.

أول كتاب اقتنيته كان من مكتبة القصر الأحمر.

منحتني الكويت القلم والدفتر، وكوب الحليب وطبق العدس،
والبنطلون الرمادي والقميص الأبيض، والكتاب وصحيفة تحتوي
على كاريكاتير ناجي العلي ولافتة أحمد مطر.. ولما مرضت بحمى
روماتيزمية في القلب وأصبت بالشلل في طفولتي: عالجتني دون أن
تسألني عن هويتي.

لكل منكم أم واحدة..

أنا لي عدة أمهات، أولهن: السعودية، والكويت.

(3)

حتى هذا اليوم..

المباراة الوحيدة التي يلعبها الأخضر، وأرجو أن تنتهي بالتعادل:

هي حين يلعب مع الأزرق!

كأن الأخضر والأزرق حين يختلطان.. ينتجان الأحمر: لون دمي!

(4)

عندما تحزن الكويت.. يضطرب القلب ويكاد يفر من قفصه

الصدري.

عندما تفرح الكويت.. يرقص القلب «الفرينسي» وينبض على إيقاع

البهجة.

وعندما يُعزف السلام الوطني، تتحوّل عروق القلب إلى كورال..

ويغني:

وطني الكويت سلمت للمجد / وعلى جبينك طالع السعد.

وأحياناً يشدو مع شاديها:
كلما زادت المحن / حولها أوقسا الزمن
أصبح الناس كلهم / كلمة في فم الوطن

(5)

يسألني أحدهم: متى خرجت من الكويت؟
أجبت بشجن: الذي يدخل هذا الوطن.. لا يخرج منه أبداً!
- وما مناسبة الكتابة عنها؟
- وهل يحتاج الحب إلى مناسبة؟!

في مثل هذا اليوم [25 فبراير] من كل عام: تحتفل الكويت بيومها
الوطني وعيد استقلالها.

[26 فبراير]

في مثل هذا اليوم عام 1991 الرئيس العراقي صدام حسين يعلن
من راديو بغداد انسحاب القوات العراقية من الكويت، ويكون ذلك
الإعلان بداية نهاية حرب الخليج الثانية.

[27 فبراير]

الموقف المحايد..

في بعض المواقف:

موقف غير محايد!

[28 فبراير]

هذا ما أوّمن به:

حتى الصدفة.. لا تأتي بالصدفة!

هي: «موعد» كوني..

لم تشارك أنت بترتيبه!

[29 فبراير]

لا تدري.. هل تقول: ما أسعدهم، أم: ما أتعسهم الذين ولدوا في مثل

هذا اليوم!

كل أربع سنوات يحتفلون مرّة واحدة بأعياد ميلادهم.

في مثل هذا اليوم في عام 1288 صدر قانون غريب في اسكتلندا

يقضي بتفريم الرجل الأعزب إذا ما طلبت يده امرأة ورفض طلبها!!

سيقول لك بعض الرجال: غرامة الرفض. مهما كان مقدارها.

سيكون أقل كلفة من عقوبة الزواج!

3

مارس / آذار

[1 مارس] إبادة!

هل سمعتم عن قط قام بحرق قط آخر؟
هل سمعتم عن نمر أو أسد تَبَّت المسامير في جمجمة نمر أو أسد؟
هل سمعتم عن دجاجة قامت بفصل رأس كتكوت برئ بسبب الغيرة
والحقد الذي تكنه لدجاجة أخرى.. أو بسبب الغيرة على أحد
الديكة؟

هل سمعتم، أو شاهدتم، أو قرأتم عن أي (كائن) أباد كائنات من
نفس نوعه.. باستثناء هذا الكائن الذي يسمّونه: «إنسان»؟
غريب أمر هذا الإنسان ..
أمنت أنه - في الأصل - كائن متوحش.
أمنت أنه - في الأصل - كائن جاهل.. تحرّكه أول الأشياء التي تتراكم
فيه، ويمضي العمر وهو يحاول أن يتخلّص منها.
تأتي الأديان، والحضارة، لتعلمه وتهذب روحه، ولكنه في لحظة غضب
واحدة تسقط قشرة الحضارة، ليعود إلى أصله: جاهل ومتوحش.

في مثل هذا اليوم 1 مارس 1811 قضى حاكم مصر محمد علي باشا على بقايا
المماليك بجزرة رهيبة عرفت بمذبحة القلعة.

[2 مارس]

في مثل هذا اليوم عام 1807 بريطانيا تمنع تجارة الرقيق بين أفريقيا وأمريكا، وتدعو الدول الأوروبية الأخرى إلى فعل نفس الشيء. والكونغرس الأمريكي يقر قانون حظر استيراد العبيد إلى أي ميناء أو مكان في الولايات المتحدة.

[3 مارس]

بعض الأماس: أصله فحم.
بعض أجمل الورود: تثبت في الوحل.
لا تحكم على الناس حسب أصولهم ومنبتهم..
بل على مقدار ما فيهم من جمال وقيمة.

[4 مارس]

القلق الذي تنتجه الأخطاء والخطايا التي نرتكبها هو قلق صحي! المرض: ألا نقلق تجاه ما نرتكبه من أخطاء وخطايا.

الجلاد الذي تبغضه وأبغضه معك هو لا يختلف كثيراً عني وعنك!

إنسان بسيط، له أطفال يحبهم ويخاف عليهم، ويحدث أن يعود ذات مساء إلى منزله وهو يحمل الحلوى لأطفاله وعطراً جديداً - متوسط الثمن - رآه وأعجبه وأحب أن يهديه لزوجته. هو إنسان.. يشبه الأغلبية.

يجلده في الصباح، وينام مطمئناً في المساء بعد أن قام بـ «دوره» في حماية الوطن.. كما يظن!

هو إنسان تشكّل بهذا الشكل.

لَقّن بعض الأفكار، وصارت لديه هي الحقائق الوحيدة والثابتة.

يفهم «الولاء والانتماء» بطريقة مختلفة عني وعنك.

يتميّز بالجهل.. مثل الأغلبية!

كان يبحث عن أي عمل يعيش منه.. صادف أنه وجد هذه الوظيفة التي تحمل اسماً ألطف من «الجلاد» فتقدّم إليها.. وجدوا أنه يمتلك كل المميزات التي تؤهله للحصول عليها: الجهل، الحاجة، الطاعة.. فحصل عليها.

قامت الأجهزة بتشكيل «وعيه»، واختارت له «الأعداء»، ومع الوقت تشكل حتى أصبح بهذا الشكل الذي تعرفه.. صار «الجلاد» ووحده لا يعلم أنه الجلاد!

هولا يعرفك.. قالوا له إنك خطر على الوحدة الوطنية.. فأصبحت عدوه اللدود.

هولا يخاصم أفكارك.. لأنه في الأصل لا يفهمها!
هو في معادلة الشر والخير.. يرى - وهو مطمئن - أنه الخير الذي سيقضي على شرك!

حتى الأساليب السيئة والدينئة التي يمارسها معك يرى أنها أساليب خيرة طالما أنها ستضغط عليك وتقضي على شرك المفترض.
صورت له بصورة لورأيتها أنت لكرهت نفسك!

ربما، وبعد أن ينتهي من تعذيبك، سيمر المستشفى لزيارة أحد أقاربه المرضى.

ربما سيبيكي كطفل حين يجد السرير فارغاً لأن قريبه توفي قبل ساعة.

ربما، وبعد أن ينتهي من جلدك، وقبل وصوله إلى المنزل سيتوقف عند محل الإلكترونيات ليشتري لعبة «البلاي ستيشن» لأولاده.
ربما، هو في هذه اللحظة في أحضان زوجته يحاول كتابة قصيدة تتغزل في حُسنها.

لا ترسمه كوحش ..

لا تجرده من إنسانيته ..

لا تلغنه .. العن الأجهزة التي صنعتها، والجهل الذي شكّله بهذا الشكل.

صلاح نصر أشهر رئيس للمخابرات المصرية التي أدارها في عهد جمال عبد الناصر، قبل أن يأمر الأخير باعتقاله ليحكم عليه بالسجن 15 سنة، لكنه لم يقض المدة كاملة لأن الرئيس أنور السادات أفرج عنه في 22 أكتوبر 1974، وفي مثل هذا اليوم 5 مارس 1982 توفي.

[6 مارس]

كان إنساناً...

صار عنصراً أمنياً يتم إطلاقه لافتراس أناس لا يعرفهم!

[7 مارس]

الأمومة: إحساس يُولد مع المرأة.

الأبوة: شيء يتعلمه الرجل مع مرور الوقت.

كل النساء: أمهات.. حتى العاقرا!

[8 مارس: اليوم العالمي للمرأة] لا ترم الناس.. واضربها بوردة!

(1)

الأكراد يقولون: لا ترم المرأة ولو بزهرة.

الهنود - والبعض يقول إنهم الصينيون - يُحدِّدون حجم الرمية وقوتها: لا «تضرب» المرأة ولو بزهرة.

بعضهم أضاف بطريقة تحتل الخبث والالطف:

لا تضرب المرأة ولو بزهرة.. فذلك يُحطِّم الزهرة!

بعض العرب قالوا: لا تضرب المرأة بزهرة.. اضربها بامرأة أخرى!

الخليجيون تحديداً أنتجوا هذا المثل: اضرب النساء بالنساء والهجن بالعصا!!

(2)

المثل العالمي الشهير -والشرير- والأكثر لؤماً، والمصيبة أنه يأتي على شكل نصيحة وموعظة، يقول لك :

إذا كان بيتك من زجاج فلا ترم الناس بالحجارة.

هذه عبارة -على شهرتها- غير أخلاقية.. فقط كن في مأمن واضرب من تشاء من الناس بالحجارة.

كأنهم يقولون لك:

فليكن بيتك قوياً وُصُلباً، ولا بأس بعدها من رمي الحجارة على
الناس!

وربما يقولون:

لماذا لا تستخدم الحجارة لبناء البيت، والزجاج لرمي الناس؟!

(3)

أستاذي د. عبدالله الغدامي - حين شرفني بتقديم كتابي «محاولة
ثالثة»- أخبرني أن أحد العقول الذكية حوّر هذه العبارة بذكاءٍ
وسخرية لاذعة: إذا كان بيتك من زجاج... فلا تستحم!!

(4)

دع عنك بعض ما يُقال، حتى وإن كان شهيراً ورائجاً، وتُرَدِّده منذ
سنوات دون فحص..
يجب أن يقولون لك:

حتى وإن كنتَ في العراء.. لا ترمِ الناس بالحجارة.
أما بالنسبة للمرأة: فلا بأس من ضربها بالوردة، ولكن.. برفق
ومحبة.

وتعلّم كيف تجعل الوردة تتعطرُّ بها وتشمُّ أنوثتها!

[9 مارس]

في «ميدان التحرير»: حرية/ ديمقراطية/ ثورة/ انقلاب!

(1)

الحرية والديمقراطية: ما إن تُذكر إحداهما حتّى الأخرى لتركض بجانبها.. كأنهما شقيقتان، والحقيقة أنه لا توجد أي علاقة نسب بينهما، وإحداهما أكبر من الأخرى، ولكنهما تلعبان في نفس الملاعب:
- أحلام الشعوب.
- ورؤوس الفلاسفة.
- وقصائد الشعراء.

هناك من يقول: إن «الديمقراطية» ابنة «الحرية»..
إذن، كيف ينقلب. أحياناً. من يظنون أنفسهم أحراراً على الديمقراطية؟!
هل هو عقوق الأبناء، أم جهلها؟

(2)

هناك تعريف عام للحرية يصفها بالشكل التالي: «الحرية هي غياب الإكراه».
حسناً.. أنا. على سبيل المثال. أمتلك حرية التعبير.
ألا أحتاج قبلها إلى مؤسسات تعليمية حرة تعلمني متى وكيف وعن أي شيء سأعبر؟

ألا أحتاج بعدها إلى مؤسسات إعلامية تمنحني المنبر الحر لأعبر من خلاله؟

ألا أحتاج - بعد التعبير - إلى قوانين وأنظمة تحميني، وتحمي الآخرين من كلماتي؟!

كيف تكون هنالك «حرية» دون وجود كل هذه الأشياء؟
ستتحول الحرية إلى: عبث.. ومغامرة!

(3)

العربي، في الصحراء، يظن أنه أكثر الناس حرية..
له إرادة حرة، ويقرر ما يشاء، في الوقت الذي يختاره.
باستثناء الطبيعة، لا يتحكم به أي نظام أو قانون.. بل هو يبتكر من القوانين ما يجده مناسباً له.

لا توجد سلطة فوق الأرض تمنعه أو تختار بالنيابة عنه.

- هل هي «حرية» تلك التي تأتي دون مسؤولية؟

- هل هنالك حرية دون وعي بالأشياء حولك، وبالحياتة وما يحدث

فيها؟

(4)

الإنسان بطبيعته كائن حر.. ويظل لديه شوق للمزيد من الحرية.

ما يأتي لاحقاً، في حياته، وحسب الظروف التي يتشكل فيها: يتم

استعباده!

العربي عنصر حر، منذ أكثر من ألفي سنة وهو يتغنى بحريته وعزته
وكرامته.. لكن، هل هو عنصر ديمقراطي؟
وما الديمقراطية؟

أن تؤمن بهذه الآلية التي تمنح - الآخرين - حريتهم وعزتهم وكرامتهم
وحقهم في الاختيار.. وأن تحترم هذا الاختيار.

(5)

العرب أمة حرة قبل أن نعرف «الربيع العربي»..
ولكنها لم تكن أمة ديمقراطية في يوم من الأيام.
الديمقراطية تحتاج إلى وعي، وتراكم معرفي، واحترام لحق الآخر
«المختلف» بأن يكون حراً. لحظتها لن تجد أحراراً يجتمعون في ميدان
«التحرير» ليشاركوها في هدم الديمقراطية، ولن يصفقوا لانقلاب
عسكري!

(6)

في الغالب.. أنت حر. لكن: هل أنت كائن ديمقراطي؟
نعم، السؤال مُوجّه لك أنت يا مَنْ تقف عند علامة التعجب تلك!
هل وُلدت ديمقراطياً، أو إنك وجدت المفردة «الديمقراطية» على
قارعة الطريق، أو في إحدى الكتب وأعجبتك، أو صحوت من النوم
- فجأة - ووجدت نفسك كائناً ديمقراطياً، أو إنك تشكّلت معرفياً
وتراكم لديك الوعي حتى أصبحت هذا الكائن الديمقراطي؟
الديمقراطية - هذه المفردة الساحرة والجذابة - ما الذي تعنيه لك:
الأخذ، أو العطاء؟ أو كلاهما معاً؟

أن (تأخذ) حقوقك تعني: أن (تعطي) الناس حقوقهم.. هل هذا ما تفعله؟

أن يكون لصوتك قيمة يعني: أن يكون لبقية الأصوات (حتى التي لا تحب سماعها) قيمة.. هل هذا ما يحدث معك؟

(7)

هل الديمقراطية تهبط من السماء.. فجأة؟
لا.. إنها تنمو على الأرض.

هل لديك . كفرد - الأرض الصالحة للحث والزرع والسقاية؟
هل ستقبل الزهرة التي ستنمو أياً كان شكلها ولونها ورائحتها..
أو إن هنالك زهرة وحيدة وفريدة - تعجبك وحدك - تظن أن شجرة الديمقراطية ستنبتها لك حسب مواصفاتك وذوقك العام؟

(8)

أنا، وأنت، والكثير غيرنا، نعشق «الديمقراطية» هذه الكلمة الساحرة، ونظن أنها ستحل الكثير من المشكلات، لأننا . ببساطة - نرى المنجز منها لدى مجتمعات سبقتنا إليها.

الديمقراطية: نتيجة.. وليست سبباً.

صنعها تراكم معرفي، ووعي، وإنتاج، وفنون، وثقافة تحترم الإنسان أياً كان لونه ومعتقده وأفكاره المختلفة.

فهل . أنت - بهذا الشكل؟ تحترم المختلف، وأفكار الآخرين، والنتائج التي لا تروق لك والتي ستصدرها لك الديمقراطية.. أو تتخيل الديمقراطية أخرى لا تُشبه أحداً سواك، ولن تأتي لك إلا بأشبهك؟

(9)

يا من تحلم بالديمقراطية: ما موقفك من المختلف معك مذهبياً؟
ما هو موقفك من الإنسان - كإنسان فقط - بعيداً عن كل الاختلافات
بينك وبينه؟

أتخيل إجابتك التي صنعها تاريخك وثقافتك واعتزازك بعرقك
وفكرتك الواحدة!

إذن، كيف تحلم بالديمقراطية، وأنت كائن لا علاقة لك بها.. بل إنك
- دون وعي منك - تحاربها وترفضها!

(10)

أنا، وأنت: كائنات هلامية، تحاول أن «تتشكل» بشكل مختلف..
الربيع العربي جعلنا نظن أننا كائنات ديمقراطية!
ثرنا على المستبد، ولا نزال نعيش ثقافة الاستبداد الذي صنفته.
والجماهير التي نزعته المستبد القديم تشارك كل يوم بصناعة
مستبد جديد!

كان اسمه ميدان الإسماعيلية نسبة للخديوي إسماعيل الذي كان
مفرماً بجمال العاصمة الفرنسية باريس، وأراد أن يصنع شيئاً يشبه
ميدانها الشهير الشانزليزيه. في مثل هذا اليوم - صباح يوم الأحد
9 مارس - حين بدأت أحداث ثورة 1919 صار يحمل اسماً جديداً،
وما يزال يحمله كصفة ورمز، اسمه الأشهر الساكن في ذاكرة جميع
الأحرار، والمرتبط بكل الأحداث التي مرت بمصر خلال القرن
الماضي: ميدان التحرير.

[10 مارس] الفزّاعة

(1)

الفزّاعة: تمثال بدائي بسيط، يتشكل من قطعتين على شكل صليب ويغطى بقماش يوحي لك من بعيد أنه رجل يقف في منتصف الحقل.. ابتكره أهل الحقول ليطرد الطيور حتى لا تأكل محاصيلهم، ويحميها من اللصوص.. أحياناً.

يُقال إن أول من ابتكر «الفزّاعة» هم الفراعنة، ولكل أمة من أمم الأرض «فزّاعاتها» المختلفة، وتغطى بملابس تشبه ملابسهم، وتأخذ أسماء تشبه أسماءهم.

(2)

الخيال الشعبي استطاع أن يحوّل «الفزّاعة» من تمثال إلى حكاية شعبية تُروى للصغار لـ «تفرعهم» وتمنعهم من مخالفة أوامر الكبار.. عودوا بالذاكرة لكل حكايات الطفولة التي شكّلتنا، ستجدونها مليئة بـ «الفزّاعات» والوحوش المرعبة!

(3)

السياسي يستطيع - بمهارة - أن يصنع كل يوم «فزّاعة» جديدة: ينصبها في كل زوايا الحقل.

يمنحها حجماً أكبر من الحجم المعتاد.

يجعلها - عبر الإعلام - ترتدي الملابس المخيفة.

بعد مدّة تنظر إليها برعب، وهي ليست سوى قطعة قماش معلقة في عصا نُصِبَتْ في عقلك!

(4)

الرئيس الأكثر حماقة في تاريخ أمريكا (وربما في التاريخ البشري) جورج بوش الابن استطاع عبر فزّاعة «الإرهاب» أن يربك العالم، ويشعل حربين، ويحتل بلدين، ولقوة أمريكا وإعلامها وجيوشها المدججة بالأسلحة والأقلام والأفلام ومراكز الدراسات تحوّل «الإرهاب» خلال عقد إلى: «فزّاعة» عالمية!

(5)

في رأس كل منا «فزّاعة» لها شكل مختلف.. هذه «فزّاعة» نصبها السياسي، وتلك «فزّاعة» صنعتها الثقافة، و «فزّاعة» ثالثة توارثناها من أجدادنا.. كما حكايات الجدات المرعبة! ومهمة كل فزّاعة طرد طيور الأفكار الحرة من حقل رأسك.

(6)

أهل الحقول يقولون:

حتى العصافير، بعد مدّة، تعتادُ على «الفزّاعة»..
يبدأ خوفها منها بالتلاشي تدريجياً.

تكتشف . بطريقة ما . أنها وهم ، وليست سوى شيء فارغ .
تدور حولها ، وتفني على إحدى يدي الفزاعة ، وتأكل الحَب فوق رأسها!

(7)

بالوعي فقط يمكنك أن تطرد كل فزاعة نصبت على أطرف حقلك ،
أو عقلك .. مهما كان حجمها ، ومهما كانت قوة من صنعها ليرعبك .

في مثل هذا اليوم: 10 مارس 1957 ولد أسامة بن لادن أبن الملياردير
والمقاول الشهير محمد عوض بن لادن وهو الابن الـ 17 من أصل 52
أخاً وأختاً. وفي يوم الأحد 2 مايو 2011 أعلن الرئيس الأميركي باراك
أوباما أن الولايات المتحدة قتلت زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن
في عملية كوماندرز قرب إسلام آباد.

[11 مارس]

لا تسمح لمخيلتك بأن تبتكر لك الأعداء الوهميين، وتنشغل بالحرب
معهم!
العدو الوهمي.. أخطر ألف مرة من العدو الحقيقي.

[12 مارس]

في مثل هذا اليوم عام 2009 محكمة عراقية تحكم على الصحفي
منتظر الزيدي بالسجن ثلاث سنوات بتهمة إهانة رئيس دولة أجنبي،

وذلك لأنه رمى فرديتي حذائه على الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش
في آخر زيارة له للعراق.

[13 مارس]

قال الحذاء:

لو أن المصنع قرّر أن يصنع من جلدي حقيبة بدلاً من كوني حذاء
لحظيت باحترامكم!
للأسف.. أنتم عنصريون، ولا تفكرون بأن أصلنا / جلدنا واحد.

[14 مارس]

بعض القوانين تشبه الأحذية:

في المحل مقاسها مناسب.. خارج المحل ضيقة جداً!

[15 مارس]

شركة آبل تكشف عن الجديد من أجهزتها الذكية.

[16 مارس]

حتى الأغبياء لديهم هواتف ذكية!

[17 مارس]

الشهرة سهلة: اخرج عارياً أمام هذا العالم!
المجد صعب: انسج - وبهدوء - ثوب حكمة يستر عري هذا العالم.

[18 مارس] كتابة على الجدران

(1)

أطفال درعا لم يكونوا يمتلكون حساباً في تويتر - وربما لم يسمعوا به -
عندما كتبوا على الحائط هذه التغريدة: يسقط بشار!
(يسقط بشار) تغريدة كُتبت بالدم..
سيأتي عجوز اسمه «التاريخ» ويفتح حساباً شخصياً في تويتر..
فقط ليقوم بعمل «الرتويت» لهذه التغريدة الفاتنة.

(2)

الولد المشاغب في حارتنا الذي شطب من اللوحة المعدنية اسم الشارع
(الذي يحمل اسم شخصية اعتبارية) ليحوله باسم حبيبته لم يكن
لديه صفحة على الفيسبوك، ولكنه بالتأكيد يمتلك صفحات من
المحبة، والجرأة لإعلان هذا الحب أمام الملأ.
كل الأولاد في حارتنا ضغطوا على زر «أعجبنني» على صفحات قلوبهم!

(3)

تويتر: حائط إلكتروني.. والفيسبوك كذلك..
لا تحتاج معه إلى «بخاخ»..

لوحة المفاتيح كفيّلة بمنحك المساحة والخصوصية والحائط والألوان.. واكتب ما تشاء.

(4)

الإنسان - منذ الإنسان الأول - يحتاج إلى أن يكتب.. يريد أن يقول كلمته.

إنسان الكهف ترك نقوشه على جدران الكهوف.. قبل القلم كتب بأظافره وبالحجارة وبالرسم البسيط.

(5)

إذا أتت سلطة لتمنع الكلمات.. سيبتكر الإنسان ألف حيلة، ويصنع المنابر التي لا تخطر على بالها.

في بعض البلدان جدران الحمامات العامة تحوّلت إلى صحف: صفراء.. وحمراء أحياناً!

(6)

صاحبي البدوي استطاع أن (يُبدون) كل وسائل التقنية: لديه جوال لرسائل القبيلة.

ومنتدى يتحدث عن قصصها و (بطولاتها) من وجهة نظره. وهو في الطريق لامتلاك قناة فضائية سيسمّيها باسم ناقته المفضّلة. ولديه أحدث ما أنتجته التكنولوجيا، وابتكره العقل الغربي من أجهزة

لتحديد موقع طيره وهو يطارد الحبارى.
تستطيع أن تقول بضمير مرتاح:
إن التكنولوجيا تعمل. أحياناً - في خدمة التخلف..
وإنّ العقل الذي ابتكر الآلة لن يحرك بالضرورة العقل الذي
يستخدمها!

الآلة ابنة العقل الذي ابتكرها..
وأنت لست سوى مستخدم / مستهلك، تتقل كل أمراضك وجهلك،
عبر الجدران الإلكترونية.

(7)

لدينا ألف حائط إلكتروني.. ولدينا ملايين «الخربشات» التي تكتب
عليه.

نحن بحاجة إلى العقل الذي ابتكر هذا الحائط..
قبل أن نبتكر الكلمات التي ستكتب عليه.

في مثل هذا اليوم 18 مارس 2011 كانت بداية الثورة السورية من درعا تحت
شعار «جمعة الكرامة»، وذلك بعد أن قامت السلطات في 27 فبراير باعتقال
وتعذيب طلاب مدرسة كتبوا على جدران مدرستهم عبارات مناهضة للنظام
الحاكم.

[19 مارس]

«صح» مطبعي: بشار الأسد..
دخل التاريخ من «أوس...خ» أبوابه!

[20 مارس]

في طفولته كان يخربش على جدران الحي..
كبر وصار يخربش على جدران إلكترونية: فيسبوك، تويتر.
تغير شكل الجدار - وتطوره - لا يعني تغير عقلية المخربش وتطور
وعيه!

[21 مارس]

في الساعة 11:50 من يوم 21 مارس 2006 كتبت أول تغريدة في
موقع وبرنامج إلكتروني جديد اسمه: تويتر، كتبها شاب اسمه «جاك
دورسي» هو مؤسس الموقع.
مهما كان طموحه مرتفعاً، ومهما كان حجم توقعاته، فلا أظن أن
جاك دورسي - لحظتها - يتخيل حجم التأثير الذي سيحدثه هو وموقعه
الجديد في العالم!
شكراً جاك.

[22 مارس]

تويتر: حديقة كونية رائعة..

ومثل كل الحقائق لا تخلو من بعض الحشرات والزواحف!
فلا تجعلوا الحشرات المزعجة، تشغلكم عن العصافير المبهجة.

[23 مارس]

تويتر:

أن تسكب الغيمة في كأس صغير..
وتختصر الحديقة في بخة عطر.

[24 مارس]

يكاد يقتله حب الظهور:

يظن أن الذي يراه سيئاً.. أفضل من الذي لا يراه أبداً!

[25 مارس]

احتقارك لـ «الكلاب» التي تنبح لا يعني
بالضرورة اتفاقك مع اتجاه سير القافلة.
يحق لك في لحظة ما:

أن تلعن القافلة التي تسير، والكلاب التي تنبح وراءها!

[26 مارس]

في مثل هذا اليوم 26 مارس 1979 وُقِّعَت في واشنطن تحت إشراف الولايات المتحدة معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية.

[27 مارس]

في كل أمة ستجد هذه الشخصيات..

عنبرة الفارس: الذي ينتقل من خانة «العبيد» إلى خانة «الفرسان»..
ليصبح حلم الناس الذين يعيشون بالهامش.

وقيس العاشق: الذي يقنعك أن كل قصص الحب العظيمة، هي تلك
التي لا تكتمل. وتكمن عظمتها في إخفاقها!

والمُخَلَّص: الذي تنتظره كل أمة ليحل مشكلاتها ويحقق لها النصر...
بقتل بقيّة الأمم!

ستجد هؤلاء في كل حكاية إنسانية، فقط.. الأسماء تختلف من مكان
إلى آخر.

هذه الحكايات، هي نوع من أنواع المهدئات:
ابتكرها الإنسان ليحتمل الحياة!

[28 مارس]

هل سمعتم عن نعامة تتباهى بحجمها أمام صقر؟
بعض البشر يفعلون ذلك!

[29 مارس]

في السيرك لا فرق بين الأسد والقرد، كلاهما: مُهرج!

[30 مارس]

الفرق بين «الحرية» و«الجزية»: نقطتان..
من منكم يمتلك المحاة؟!

[31 مارس]

في مثل هذا اليوم عام 1492 أصدرت ملكة إسبانيا مرسوماً اشتهر
باسم «مرسوم الحمراء» الذي ينص على أن يتحول جميع رعاياها
من المسلمين واليهود، وعددهم يتجاوز 150 ألفاً، إلى المسيحية أو أن
يرحلوا عن إسبانيا نهائياً!

4

أبريل / نيسان

[1 أبريل]

يكذبون، ويقولون: «كذبة أبريل»!
هذا اليوم أكثر أيام السنة صدقاً.. الجميع يعترفون فيه أنهم
يكذبون.

[2 أبريل]

إنهم يقولون الكذبة بشكل رائع وأنت تقول الحقيقة بشكل بائس.
لهذا، كذبتهم أكثر رواجاً وجاذبية من حقيقتك.
للأسف.. حتى الحقيقة تحتاج إلى قليل من الماكياج!

[3 أبريل]

الكذبة التي سيمضي العمر دون أن تكتشفها:
هي الكذبة التي كذبتها أنت.. عليك!

[4 أبريل]

الحقيقة عندما تتعرّى..
أكثر طهراً وستراً من الخديعة بكامل ثيابها.

التيار الشعبي في السعودية!

صاحبي - والعياذ بالله - أحمق!..

مشغول - يا رعاكم الله - بصراعات التيارات في البلد، فهو مثل الغالبية من الحمقى: إذا انتمى لجهة ما فهذه الجهة في كل ما تقوله وتفعله هي على صواب، والجهة النقيضة لها كل ما تقوله وتفعله هو الخطأ نفسه.. وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد، بل يصاحبه قائمة طويلة من الاتهامات والتشكيك بالنوايا واللغة البذيئة!

عند كل قضية رأي عام يأتي ليطالبني بأن أُعلِّق لافتة على عنقي تحدد الجهة التي أنتمي إليها (بطريقة: أنت معنا ولاّ معهم)؟! هو من النوعية نفسها التي تخرج لك في الإيميل برسالة، وأحياناً ينط عليك بتويتر بسؤال تملؤه الريبة، ومبطن بالاتهام: أنت ليبرالي؟!!

القضايا التافهة تُصنع له بمهارة، وينشغل بها انشغال المؤمن بالعبادة.. يُنفخ له بالون ملوّن كل مدّة، ويُقاتل بحماسة للسيطرة على هذا البالون.. تجده في رسائل الجوال، في الإيميلات، في مواقع التواصل الاجتماعي: يشاكس هذا، ويشتم ذلك، ويوزع البصاق واللعنات والاتهامات على كل من يخالفه! يرى أخطاء مخالفيه الصغيرة جداً بمهارة.. كأنه زرقاء اليمامة. ولا يرى أخطاءه - هو ومن معه - كأنه أعمى البصر والبصيرة.

هو، ونقيضه هناك: كلاهما صورة طبق الأصل من الآخر!
يؤديان دورهما باحترافية عالية (مع أنهما: كومبارس) منذ نصف
قرن، وعلى اختلاف العناوين: يمين/ يسار، صحوي/ حدائي،
تقليدي/ تجديدي، إسلامي/ ليبرالي.
أقصى ما يحلم أحدهما فيه.. مرتبة: تابع!
تشعر معهما أن سؤال (وش ترجع؟) الغبي.. تطوّر بشكل أكثر غباءً،
حتى وإن أوحى لك بأنه تحوّل إلى سؤال فكري!

أتاني - صاحبي هذا - عند آخر قضية وطنية تافهة (وهو يدربي
راسه)، ورمى عليّ سؤاله العظيم للمرة الألف: وش ترجع؟.. أنت مع
التيار الإسلامي ولا التيار الليبرالي؟
قلت له: أنا مع التيار الكهربائي!
تدودلت شفته السفلى حتى كادت ترتطم بالأرض، وقال باستغراب:
هاه؟!

قلت: بلا «هاه».. بلا هم، وأغلق فمك حتى أخبرك بالأسباب التي
دعنتي للانضمام لهذا التيار:
أولاً: هو تيار شعبي ومرحب به في كل بيت في البلد.
ثانياً: هو تيار «تنويري» أكثر من تيارك وتيارهم، والدليل كل أعمدة
الإنارة بالبلد تعمل بسببه.
ثالثاً: هو تيار لا يُفرّق بين طبقات الشعب، ويكره العنصرية، والدليل
أنه يحترم خط 110 وخط 220 ويعمل بعضهما بجانب بعض.

رابعاً: هو تيار مدعوم من الدولة دعماً علنياً، وهذه تجعلك في مأمن!.. وإن كنت لا تصدقتني فاسأل شركة الكهرباء.
خامساً: هو تيار قوي جداً، وصاعق، و«ماس» صغير منه ينقلك إلى المستشفى أو القبر.

و.. أبشركم - من يومها - بطل صاحبي حكاية ليبرالي وإسلامي:
صار «فيس كهرب»!
ولكن، ما تزال فيه بقايا جلافة وشراسة قديمة، تظهر عليه عندما تصافحه: «يلذع»!!

في مثل هذا اليوم 5 أبريل من عام 2000 أسست الشركة السعودية الموحدة للكهرباء بعد دمج أربع شركات موحدة للكهرباء تعمل في المناطق الإدارية الرئيسية الأربع في المملكة بالإضافة إلى عشر شركات لإنتاج الكهرباء تعمل في منطقة الحدود الشمالية للبلاد، إضافة للعمليات التشغيلية لإنتاج الكهرباء التابعة للمؤسسة العامة للكهرباء.

[6 أبريل]

بعض الأغبياء: عباقرة في الغباء!
لأن غباءهم يتألق بشكل عجيب وذكي، تظن معه أن أذكى الأذكى لا يستطيع أن يصل إلى هذه الدرجة المتجلية من الغباء!!

[7 أبريل]

ليس ذنب المطر أن هذا التراب
تحول إلى: وحل.. ولم يصبح: غابة!

[8 أبريل]

هناك مدينة تستطيع أن تبني علاقة مع شوارعها وروحها قبل أن
تصل إلى ناسها.
وهناك مدينة حتى ولو منحتك المنزل والهوية: تشعر أن الغربة
تطارذك فيها!

[9 أبريل]

قرية كبيرة / مدينة صغيرة

(4)

هل المدينة العربية مدنيّة؟

هل هي تنتمي للمدن الحديثة أو إنها عشيرة استبدلت بخيمة الوبر
خيمة الاسمنت؟

حين تشكلت المدن العربية الحديثة.. هل تشكلت معها أخلاق المدينة
وقوانينها أو إنها جلبت معها أخلاق الصحراء وقوانينها وطباعها؟
هل الصحراء نقيض المدينة.. أو إن النقيض هو القرية، والصحراء
حالة ثالثة تمثل البدائية الأولى؟

في الصحراء / في القرية: أنت جزء من جماعة.
في المدينة: أنت فرد مستقل. هل تشعر باستقلاليتك؟
المدينة العربية - في الغالب - لم تعد تلك القرية ولم تصل إلى أن
تكون تلك المدينة الحديثة التي تصنع علاقاتها، ومؤسساتها المدنية،
وانسانها الحر المستقل بنفسه..
ما تزال مدينة يحكمها شيخ عشيرة.

(3)

المدينة العربية بشكلها التقليدي تتشكل حول المسجد.
المسجد / الجامع / كدار عبادة ودار معرفة يرتاده العلماء وطلبة
العلم، هو نواة المدينة ومركزها، وحول المسجد يتشكل (السوق)
بقوته الاقتصادية وحرية البيع والشراء فيه، وحول هذه الدائرة تمتد
المدينة.
الآن.. مركز الشرطة هو نواة المدينة!

(2)

المدينة: بناء...
وهدم للقرية والصحراء!

(1)

في القرية: أنت لست سوى جزء من جماعة.
في المدينة: أنت فرد حر، وجزء ينتمي إلى جماعات مختلفة شكلتها
المدينة.
هل تمنحك المدينة العربية هذه الحرية وهذه الانتماءات الفكرية
المختلفة؟

القرية: ثبات.

المدينة: حراك.

هل تشعر في المدينة العربية بأي حراك أو تغيير أو ابتكار جديد؟

القرية: حكاية شعبية.. خرافية!

المدينة: رواية حديثة.

في المدينة العربية ما نزال نردد الحكايات الخرافية.. ونصدقها!

(0)

يقول جبرا: ليست المدينة العربية إلا قرية كبيرة!

(1)

يفتح متجر الملابس الشهير فرعه الجديد في تلك المدينة الصغيرة:

في البداية، يُراعي ذوق المجتمع المحافظ بما يجلبه من ملابس..

بعد فترة، يتم تمرير ما يشاء من الملابس، وتبدأ سلطة الموضة

بالتحكم بالمزاج العام والذائقة.

يتسلل المتجر إلينا - بهدوء - ليحدد ملامحنا وأشكالنا الخارجية.

بعد سنة، يحدد هذا المتجر ما يلبسه أولادنا!

(2)

في نفس تلك المدينة الصغيرة، وفي إحدى زوايا الشارع الرئيسي فيها:

يفتح المطعم الشهير فرعه الجديد الذي يقدم الوجبات السريعة.

تتغير عادات الناس الغذائية.

يفقدون - مع الوقت - بعض طباعهم الطيبة وعاداتهم: شكل السُفرة،

اجتماع العائلة حول وجبة واحدة في توقيت واحد، المشاركة.

بعد فترة: تكتشف أن المطعم العالمي هزم تاريخ المطبخ المحلي. بكل ما يعنيه. بعلبة مايونيز وشطه حارة!

(3)

هذه المدينة الصغيرة، في خطابها ومواعظها وأحاديثها اليومية، تتباهى كثيراً بهويتها.

مطعم صغير، ومتجر ملابس: في ليلة وضحاها يغيران ما تأكله وتلبسه..

يلغيان عاداتها ويمنحانها عادات جديدة، وما تزال تتباهى بهويتها! مجتمع هش، ومدينة «معولة» بلا معالم، يتم تشكيلها كل يوم بشكل مختلف، وعبر أدوات صغيرة..!

تُرى.. ما الذي يمكن أن تفعله بهما تلك «القناة الفضائية» الموجهة؟!!

(4)

مدينة صغيرة..

أشبه بطفلة صغيرة. في غياب أمها. وقعت في يدها علبة الماكياج. تظن أنها تتزيّن.. وملامحها أقرب إلى ملامح مُهرج!

في مثل هذا اليوم 9 أبريل 2003 سقطت إحدى أعظم المدن في التاريخ، عاصمة العباسيين: بغداد. في ذلك اليوم قام جنود أمريكيان - في بث مباشر - بهدم تمثال الرئيس العراقي الراحل صدام حسين في ساحة الفردوس ببغداد، ورفع العلم الأمريكي على حطامه إعلاناً للسيطرة الكاملة على العاصمة العراقية.

الذين أتوا على ظهر الدبابة الأمريكية يسمون هذا اليوم: «يوم التحرير»!

[10 أبريل]

بيوتهم بلا أبواب..

يخافون أن يأتي الضيف ويخجل أن يطرقها.

يخافون. وفي غفلة منهم. أن تغلقها الريح في وجه عابر سبيل!

[11 أبريل]

بيتنا القديم كان أشبه بقصيدة موزونة مقفاة.

رمنناه.. فكسرناها!

[12 أبريل]

في مثل هذا اليوم عام 1988 جامعة هارفارد تعلن نجاح علمائها في إنتاج سلالة جديدة من الفئران بعد استخدام الهندسة الوراثية أول مرة.

[13 أبريل]

في مثل هذا اليوم عام 1909 تقوم بعض الوحدات من الجيش العثماني المؤيدة لجمعية الاتحاد والترقي بقيادة عصيانٍ ضد السلطان عبد الحميد الثاني ينتهي بخلعه في 27 أبريل.

[14 أبريل]

في مثل هذا اليوم عام 1948 تُرتكب مجزرة في قرية ناصر الدين في طبريا قامت بها عصابات الهاجاناه الصهيونية قتل خلالها 50 فلسطينياً في قرية لا يتجاوز عدد سكانها مئة نسمة.

[15 أبريل]

في مثل هذا اليوم عام 1912 سفينة تايبانك تغرق بعد ثلاث ساعات من إصطدامها بجبل جليدي في المحيط الأطلسي.

[16 أبريل]

في مثل هذا اليوم عام 1988 الموساد الإسرائيلي يفتال في تونس «أبو جهاد» خليل الوزير أحد زعماء حركة فتح.

[17 أبريل]

في مثل هذا اليوم عام 2004 الجيش الإسرائيلي بوساطة مروحية يفتال عبد العزيز الرنتيسي القائد في حركة حماس.

[18 أبريل]

في مثل هذا اليوم عام 1888 يصدر العدد الأول من جريدة المقطم في القاهرة.

[19 أبريل]

على غير العادة في مثل هذا الوقت:

موجة باردة تضرب مدينتي كأنها أنفاس القطب المتجمّد!

لا أحتاج إلى بالطو الصوف.

لا أحتاج إلى المدفأة.

يكفي أن تكوني أنتِ بجانيبي.

ضمة واحدة منك تجعل «سيبيريا» تتجوّل في منتصف الليل، وهي

تلبس قميصها الخفيف ذا الأكمام القصيرة!

[20 أبريل]

الجغرافيا انتهت!

الخطوط المتعرجة التي تراها على الخارطة تكاد تتلاشى.

بطاقة بنكية لحساب جيّد، وهاتف ذكي: هذا كل ما تحتاج إليه

لتتجوّل أي مدينة في هذا العالم كأنها مدينتك.

أنت: كائن «معلوم».. تستطيع أن تتابع شؤون حياتك من أي بقعة،

تتابع حساباتك، تطمئن على أصدقائك، تخبرهم عن تفاصيل الوجبة

التي تناولتها البارحة وطعمها

عبر هاتفك تعرف حالة الطقس للمكان الذي ستجّه إليه غداً..

تجهّز المظلة ليوم ممطر قبل أن تتشكل السُحب.

كانوا يقولون قبل عشر سنوات، مع بدايات انتشار الإنترنت: العالم

أصبح قرية.

قلت وقتها: العالم أصبح غرفة.. أحياناً، تجد مفتاحها في جيب ولد
مراهق!

الآن: العالم في جيبك.. في هاتفك الذكي!

الجغرافيا انتهت.. لكن: ماذا تفعل بـ «التاريخ» الذي يطاردك
ويطاردهم، ويقول: إن جدك قبل ألف عام قتل جده!!
الجغرافيا انتهت.. لكن التاريخ يمارس هوايته المفضلة، ويُعيد رسمها
وتشكيلها من جديد.

[21 أبريل]

التاريخ: ليس دائماً كاتبه «ابن خلدون»..
في بعض الأحيان يكتبه «ابن كلب»!

[22 أبريل]

العمى الحقيقي: أن يكون لديك القدرة على النظر.. ولكنك لا ترى!

[23 أبريل]

عند كل باب مغلق:
المتشائم يرى ضخامة القفل..
المتفائل يبحث عن المفاتيح.

المتهور يفكر بكسره!

[24 أبريل]

من يُردُّ أن ينتصر في حروب «الخارج» المهمة..
فعلية قبلها أن ينتصر في حروب «الداخل» الأهم.

[25 أبريل]

رسالة مفتوحة إلى سمو الأمير

(1)

بين زخم هائل من الكلمات المتفائلة والفرحة و(المادحة) رافقت
ورشة (برنامج التحول الوطني)، التقطت لكم هذه العبارة الرائعة
«نحتاج إلى نقدكم قبل ثنائكم» التي قالها الأمير محمد بن سلمان.
وسبق لي يا سمو الأمير أن كتبت:
الأوطان التي لا تقبل النقد تترهل..
النقد: عافية، وغيابه: مرض.
ليس من الوطنية أن تمتدح أخطاء بلادك!
وقلت مرة.. إننا:
ننشغل كثيراً بنقد الفروع الفاسدة.
وعلىنا أن نتوقف قليلاً ونفكر بالبذرة التي أنبتتها.
فلا قيمة لأي نقد لا يصل إلى العمق!
«نحتاج إلى نقدكم قبل ثنائكم» عبارة رائعة.. ولكن تطبيقها - على

أرض الواقع - يحتاج إلى مؤسسات مجتمع مدني، وقوانين، وأنظمة:
تحمي الناقد وتحفظ حق المنقود!

«نحتاج إلى نقدكم قبل ثنائكم»: سأتكئ على هذه العبارة.. وأبني
الرسالة عليها!

(2)

ورشة عمل (برنامج التحول الوطني) استهدفت وضع رؤية جديدة
لخطط كل وزارة تبدأ عام 2016 وتنتهي عام 2030، ركزت في بعض
جوانبها على مناقشة تقويم أداء الوزراء بحيث يكون الوزير ملزماً
أمام الشعب تنفيذ وعوده وبرنامج الوطني.
حسناً... لا بد من طرح بعض الأسئلة:

- كيف نعرف، خلال هذه السنوات، مدى تنفيذ ونجاح الوزير
لبرنامج؟

- من من الشعب لديه صلاحية مناقشة أداء الوزير، وما آلية ذلك؟

- هل هنالك مؤسسات معنية بمتابعة البرنامج وتقويمه وتقييمه؟

- ألا يحتاج مثل هذا الأمر إلى برلمان له صلاحيات المتابعة والمحاسبة
والمراجعة والتقويم؟

- ألا يحتاج فعل المشاركة (وتقويم أداء الوزير) إلى تفعيل مؤسسات
المجتمع المدني وتوسيعها؟

الفكرة رائعة - يا سمو الأمير - وطموحة..

والأعمال العظيمة تبدأ بأحلام عظيمة، وإصرار وعزيمة لا يهابان
الفضل..

ولكن الذهاب إلى المستقبل يجب أن يتم بكامل الحمولة وبكل
التجهيزات اللازمة للرحلة الطويلة والصعبة، فالسيارة القوية
الفخمة اللامعة لا يمكنها - على سبيل المثال - أن تكمل الرحلة
بإطارات مهترئة!

(3)

لو كنت بينكم - يا سمو الأمير - لقلت لكم إن (برنامج التحول
الوطني) يحتاج إلى قواعد صلبة تُبنى عليها أحلامنا.. وهي:
- إرساء دولة المؤسسات والقانون.

- إصدار قوانين تحمي الناس جميعاً من أي إساءة أيا كان شكلها
ومصدرها.

- منحنا الإحساس بـ «المواطنة» الواحدة أيا كانت لهجاتنا ومذاهبنا
وألواننا ومناطقنا.

- تعزيز ثقافة حقوق الإنسان وجعلها - هي والمواطنة - جزءاً مهماً
في مناهجنا التربوية والتعليمية.

- منح كل المنابر الإعلامية - أيا كان توجهها والتيار الذي تنتمي إليه
- المساحة الآمنة للتعبير عن رأيها تجاه أي قضية.

- منح المواطن حقه بالعلاج والتعليم والسكن وإيجاد العمل.. ليشعر
أن له كرامة تحفظها الدولة وتصونها.

- إعلان حرب حقيقية ضد كل أشكال الفساد لا تستثنى أي فاسد

مهما كان اللقب الذي يسبق اسمه وأيا كان اسمه الأخير.
وبخصوص الفساد - على سبيل المثال - عندما يكون لدينا هيئات
ومؤسسات وأجهزة حكومية تحمل أسماء: هيئة مكافحة الفساد،
وهيئة الرقابة والتحقيق، وديوان المراقبة العامة، والمباحث الإدارية،
وهيئة التحقيق والادعاء العام.. وجميعها تدور أعمالها ومهامها حول
«الفساد» واكتشاف أسبابه والتحقيق حوله ومقاومته ومحاولة القضاء
عليه... ومع هذا: نرى السيّد «الفساد» يتجول في شوارعنا بكامل
عافيته وعنفوانه.. علينا أن نعترف أن الخلل عظيم، والعلاج يحتاج
إلى علاج!

- لا يمكنك الذهاب إلى المستقبل دون معالجة أخطاء الماضي.
وسيارة «المستقبل» لا تحتمل أن يكون أحد ركابها «الفساد»... هذا
سيجعلها تنقلب عند أول منعطف!

(4)

يا سمو الأمير: قبل ثلاثة عشر عاماً في أكتوبر 2002 أعلن معالي
وزير التخطيط الأستاذ خالد القصيبي (الرؤية المستقبلية للاقتصاد
السعودي) التي - تزعم - تحديد معالم الرؤية المستقبلية للاقتصاد
2020 - السعودي حتى عام 1440.

ما الذي حدث لهذه الرؤية؟.. أين ذهبت توصياتها؟.. هل فشلت
«الرؤية» في رؤية المستقبل؟.. أو إنها أضاعت الطريق إليه؟.. أو إن
«السيارة» تعطلت أو انفجر أحد إطاراتها في منتصف الطريق؟...
فقط أتساءل!

(5)

«نحتاج نقدكم قبل ثنائكم»..

وغالبية القوم - يا سيدي - انشغلوا بالثناء.. وأنا حاولت أن «أنقد»
بمحبة.

لا تثق أيها الأمير بمن يصفق للأعمال قبل إنجازها!
وجميعنا يا سمو الأمير سنشاركك الحلم، ونشد على يدك، ونساندك،
وسترافقك دعواتنا الصادقة وكلماتنا الطيبة.. الحاملة ببلد رائع: بلد
يكون فيه الإنسان وكرامته ورفاهيته العنصر الأول والأهم والأعظم
في أي برنامج يخطط للذهاب إلى المستقبل.

في مثل هذا اليوم 25 أبريل من عام 2016 وافق مجلس الوزراء السعودي
على (رؤية المملكة 2030) الصادر بشأنها قرار مجلس الشؤون الاقتصادية
والتنمية الذي يترأسه ولي ولي العهد الأمير محمد بن سلمان.

[26 أبريل]

هناك من يتحدث عن إصلاح «بيته»، وليس في ذهنه سوى تغيير دهان
السور الخارجي!
بعض البلاد تتعامل مع الأمر بالطريقة نفسها.

[27 أبريل]

المشاركة في (بناء التاريخ) شيء..
وترميم (المبنى التاريخي) شيء آخر!

[28 أبريل]

رأسٌ مُفَخَّخٌ بفكرة متطرّفة
أخطرُ من جسدٍ مُفَخَّخٍ بحزامٍ ناسفٍ.

[29 أبريل]

زواج أدولف هتلر عشيقته إيفا براون في 29 أبريل 1945.

[30 أبريل]

الفنان أدولف هتلر!

الفنان الحقيقي: إنسان غير طبيعي!

من يصدق أن «هتلر» - بجانب الكتابة - كان رساماً في بدايات حياته؟
تخيّلوا.. لو أن أحدهم قال له، ولو على سبيل المجاملة: «أنت فنان
عظيم، ورسمك عبقرى»، وأصبح الرسم شغله الشاغل، لربما نجا ٤٥
مليون نسمة قضاوا في الحرب العالمية الثانية.

تخيّلوا.. كم إنسان (مشروع مجرم) أنقذنا الفن منه ومن جرائمه؟!!

الفن: علاج.. ومرض!

الكذبة الكبرى في الفن هي تلك التي تقول لك: إن المعاناة تنتج الإبداع.

ما أكثر الذين عانوا في حياتهم بأشكال، ولأسباب مختلفة، ولم يستطيعوا أن ينتجوا سطرًا/ عطرًا/ فكرة/ جملة... أو أي شيء مذهل.

الحقيقة أن الإبداع لا ينتجه سوى الحب والشفف والبحث عن المجد والخلود.

في مثل هذا اليوم 30 أبريل عام 1945 انتحر السياسي والفنان والكاتب والرَّسَّام وزعيم ألمانيا النازية أدولف هتلر مشعل الحرب العالمية الثانية: أقسى وأشرس حرب عرفتها البشرية. انتحرت معه زوجته إيفا براون، وذلك بعد يوم واحد من زواجهما!

5

مايو / أيار

[1 مايو]

يستطيع «السياسي» بما يمتلكه من أدوات أن يصنع لك «بالوناً»،
وينفخه بطريقة مثيرة تشد انتباهك، ويركز عليه الأضواء، ويطلقه في
الفضاء، ليتحوّل «البالون» إلى: قضية رأي عام!
وينشغل الناس (ومعهم قادة الرأي العام!) بالبالون، وشكله، وحجمه،
ولونه، ويختلفون حوله.. و..و... وبعد مدّة، يفجر السياسي «البالون»
في احتفال مهيب.. ويحظى بالتصفيق!

عزيزي القارئ:

سواء رأستك مليئة بالبالونات الملونة!

[2 مايو]

لا رأي لـ «الرأي العام»!

ما «الرأي العام»؟.. هي عبارة هلامية، مثلك تماماً!
ومن الذي يقوم بصناعته؟.. لا تعرف!

هل تظن أنك أصبحت شريكاً بصناعته (لأن التكنولوجيا والإنترنت والهواتف الذكية منحتك الكثير من المنابر) ٥.. ربما لا ، وربما: أنت جزء من هذه اللعبة الكبرى . دون وعي منك . وتشارك بصناعة «الرأي العام» دون أن يكون لك رأي!

الإعلام يستطيع أن يقنعك بما يشاء:

من مشروب فواكه جديد أو شامبو للشعر، إلى فكرة جديدة وواقع جديد تعتأده بعدما كنت ترفضه. يروج لك المشروب والفكرة، ويفلفهما بغلاف براق، ويرسلهما إلى منزلك: واحد لبطنك، والأخرى لعقلك. وأنت جاهز لاستهلاك أي منتج!

عزيزي المتلقي.. عزيزي المشاهد:

لا تظن أنك أنت الذي يتحكم بالريموت كمنترول أمام الشاشة ..
الريموت كمنترول هو الذي يتحكم بك!

في الساعة الخامسة من مساء الثاني من مايو عام 1956 في العاصمة بغداد، وبحضور الملك فيصل الثاني ملك العراق آنذاك، افتتح التلفزيون العراقي أول محطة تلفزيونية في الشرق الأوسط.

[3 مايو]

20 نصيحة لكتابة مقال

سيمنع من النشر!

1- اهرب من العبارات الجاهزة التي تُستخدم خلال عام أكثر من خمسين ألف مرة!

2- لا تبدأ عبارتك بـ «مما لا شك فيه»!

3- لا تجعلني أذهب للقاموس لأعرف معنى كلمة أتت في مقالك..

لأنني سأذهب للقاموس ولن أعود إليك!

4- لا تأت إليّ لتحكي لي ما أود سماعه. أنت هنا ستكون فقرة في

(برنامج ما يطلبه المستمعون).. كن الفقرة المهمة في برنامج (ما

يجب أن يسمعه المستمعون).

5- استفزني!

6- إذا وجدت أن غالبية المقالات خلال أسبوع تتحدث عن فايروس

كورونا فاكتب عن أداء اللاعب أوزيل في فريق أرسنال وتميراته

الساحرة الفاتنة.. حتى لا تموت مقالاتك متأثرة بفيروس كورونا!

7- أدهشني بالنهايات غير المتوقعة!

8- عد لقراءة ما تكتب. تعامل مع الورقة على أنها آخر ورقة تم

تصنيعها في هذا العالم.. واكتب على حافظتها وبالزوايا. اقرأ ما كتبت

مرة ثانية وثالثة وعاشرة. احذف بمهارة ما هو زائد على الحاجة من

الكلمات. زين كل عبارة: كأنها ابنتك في ليلة زفافها.

9- أنت تعيش في منطقة لا يزال «مقص الرقيب» هو الموظف الأهم في أي مؤسسة إعلامية: تعلّم كيف تكتب بمهارة لاعب كرة قدم يجيد المراوغة وسط غابة من دفاع الفريق الخصم ويسجل الهدف دون أن يصاب أو يطرد من الملعب!

10- ردد هذا الدعاء عند صلاتك:

اللهم امنحني العين التي ترى الحقيقة.

والأذن التي تسمعها بشكل جيّد.

واللسان الذي يقولها دون أن يتلعثم.

واليد التي لا ترتجف عند كتابتها.

11- لا تقفز فجأة من فكرة إلى فكرة دون تمهيد.. لأنني أفضل أن

أقفز من الدور الرابع على أن أكمل قراءة مقالتي!

12- الأفكار تأتي بهذا الشكل:

هذا المشهد الذي يتجاوزه غيرك.. تقف عنده لترى فيه ما لا يراه

غيرك.

تشم رائحة في الجو لا يشمها أحد سواك.

تلتقط من المشهد التفاصيل التي لا ينتبه إليها الآخرون.

تسأل اللون الأزرق لماذا أصبح أزرق تحديداً.. وتستدرجه ليكشف لك

سرّه!

تقبض على هذه الكلمة العادية التي يتداولها الناس بلا مبالاة؛ لتخلق

منها شكلاً آخر..

وتفجر الـ(ضوضاء) التي تسكن رأسك لتصنع منها: ضوء... ضاء.

الكتابة:

أن تكتب كلمة (بح .. ر)...

وقبل أن تصل إلى الرء ترى الأسماك تقفز فوق أوراقك!

13- لا تصدق نجوم الكتابة حين يتحدثون عن «طقوس الكتابة»..

نجوميتهم جعلتهم يبتكرون هذه الأكاذيب الفاتنة ظنا منهم أنها

تزيد جاذبيتهم وسحرهم!

14- لا تحزن حين يؤجل نشر مقالتك، لأن الصفحة محجوزة بالكامل

لإعلان عن حذاء إيطالي فاخر.. وتذكر أن من قيمة إعلان الحذاء

سيتم -آخر الشهر- دفع مكافأتك!.. ولا تستغرب إذا رُفض مقالك

الذي لم يتجاوز أي (ممنوع)، وكان ينتقد أداء إحدى الشركات...

فلربما كان للشركة عقدٌ إعلانيٌّ بالملايين مع صحيفتك!

قلت لك سابقا:

لا يوجد في هذا العالم إعلام حر..

يوجد إعلامي حر: يقاتل لتمرير «بعض» الحقيقة!

15- مركز المدينة يلتهمه حريق كبير.

نيزك يسقط. فجأة - في طرفها الشرقي.

عشرة من سكانها يصابون بنوبات ذكاء مفاجئ!

أنت لست مراسلا صحفيا.. أنت كاتب. اكتب في خضم هذه الأحداث

.وبحرية - مثل هذه العبارة:

- أفضل «كريم» لتفتيح البشرة.. كلمة: أحبك!

لا تمنح القارئ سلطة مراقبة ما تكتب، ولا تجعله يقف على أطراف

أصابعك كحارس..

الجمهور: قيد حديد.. فلا تظن أنه: أسوارة ذهب!

16- لا تعتمد على ما يتم ترويجه عن مقدار ارتفاع «سقف الحرية»..
اجعل سقفك السماء.

ولا تؤمن بـ «الخط الأحمر».. هو خط وهمي ابتكرته مخيلة أحد
الرقباء.

17- قلت لك إنه في داخل كل كاتب:

شيخ حكيم، وصبي مشاغب.

فلا تسمح للصبي أن يكبر.. وانتبه للشيخ حتى لا يُصاب بالمرهقة
المتأخرة!

وأيضاً.. في داخل كل كاتب: امرأة!

18- لا تحمل الطبل، ولا تكن قارع طبل.. حتى وإن وجدت نفسك

وسط حفلة من قارعي الطبول!

19- قبل أن تحصل على القلم..

عليك أن تحصل على المحاة..

من لا يشطب بشكل جيد، لن يكتب بشكل جيد!

20- لا تقرأ هذه النوعية من المقالات - والذي أكتبه مثلها الآن - وإذا

قرأتها مصادفةً.. فلا تطبق أي شيء من محتواها!

في 3 مايو من كل عام يحتفل العالم باليوم العالمي لحرية الصحافة.

[4 مايو]

حديثك عن الأشياء العميقة بلغة بسيطة: موهبة.
حديثك عن الأشياء البسيطة بلغة عميقة: ادعاء!

[5 مايو]

في القراءة: تجمع حقول الآخرين وحنطتهم وملحهم وماءهم في مطبخك..
في الكتابة: تعجنها لتصنع خبزك الذي لا يشبه لشكله وطعمه..
لتقدمه على موائد الآخرين.

[6 مايو]

أسوأ ما يفعله الإعلام، والأكثر مراوغة:
أن ينشغل بنقد الفاكهة الفاسدة..
وينسى الشجرة، وجذورها، وحارس الحقل!

[7 مايو]

الكتابة عمل سهل جداً:
تخيل أن الورقة كفن..
وحاول أن تموت بطريقة رائعة وأنيقة!

[8 مايو]

الكتابة: ذنب..
يؤنبك ضميرك إن لم ترتكبه بشكل فاحش الروعة!

[9 مايو]

نقرأ.. لنضيق!

نقرأ أكثر.. لنكتشف الدروب.

نقرأ أكثر وأكثر.. لنعرف العلامات ونبدل الطريق.

نكتب.. لنمثل دور «الدليل»!

[10 مايو]

احمل كتابك / فأسك..

تعلم الحفر بشكل جيد..

القراءة دخول في منجم ذهب.. هو: أنت!

[11 مايو]

الكتابة: ليست حبة إسبرين..

الكتابة: عملية قلب مفتوح!

[12 مايو]

رأسه: قبو.

أفكاره: نبيذ.

وكلما تأخرت بالخروج من قبوها، «تعنتت» بالحكمة أكثر.. وأسكرتنا!

[13 مايو] عقدة «الخطوط»!

(1)

هنالك كلمات معينة - هي ومشتقاتها - وبكافة معانيها، تعقدني ولا أحبها.. منها: الخطوط.

طبعاً لا أقصد (الخطوط السعودية) فأنا - ولله الحمد - أعاني فوييا الطيران، ولا يعنيني سوء أو جودة خدماتها... يعني أنا الوحيد في العالم الذي يستطيع أن يقول - صادقاً - إنه لم يسبق للخطوط السعودية أن ألقت حجري دون وجه حق!

(2)

وبالتأكيد لا أقصد (خط السكة الحديد) فأنا في حياتي لم أشاهد القطار سوى في الأفلام.. والقطار الوحيد الذي كان هنالك أمل أن أراه في منطقتنا «لف فجأة»، واتجه صوب القصيم!

(3)

وفي طفولتي كرهت (خط الاستواء) و (خط الرقعة) و (خط النسخ)..

وأكثر ملحوظة كان يكتبها لي أساتذتي هي (حسن خطك)!

والى هذا اليوم خطي هو أحد أسوأ الخطوط في العالم.. والحمد لله
أن النقطة لم تمل إلى اليسار، وتقفز من «الخط» إلى «الحظ»!

(4)

لما كبرت قليلاً عرفت أن المجتمع السعودي ينقسم إلى فئتين كبيرتين:
(خط 110) و (خط 220)

شعرت أننا عدادات كهرباء.. ولسنا مجتمعاً طبيعياً!

(5)

في مراهقتي كرهت طريق (خط الشمال) الدولي.. فكم التهم من
الأقارب والأصدقاء في حوادث مرورية قاتلة. حتى هذا اليوم لا
يمكنك المرور بهذا الخط من حفر الباطن إلى رفحاء دون المرور
بعشرين تحويلة بشعة!

(6)

وعندما بدأت الكتابة في الصحف قيل لي: هذا الموضوع (خط
أحمر)..

ومن يومها، صارت إحدى هواياتي المفضلة: تجاوز هذا الخط!

(7)

بإمكاني أن اغفر لكل (الخطوط) التي مرّت عليّ في حياتي.
بإمكاني أن أتصالح مع بعض (الخطوط).

بإمكانني أن أعالج من فوبيا الطيران، وأحجز.. ويُفنى حجري مثل بقية خلق الله!

ولكن، الخط الوحيد الذي لا أستطيع أن أفهمه، أو أغفر له، أو أتصالح معه هو (خط الفقر)!

بلادٌ فيها كلُّ هذه الثروة، وخيرها وصل إلى مشارق الأرض ومغاربها، و«ترليونير» واحد فيها يستطيع وحده أن يقضي على البطالة وأزمة السكن والفقر وخطه اللعين!

بلادٌ، وحسب بعض التقارير الإقتصادية، تبلغ فيها ثروة المليارديرية أكثر من (851) مليار، وزكاتها - فقط - تتجاوز (21) ملياراً!.. 21 ملياراً.. 21 ألف مليون!.. هذه - وحدها - بإمكانها نسف (خط الفقر) والغاؤه من الخارطة.

(8)

كل الخطوط تهون يا بلادي.. إلا أن أشاهد (خط الفقر) يمشي بجانب (خط التابلاين)!

[خروج عن النص]

وعلى ذكر الفقر، في مايو 2011 أطلق وزير الاقتصاد والتخطيط السعودي - في ذلك الوقت - هذا التصريح المطلق: تم القضاء على الفقر «المدقع»، وأنهم يعملون على القضاء على الفقر «المطلق»! وكتبت له:

- الذي أعرفه: هناك فقر مطلق وفقر نسبي.. منين جت فقر مدقع ؟!

- أبو فقر مدقع، يا معالي الوزير، إما أنه ميت وإما في العناية
المركزة.. فهل بهذا الشكل قُضِيَ عليه؟

- العبارة مراوغة، وتريد أن تبشرك بشيء لا وجود له!

- هل يوجد لدينا (خط فقر سعودي) معتمد رسمياً نعرف من خلاله
من الذين تحت هذا الخط، ومن الذين فوقه بقليل.. بدلاً من مدقع
ومطلق؟.. وركز على (سعودي) فخط الفقر يختلف من مكان إلى
آخر.. عطونا (خطنا) عشان نعرف مدقعنا من مطلقنا!

- سبق أن كتبت لمعالي وزير الشؤون:
أمسك خط الشمال أو خط الجنوب أو خط الساحل.. وسترى خط
الفقر!

ملحوظة غير مهمة:

أعرف أنك وزير الاقتصاد.. ولكن للأمانة، وبكل صدق، بالنسبة إليّ
لا أعرف أن لدينا وزارة تخطيط!

في مثل هذا اليوم 13 مايو 1966 صدر مرسوم ملكي سعودي بالموافقة على
النظام التأسيسي للمؤسسة العامة للخطوط الحديدية، وبمقتضاه حُوِّلت السكة
الحديد إلى مؤسسة عامة لها شخصية اعتبارية، يديرها مجلس إدارة، ويرسم
سياساتها العامة وفقاً لأسس تجارية.

[14 مايو]

حتى الكلام السيء نستطيع أن نقوله بشكل جيّد.
والكلام الجيّد من الممكن أن نقوله بشكل سيء.
لهذا قبل أن تفكر في: «ما» ستقوله.. فكر في: «كيف»!

[15 مايو - 1948]

الجيش العربي تدخل فلسطين إبان حرب فلسطين، وإعلان قيام
دولة إسرائيل، ويعرف هذا اليوم بيوم النكبة.

[16 مايو - 1916]

فرنسا والمملكة المتحدة يوقعان اتفاقية سايكس بيكو، وذلك لتحديد
مناطق النفوذ بعد تهوي الدولة العثمانية.

[17 مايو]

من لا يتذكّر ماضيه.. فلن يتخيّل مستقبله!

[18 مايو]

هنالك من يقول: إن الأمور تجري حسب الخطة المرسومة.
هنالك من يقول: إن الأمور «تجري»... وتتعثّر!

هنالك من يقول: إن الخطة ليست مرسومة بشكل جيّد.
هنالك من يقول: إنه لا توجد خطة أصلاً!
هنالك من يقول...

هنالك من لا يسمع!

[19 مايو]

إنكار الحقيقة لا يلغيها..
ولكنه يجعلها تكبر بشكل مشوّهاً

[20 مايو]

ريموت كنترول

في 20 مايو 2012 مات المخترع الأمريكي «يوجين بولي» الذي ابتكر
«الريموت كنترول» جهاز التحكم عن بعد.
هذا الرجل منحنا شيئاً من الرفاهية وعلمنا الكسل، فالأمر لم يعد
جهازاً يرفع صوت التلفزيون أو يغيّر المحطة إلى محطة أخرى.. صار
كل شيء حولنا يعمل بالريموت كنترول.

قبل مدّة شاهدت فيلماً كوميدياً/ خيالياً، عنوانه «كليك» للكوميديان
آدم ساندلر، يتحدث عن موظف بسيط ورب عائلة، يمنحه مهندس

غريب الأطوار «ريموت كنترول» يتحكم بالحياة: يخفض صوت زوجته، ويجمد مديره في العمل كأنه يُوقف مشهداً في التلفزيون، ويُسرّع في المشاهد والزمن إلى أن يأتي وقت ترقيته.. في النهاية يحقق الكثير من أحلامه؛ ولكنه يفقد الحياة لذتها ويفقد عائلته.. الفيلم متوسط المستوى، ولكن فكرته ذكية ومرحة، وجعلتني أتساءل:

هل هنالك «ريموت كنترول» كبير وخفي.. يُحرّكنا دون أن نراه، ودون أن نشعر بما يفعله بنا؟ هل هو الإعلام؟.. أو هي الأفكار؟ هل نحن الذين نتحكم بـ «الريموت كنترول» أو هو الذي يتحكم بنا؟ من الذي يُوجه الآخر؟

أنت الآن مشغول بمجزرة في سورية، وقبل فترة كنت مشغولاً بالكلاسيكو الإسباني بين فريقي كرة القدم ريال مدريد وبرشلونة، وغداً سيحدد الريموت كنترول الحدث الذي يشغلك به والجهة التي يأخذك إليها!

تلّفت حولك:

ألا ترى أن هنالك من (يتحكم عن بعد) بالجماهير، وأنت واحد منهم؟..

أي «ريموت كنترول» هذا؟

كم هي الأشياء التي (تتحكم بك عن بعد) من عادات وأفكار وعلاقات؟..

أليست هذه الأشياء «ريموت كنترول» آخر؟

كم من الأشياء حولك قد قامت بضغط زر الإيقاف ليتوقف «مشهد»
حياتك عن التقدم؟

من هذا الذي ضغط على زر «إيقاف صوتك»؟!

لماذا تسلمهم (الريموت كنترول) الخاص بك؟

لماذا تسمح لهم بإطفائك؟

من الذي (برمجك) بهذا الشكل، وكيف سمحت لهم بهذا الأمر؟

صدقني، لن يحدث معك مثلما حدث مع «آدم ساندر» ويأتيك

مهندس غريب الأطوار ليمنحك «ريموت كنترول» خيالي يجعل الحياة

أجمل وأسهل.. أنت وحدك من بإمكانه أن يبتكر «الريموت كنترول»

الخاص بك، وأول خطوة لفعل هذا:

كسر كل أجهزة التحكم عن بعد.. تلك التي تتحكم بك!

[21 مايو - يوم الحداد الشركسي]

في مثل هذا اليوم عام 1864 تعلن روسيا نهاية الحرب الروسية

الشركسية، وتجبر الكثير من الشركس على مغادرة وطنهم.

[22 مايو]

ترحيل أكثر من 2 مليون من الشركس، وطردهم من ديارهم بالقوة

من قبل روسيا القيصرية إلى الدولة العثمانية ليتفرقوا بين تركيا

والعراق وسورية ولبنان والأردن.

[23 مايو]

مخيفٌ جداً أن تؤمن جماعة ما بأن:
الفضل الشرير هو الطريق الوحيد إلى الخير!

[24 مايو]

أسوأ الأزمنة تلك التي تجعلك تبحث عن أهون الشرور لتتبعه!

[25 مايو]

الباب الوهمي أخطر وأقوى من الباب الحقيقي.
الباب الحقيقي: يتأكل، يصدأ، يُكسر..
الباب الوهمي: عليك أن تكسر العقل الذي ابتكره لكي تفتحه!

[26 مايو]

عزيزي القارئ: تحسس أنفك.. وعقلك!

(1)

تقول الحكاية:

أن حاكم إحدى البلاد البعيدة، أصابه مرض خطير، فلم يجد الأطباء لعلاج سوى قطع أنفه!.. استسلم الحاكم لأمر الأطباء، وقاموا بإجراء اللازم.. وبعد أن تعافى، ونظر إلى وجهه البشع دون أنف، وليخرج من هذا الموقف المحرج، أمر وزيره وكبار موظفيه بقطع

أنوفهم، وكل مسؤول منهم صار يأمر من هو أدنى منه مرتبة بأن يقوم بقطع أنفه.. إلى أن وصلت كافة موظفي الدولة، وكل منهم عندما يذهب إلى بيته صار يأمر زوجته وكل فرد من أهل بيته بقطع أنفه.

مع مرور الوقت صار هذا الأمر عادة، وجزءاً من ملامح أهل هذه البلدة.. فما إن يُولد مولود جديد - ذكراً أو أنثى - حتى يكون أول إجراء بعد قطع حبله السري هو قطع أنفه! بعد سنوات مرَّ أحد الغرباء على هذه البلدة.. وكان ينظر إليه الجميع على أنه قبيح وشاذ لأن له شيئاً يتدلى من وجهه.. هو أنفه السليم!

(2)

بحكم السلطة، وبحكم العادة التي صارت جزءاً من شكل ذلك المجتمع الصغير، وتلك البلدة النائية:
. صار الخطأ صواباً.. وصار الصواب خطأ.
. مع مرور الوقت تشكلت قوانين جمالية جديدة ترى أن مقطوع الأنف هو الأجل!.. وصار هناك مقاييس أخرى للجمال.. وكذلك للقيح.
. أي شخص يأتي من العالم الخارجي - أنفه سليم - هو شخص شاذ!

(3)

فكروا بهذه الحكاية الأسطورية/ الساخرة، واسألوا أنفسكم بعض الأسئلة:

هل فقدنا أنوفنا؟.. هل فقدنا شيئاً آخر.. الألسن مثلاً؟!

كم من خطأ اعتدناه، وصار أصوب من الصواب.. وندافع عنه لأنه من عاداتنا؟!

كم من شيء نراه (شاذاً) فقط لأنه ليس منا ومن عاداتنا؟
كم من شيء ندافع عنه وبحماسة.. فقط لأنه من (أخطائنا)
القومية؟!

هل أخطاؤنا - لأنها أخطاؤنا الشخصية - هي أهم من صواب
الغريب؟!

(4)

عزيزي القارئ:

تحسّس أنفك.. تحسّس عقلك!

واسأل نفسك: كم من الأشياء قُطعت منك.. وعنك؟

انظر حولك، وحاول أن تكتشف الأخطاء التي توارثتها من الأسلاف،
وتعامل معها بشكل شبه يومي كإرث عائلي يجب المحافظة عليه.
فكك الأشياء..

أخرجها من دولا ب العادة والمألوف..

وضعها على طاولة العقل الناقد، وأعد بناء علاقتك معها من جديد.
واستعد حاسة الشم.. والتفكير!

في 26 مايو من كل عام يقيم نجوم هوليوود حفل «يوم الأنف الأحمر» الخيري،
للمشاركة في حملة خيرية لجمع التبرعات لعدة جمعيات تساعد الفقراء في
كل أنحاء العالم، ويضع فيه المشاهير على أنوفهم الأنف الأحمر المرح الذي
يستخدمه مهرج السيرك!!

[27 مايو]

احذر من بعض الأمثال الشعبية..
فهي مثل الأطعمة الفاسدة التي انتهت صلاحيتها!
لا تتناول وجبة طُبِخت منذ قرون..
فقط لأن الذي طبخها أحد أجدادك!

[28 مايو - 1946]

انعقاد مؤتمر القمة العربي الأول في مدينة أنشاص بمصر برئاسة
الملك فاروق.

[29 مايو - 1856]

عقد الاجتماع التأسيسي الأول للحزب الجمهوري الأمريكي.

[30 مايو]

- ما أفضل الحلول المتاحة لإنهاء محادثة مملة، مع شخص مهمل،
وبأسرع وقت؟!
- تهز رأسك وتردد: نعم.. نعم!
 - تبتسم ببلاهة في وجه الأبله الذي يحدثك.
 - تصرخ في وجهه فجأة!
 - تقطع حديثه وتصدمه بمداخلة من نوع: هل تظن أنه لا يوجد أي

أمل لفوز إشبيلية بالدوري الإسباني؟!

- الحل الأخير: تقتله؟!

[31 مايو]

أكثر الأشياء جلباً للملل:

أن يجبرك لطفك على الاستماع لشخص

يشرح لك شيئاً تتقنه، وتفهمه أكثر منه!

6

يونيو / حزيران

[1 يونيو]

هذا الشهر لا أحبه!

[2 يونيو]

لعبتان لا أحبهما: الملاكمة والفولف.

الأولى: كائنان متوحشان ينقضُّ بعضهما على بعض، ويحاول كل منهما القضاء على الآخر، وجمهور مريض يستمتع بالدماء ويطرب لصوت ارتطام اللكمة التي خلعت أسنان الملاكم الآخر، ويصفق بحماسة لسقوطه على الأرض!

الملاكمة - باختصار - لعبة تخبرك: أن الإنسان كائن متوحش.

والثانية: مجموعة من الرجال الأرستقراطيين بأحذية بيضاء وملابس باهظة كأنهم إعلانات متحركة لأغلى الماركات العالمية، كل منهم يتبعه «خادمه» يحمل فوق ظهره حقيبة ممتلئة بالعصي المعدنية.. في زاوية بعيدة يتابعهم ويتبعهم نحو ٥٠ شخصاً هم في الغالب بعض العاملين لديهم!

[3 يونيو]

في مثل هذا اليوم 3 يونيو 2016 توفى أسطورة لعبة الملاكمة محمد علي كلاي.

لم يكن مجرد ملاكم.. كانت له مواقفه، وقناعاته المختلفة التي لاقت الإعجاب.

وله أقواله وعباراته الفاتنة... منها:

السقوط داخل الحلبة كالسقوط خارجها.

لا عيب في أن تسقط أرضاً.. بل العيب في أن تبقى على الأرض!

وهذه بعض حوادث هذا الشهر الكئيب:

[4 يونيو - 1989]

قوات الأمن الصينية تقمع المحتجين في ساحة تيانانمن، والعالم يشاهد العملية على شاشات التلفزيون.

[5 يونيو - 1981]

بداية ظهور مرض فقدان المناعة المكتسبة / الإيدز.

[6 يونيو - 1967]

القوات الإسرائيلية تدخل القدس، ووزير الدفاع الإسرائيلي يصرح بأنهم استولوا على أورشليم وأنهم في الطريق إلى بابل، وذلك في ثاني أيام حرب الأيام الستة.

[7 يونيو - 1099]

طلائع الصليبيين تصل إلى مدينة القدس تمهيداً لاحتلالها بعد أن استطاعت السيطرة على الجزء الأكبر من بلاد الشام.

[8 يونيو - 1992]

اغتيال المفكر فرج فودة من قِبَل الجماعة الإسلامية.

[9 يونيو - 1967]

سلطات الاحتلال الإسرائيلية تهدم حي المغاربة بمدينة القدس.

[10 يونيو - 1882]

الإسكندرية تشهد موجه عنف بتدبير إنجليزي لتجد المسوّغ الذي كانت تنتظره قواتها المرابطة في البحر المتوسط من أجل احتلال مصر والقضاء على الحركة الوطنية التي يتزعمها أحمد عرابي.

[11 يونيو - 1964]

1964 - الحكم على المناضل نيلسون مانديلا بالسجن مدى الحياة.

[12 يونيو - 1916]

شريف مكة حسين بن علي يعلن الثورة على الدولة العثمانية.

[13 يونيو - 1933]

أدولف هتلر يصادق على إنشاء جهاز أمن الدولة السري الجيستابو الذي يعد من أسوأ أجهزة الأمن في العالم.

[14 يونيو - 1830]

القوات الفرنسية تنزل بميناء سيدي فرج لاحتلال الجزائر.

[15 يونيو - 1805]

بدء الحملة البريطانية الأولى على القواسم في الخليج العربي.

[16 يونيو - 1976]

شرطة جنوبي أفريقيا تطلق النار على مسيرة سلمية نظمها الطلبة السود لمناهضة سياسة التمييز العنصري، وقتلوا خلالها 566 طفلاً.

[17 يونيو - 1800]

الفرنسيون يعدمون سليمان الحلبي لقيامه باغتيال قائدهم الجنرال كليبر.

[18 يونيو - 1999]

وفاة الأديب والفقير السوري الشيخ علي الطنطاوي في مستشفى الملك فهد بجدة.

[19 يونيو - 1965]

انقلاب عسكري في الجزائر ضد الرئيس أحمد بن بلة قام به هواري بومدين.

[20 يونيو - 2010]

إيران تنفذ حكم الإعدام بزعيم حركة جند الله عبد الملك ريغي.

[21 يونيو] «راجح» والوحش!

(1)

في ذلك الفيلم الأمريكي الرائع الذي يحمل اسم «القرية» تأخذك المشاهد إلى هذه القرية الجميلة الوادعة التي تحاصرها الغابات من جميع الجهات، قرية كل ملامحها تقول لك إن زمنها ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر. مشكلة أهل تلك القرية أنهم لا يستطيعون تجاوز حدودها، فالوحوش المخيفة تترصدهم في الغابة وبين أشجارها الكثيفة، وعند أي محاولة للخروج للعالم الخارجي تبدأ الوحوش بمهاجمة القرية وهي تصدر أصواتها المرعبة.

- أول من يدخل الغابة ولا يصيبه شيء: «مجنون» القرية!

- أول من يعبر إلى العالم الخارجي: فتاة عمياء!

وبعد الكثير من التفاصيل والأحداث، تكتشف الآتي: القرية تعيش في زماننا هذا في القرن الواحد والعشرين، والوحوش: كذبة ابتكرها الكبار بزعم حماية القيم والصفار مما يحدث في هذا العالم!

(2)

في رائعة الأخوين رحباني «بياع الخواتم»: يقوم مختار القرية بابتكار شخصية وهمية اسمه «راجح». لا يرى «راجح» هذا إلا المختار، وطبعاً

يتصارع معه والغلبة دائماً للمختر الذي يحمي أهل القرية والذين لا يرونه إلا في خيالاتهم وبصورة مرعبة تفوق الصورة التي ابتكرها المختر ليعزز هيئته وسلطته. تكبر الكذبة ويتضخم «راجع». ينتبه اللصوص إلى عدم وجوده ويبدوون بارتكاب السرقات والصاقها بظهر «راجع».

كبرت الكذبة إلى الدرجة التي لا يستطيع مبتكرها أن ينفيها! صارت «الكذبة» جزءاً من التفاصيل والحياة.

(3)

الكبار - في الفيلم الأمريكي، والمختار - في بياع الخواتم: يتكررون في كل صاحب سلطة..

هناك الكثير من الوحوش المبتكرة، وألف «راجع» افتراضي تتم صناعته لتخويفنا حتى نظل داخل حدود «القرية» المرسومة لنا! - كل يوم يبتكرون «راجع»: جهة - جماعة - شخصية - فكرة. - في داخل كل واحد منا ووحشه الصغيرة، ولا بد من ابتكار ووحش الخارج لتقمع ووحش الداخل فينا! - السياسي - هنا - يبتكر «الكذبة» المناسبة.. ويصنع «راجع» المناسب لكل مرحلة!

(4)

لدى كل أمة «كذبة» كبرى تحافظ عليها أكثر من الحقيقة!

هناك «كذبات» إنسانية عابرة للقارات، الكذبة واحدة وتختلف التفاصيل والأسماء، وهي جزء من الأحلام التي لا يعيش الإنسان دونها.

الإنسان البسيط يبتكر «الكذبة» و«الوحش» حتى لأطفاله الصغار.. يظن أن الكذبة تُربي أكثر من الحقيقة. في التراث الشعبي: «البيع» / «حمارة القايلة»!

(5)

أيها الإنسان:

اطرد كل الوحوش التي تعيش في رأسك.. ولا تصدق أي «راجح» حتى تراها!

لا يوجد وحش أكثر وحشية من: جهلك وخوفك..

اعبر حاجز «القرية» للعالم الحقيقي!

في مثل هذا اليوم 21 يونيو من عام 1986 توفي عاصي الرحباني.

[22 يونيو]

في الأفلام: يسقط الشرير.

في الحياة: ينتج الأفلام!

[23 يونيو]

في السينما . أحياناً . نحب المجرم ، ونحاز إليه ، ونتعاطف معه .
هذا ما يفعله بنا «المخرج» الجيد!

[24 يونيو]

يُقال إن اللون الأسود - وراثياً - هو: أصل كافة الألوان..
فلماذا تسخر من لونك الأصلي؟!
حتى عندما تقول: «أبو لهب من أشرف قريش يصلى ناراً ذات لهب،
وبلال (عبد حبشي) سمع الرسول خشخشة نعليه في الجنة» أنت
ترفض العنصرية بمقارنة عنصرية وبأدوات عنصرية!
ما نزال نصر في ثقافتنا أن نقول لمن يعمل عملاً جيداً، مهما كان
لونه:

«بيّض» الله وجهك... وعلى النقيض: «سوّد» الله وجهك!
هذا العنصري الأحمق ما يزال يظن أن العبودية لون أسود..
من يخبره أن سيّد أحرار العالم في هذا العصر رجل أسود اسمه:
نيلسون مانديلا؟!

[25 يونيو]

من كتابي وصايا:
مانديلا عاش نصف عمره في السجن، ومع هذا كان الرجل الأكثر
حرية. وفي المقابل هناك ملايين البشر لم يسجنوا ولو ليوم واحد..
ولكنهم ليسوا أحراراً!

[26 يونيو] الإرهابي نيلسون مانديلا!

من الذي يكتب القانون؟

هل هم أناس مصلحون وطيبون تخلصوا من نزواتهم وأطماعهم إلى درجة ملائكية وانحازوا للضعفاء والمسحوقين بالأرض؟.. أو إن الذي

يكتبه الأناس الأقوياء ليحميهم ويحمي مصالحهم؟

هل هو في خدمة الغالبية العظمى من الناس؟.. أو إنه يأتي لخدمة

خاصة الخاصة منهم؟

الذين على الهامش - دائماً - يراقبون ما يُصنع، ويكتب.. وينفذون!

الأدبيات، والقوانين تكتفي بمغازلتهم.. وعند النوم تختار السرير

الخاص!

الضعفاء، دائماً، ينتظرون من الخاصة أن يخرج من بينهم من

ينصفهم ويساندهم، ويظلون يقبعون في خانة الضعف التي اختاروا -

وقبلوا - البقاء فيها.

القوانين يكتبها الأقوى.

الكلمات.. يُحدّد معانيها الأقوى.

النص - أي نص - مطواع لتفسير الأقوى.

اللفة - وما تحمله من معان - والكلمات الجديدة بيتكرها الأقوى..

وتصبح - بعد فترة - جزءاً من ثقافة الأضعف.

المزاج العام، ذوقك، ملابسك، طريقة تقديمك للأكل، هواياتك..
يصنعها الأقوى، وأنت تقلده.

تعريفات الولاء والانتماء والوطنية تجدها جاهزة - في القوالب التي
اخترها الأقوى - وعليك أن تؤمن بها.

الأقوياء في هذا العالم - على سبيل المثال - يحددون لك:
من «الإرهابي» ومن «المناضل»؟

ما القانون والنظام؟.. ومن الخارجون عليه؟!

الأقوى ينظر إليك من الأعلى.. يحدد لك كل شيء.. يصنع «الأخلاق»
الجديدة.. وأنت تؤمن بها.

اخترت أن تكون في هذه الخانة:

تنتظر أحداً من «النجبة» ليدافع عنك، وينتزع حقوقك، ويكتب قانوناً
يشبهك.

ألا تعلم أن هؤلاء - مهما اختلفت درجة نزاهتهم - تحركهم
مصالحهم.

تنتظر إنساناً بمرتبة نبي.. وهذا نادر الحدوث!

في مثل هذا اليوم 26 يونيو 2008 يجتمع الكونغرس الأمريكي لِيُسْقَطَ
صفة «إرهابي» عن أحد أعظم قادة الكفاح من أجل الحرية والعدالة: نيلسون
مانديلا. وهذا يعني أنه كان في نظر الحكومة الأمريكية، طوال مدة سجنه وإلى
أن خرج، وأصبح رئيساً لجنوب أفريقيا، وبعد أن ترك المنصب.. حتى لحظة
اجتماع الكونغرس ليلة الخميس 2008/6/26: الإرهابي نيلسون مانديلا!!

[27 يونيو] «هنا قطر» من الجزيرة!

(1)

«قطر» - على نحو ما - تُذكرك:

أن الأسد أشجع من الفيل، وأن البلبل أجمل من النعامه.
فالأشياء لا تُقاس بحجمها.. بل بقوتها وحضورها وتأثيرها.

(2)

تقول بعض الروايات: إنها كادت تصبح إمارة ضمن «الإمارات العربية المتحدة» وفي آخر لحظة - ولسبب ما - قررت أن تبقى «قطر».

(3)

يقول «هيكل» - والحقيقة أنني لا أُصدق كل ما يقوله - ولكنني أنقله لطرافته وذكائه: قال لي الأمير أفكر بإغلاق قناة الجزيرة، لأنها سببت لي الصداق، قلت له اقفل قطر ولا تقفل الجزيرة!
و«الجزيرة» التي استغرب حسني مبارك من صغر حجم مبناها القديم (اللي زي علبه الكبريت) كما وصفه، لم يكن يعلم لحظتها أن علبه الكبريت تلك ستخرج عود الثقاب الذي سيشارك في إحراقه!

(4)

و«قطر» تشبه «الجزيرة»: صغيرة وجريئة ومبادرة ومؤثرة.

بالقوتين الناعمتين: المال والإعلام.. قالت للعالم - كل العالم - أنا هنا.

جيوشها: استثمارات، ومراسلون حول العالم، أسلحتهم: ميكرفونات.. وصفقات.

وعلى كل طاولة مفاوضات: ملف «الجزيرة» حاضرًا

(5)

الناس هناك سعداء، ويمتلكون مرتبة متقدمة بين الشعوب السعيدة،

أما في الرفاهية والثراء فهم يحتلون المرتبة الأولى. و«الجزيرة» ما تزال تبت ما تشاء من الأخبار، ومذيعوها ما يزالون يصرون على أن تبدأ نشرة الأخبار بهذه العبارة: نقدم لكم نشرة الأخبار من قناة الجزيرة (في) قطر.. وليس (من) قطرًا

(6)

خصوم الإمارة الطموحة ابتكروا نكتة تقول: «هنا قطر من الجزيرة». وسواء قالوا «هنا قطر من الجزيرة» أو «هنا الجزيرة من قطر».. في الحالتين:

«الجزيرة» ستسبب لهم الكثير من الصداق.

و«قطر» سيتردد اسمها في كل الجهات.. وتتقدم إلى مستقبلها بجرأة.

(7)

تظل «قطر» أكثر دولة عربية إثارة للجدل على المستوى السياسي، وأي محاولة لتقديم قراءة وتحليل لسياستها الخارجية هي محاولة فاشلة! ستحوّل القراءة السياسية إلى قراءة كف، والتحليل إلى «تجيم»! ربما، لأن السياسة- أصلاً- بهذا الشكل: موقف يناقض موقفاً، وفوضى تصنع نظاماً، ولوحة- لا تكتمل- إلا بألوان متنافرة!

(8)

- في مكان ما في هذه الكرة الأرضية.. سيسأل أحدهم:
- وأين تقع قطر؟
 - وسيجيبه المال والإعلام: تقع في كل مكان في هذا العالم.
 - وبعد سنوات قليلة- في كأس العالم 2022م- سيسأل أحدهم:
 - أين العالم؟
 - وسيجيبه الجميع: في قطر!

في مثل هذا اليوم 27 يونيو 1995 تولى الإمارة في دولة قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، وبعد عام من حكمه وتحديداً يوم الجمعة 1 نوفمبر 1996 بدأ من الدوحة بث قناة الجزيرة الإخبارية. بعد 18 عاماً - وفي الشهر نفسه الذي استلم فيه الحكم - في 25 يونيو 2013 تنازل عن الحكم لابنه الشيخ تميم بن حمد آل ثاني.

[28 يونيو]

اللون الرمادي: لونٌ بلا لون!

كل لون له موقف..

وحده الرمادي بلا موقف.

هولون: جبان..

يدّعي أنه: محايد!

أعشقه في الملبس، وأكرهه في الموقف.

[29 يونيو]

الشيب: حزن أبيض!

[30 يونيو]

الظلام: ضوء أسود!

هذا ما قاله المتفائل.

7

يوليو / تموز

[1 يوليو]

إحدى العبارات الرائعة تقول.. ما معناه.. لا يمكنك تسليط «الضوء»
على «الظلام» لدراسته.. لأنه سيختفي وقتها!... ما الحل؟!
هل نناقش الظلام ونحلله في الظلمة.. أو نكتفي بالقضاء عليه!..
وكيف نقضي عليه دون أن «نراه» ونفهمه!؟

أظن أننا بحاجة إلى عيون خارقة ترى الظلام في الظلام قبل تسليط
الضوء عليه!

من السهل أن ترى النور في الظلام..
لكن من هذا الذي يمتلك القدرة على رؤية الظلام في النور!؟
ويمتلك جرأة التحذير منه.

[2 يوليو]

لأنه اعتاد الظلام.. أصابه الضوء المفاجيء بالعمى.
كيف يمكنك أن تُقنع الجاهل أن المذنب هو الظلام وليس الضوء!؟

[3 يوليو] الجمهور

(1)

السياسي يكذب، وهو يردد عبارات من نوعية: وعي الجماهير!
الكاتب والشاعر يكذبان، وهما يقولان: القارئ ذكي!
الاقتصادي يكذب، وهو يقول: الجمهور لن يقبل...!
الواعظ، والمفني، والإعلامي، واللاعب: جميعهم يكذبون على
الجمهور، الكل يكذب على (الجمهور) وينافقه ويمنحه الصفات
المجانية..
والجمهور يطربه هذا الأمر.. ويصدقه!

(2)

الجمهور يُصَفَّق للصوت الأعلى والأكثر حماسة، وينفّض عن الصوت
الهادئ الحكيم..
يكفي أن يبدأ التصفيق ثلاثة في القاعة لتسمع بعد ثوانٍ مئات الأيدي
التي رتطم بعضها ببعض.. يحدث هذا الأمر دون وعي: عدوى
التصفيق تسري خلال ثوانٍ بين الجموع.. وكذلك البكاء!
هناك «شعور جماعي» تصنعه الجموع.. لا علاقة له بالعقل.. هو في
الغالب فعل عاطفي.

(3)

كل جمهور - مهما كانت نوعيته وحجمه - يحتاج إلى قائد..
من يصعد إلى المنصة، ويقبض على المايكروفون، ويهدر بصوت عال:
سيحصل على نصيبه من الأتباع والجمهور.. فهو يمتلك ثلاثة أرباع
مواصفات القائد!

(4)

ما أسهل الحصول على التصفيق والمريدين:
انظر ما الذي يريده الجمهور وقدمه له.
اخطف الكلمات التي يحبونها من أسنتهم، وأعد إنتاجها لهم.
ابحث عن بيت شعر قديم يُشيد بهوية هذا (الجمهور) وعرقه المميّز!
هات كل الصفات السيئة وألصقها بخصمهم (الطائفي / القومي /
الأيديولوجي /) وأقنعهم أن ثلاثة أرباع مشاكلهم واخفقاتهم
وفشلهم سببها هذا الخصم.
أنت هنا تجاوزت القيادة.. أنت في الطريق للحصول على لقب «بطل»
الجاهير!

(5)

انظروا حولكم.. كل الأشياء التي - يقول الجمهور نفسه - إنها رديئة:
من الذي يقوم بترويجها؟
هو (الجمهور) نفسه!

هذه الأغنية الرديئة.. من الذي يستمع إليها ويشترى إسطوانتها؟..
الجمهور.

هذا البرنامج الرديء الذي يقوم مقدمه بتفسير الأحلام وطرد الجان
عبر البث المباشر.. من الذي جعله الأكثر مشاهدة؟.. الجمهور.
هذا الكتاب الأقل من العادي.. من الذي جعله الأكثر مبيعاً؟.. من
الذي اشتراه؟.. الجمهور.
انظروا حولكم:

ستجدون حتى أكثر الأشياء رداءة وقبحاً لها مریدون وأتباع وجماهير
تصفق لها وتدافع عنها.

(6)

وسط ضجة الجمهور تختفي أصوات الحكماء وتضيع الكلمات العاقلة!
الجمهور: سيل جارف..

إمّا أن تجري معه، وتجوو.. وتلك خيانة!
وإمّا أن تقف على ضفاف الهدير، وتلتزم الصمت إلى أن تنتهي
الضجة.. وتلك سياسة!

وإمّا أن تقف في وجهه (إن لم تمت ستتهم بالجنون)... وتلك
شجاعة، وبعضهم يسميها: حماقة!

(7)

الجمهور: قيد..

يظن. أنصاف المشاهير. أنها: إسوارة!

(8)

الجماهير.. في الغالب. تعرف الخطأ، وتراه بشكل جيّد، وربما:
ترفضه..

لكنها لن تدلك على الصواب!

(9)

لا تصدقوا العبارة التي تقول لكم: إن الجماهير أسقطت النخب!
الحقيقة أن «بعض» الجمهور - بسبب نعمة التقنية - امتلك المنابر،
وصار يوحى له أنه من النخبة.

النخبة لا تسقط... بعض الجمهور ارتفع إليها!
والتغيير، حتى وإن صنعتة الجماهير.. ستأتي النخب تالياً لتقطف
ثماره، وتحدد اتجاهه!

(10)

الأغلبية.. غيبّة!

[خروج عن النص/ دخول في رأس الجمهور]

هل تنظر لـ «المسألة» - أي مسألة - بعيداً عن التأثير الذي يصنعه
قبولك - أو رفضك - لصاحبها؟ ..
هل ناقشتها ووصلت إلى النتيجة، أو إنك استلمت النتيجة جاهزة،

وتعاملت معها على أنها الحق، والحل، والقول الذي ليس بعده قول؟
لماذا تتعامل مع اختلاف في معك - أحياناً - على أنه اختلاف مع أشياء
أكبر منك ومني: إما ببعدها المقدس، وإما الوطني.. وأن أي قول
من أي زاوية مختلفة هو قول غير مقبول؟.. ثم: كيف تصنع مني -
ببساطة متناهية - الخصم الذي يجب القضاء عليه؟
عصبيتك لصاحب (القول) هل تجعلك تتعامل مع قوله على أنه
الحقيقة النهائية؟

هيبة صاحب (القول) والمكان الذي ينطلق منه و(موقعه) هل تمنح
قوله لديك حصانة وقيمة؟

هذا الذي يقف على (المنبر) والآخر الذي يخاطبك عبر (الشاشة)
والثالث الذي يتحدث إليك عبر (الزاوية) الصحفية.. لماذا تجعل
(مواقعهم) تمنح كلماتهم وأقوالهم شكلاً من أشكال الحصانة،
وترفض أن تراجعها بعقلك؟..

أنت من العامة.. الدهماء.. الجماهير...

كل قضية أنت وقودها، وكل ضجة أنت صراخها المدوي، وكل يوم وأنت
من جنود (مسألة) جديدة!

بالأمس كنت في (مسألة) واليوم (مسألة) وغداً (مسألة)..

وأنت: نقطة ماء صغيرة في سيل جارف!

من الذي صنع هذا السيل؟.. لا تعرف. بالضبط. مع أنه يخيل لك
أنك تعرف!

إلى أين سيتجه هذا السيل، وسيصب في أي وادٍ؟.. لا تعرف أيضاً
ولماذا سال في هذا الوقت تحديداً؟..

ولماذا - على سبيل المثال - سال إلى هذه المسألة (قيادة المرأة للسيارة) ولم يجبر ماؤه إلى تلك المسألة (المال العام) الأهم؟
لم تسأل، ولن تسأل.. فالأسئلة تحتاج إلى عقل!..
فأنت أخذت (القول) على أنه الحقيقة النهائية، وأي مناقشة لها هو تشكيك في الحقيقة، أو مشروع رفض لها!
منحت نفسك قداسة الحقيقة، وتتنظر لأي مختلف معك بريية،
وتستعد له كما تستعد لأي خصم!
وأنت نقطة صغيرة، تشعر بقيمتك لأنك جزء من السيل الجارف،
هذا السيل الذي سيجرف كل من يقف أمامه.. هل سمعت بسيل
توقف ليناقش الأشجار في الوادي؟!
أنت من (العامة) من (الدهماء) و(الرعاع)!..
ودورك في المشهد: (نقطة ماء) في (سيل) له هديره.
هل غضبت!؟.. أنت الذي وضعت نفسك بهذا الموقع، وأنت الذي
عطلت عقلك، وجعلت الآخرين يفكرون بالنيابة عنك!..
ويقررون بالنيابة عنك، ويشكلون منك ومن أشباهك كل (سيل) وكل ضجة،
ويوجهونها للجهة التي يريدونها. بل إنك في هذه اللحظة لا تفكر فيما
أقوله لك، بل تفكر برفض ما أقوله لك، وتفكر بألف طريقة بكيفية
الانقضاض عليه وتسفيهه!.. لعله لم يرق لك!؟.. لعله لامس شيئاً في
داخلك.. وأنت لا تحب التفكير، فالتفكير يفضحك أمام نفسك!؟..
لعلك تراني خصماً لك.. وستجد حلاً لإفغائي وإفغاء كل ما أقوله ألا
تكتفي بجعلي خصماً لك وحدك، بل خصماً للجماعة ولكل ما تؤمن
به!؟

من الممكن أن تصنع مني عدواً قومياً، وتبحث عن التهمة المناسبة!

ولكن، من المحتمل أن تُرضي نفسك، وتقول: لقد صدق!.. والرضا ينبع من أنك تُخرج نفسك من هذا المقال - والمعنيين فيه - وكأنك خارج المشهد.. وتشاركني بفضح المشهد، وتتسى أنك جزء منه!

تشعر بريبة كبيرة تجاه ما قلته لك!
خطوط الدفاع لديك استنفرت كل دفاعاتها، وشحذت كل أسلحتها، فمن أنا حتى أشكك بعقلك؟!.. أو أربك السائد الذي اعتدته؟
والحل الأسهل لديك: رفض المقال.. والتشكيك بنوايا صاحبه!
أرجوك:

راجع أقوالك، ومواقفك، تجاه ما يحدث حولك..
حرّك هذا العقل، وقرر ما تراه، بعيداً عن وصايات الأوصياء..
وتذكر: أنا لست خصمك!

أرجوك.. اقرأ الفقرة الأخيرة مرة أخرى، وهذه المرة: لا تحمل معك أحكامك المسبقة!

في مثل هذا اليوم 3 يوليو 2013 قام الجيش المصري بانقلاب عسكري تحت قيادة عبد الفتاح السيسي وعزل الرئيس المصري المنتخب محمد مرسي وعطل العمل بالدستور وقطع بث عدة وسائل إعلامية وكلف رئيس المحكمة الدستورية عدلي منصور رئاسة البلاد.

بعض الأطراف في المعارضة المصرية المؤيدة للتدخل العسكري ضد الرئيس المنتخب ترفض تسمية انقلاب فهي تعتبر ما حدث ثورة!

غالبية الجمهور الذي صنع ثورة 25 يناير هو نفسه الذي شارك بصنع الانقلاب العسكري.. أو: الثورة.. أو: الثورة ضد الثورة.

[4 يوليو]

لا يكن موقفك - تجاه أي قضية - كأنه فقرة في برنامج «ما يطلبه المستمعون».. تحركه رغبات الجماهير!

[5 يوليو]

كم هو قاس ومؤلم أن تكتشف في آخر العمر أنك لم تكن:
سوى «جندي» صغير في لعبة شطرنج كبرى!

[6 يوليو]

النبيُّ والطاغيةُ!

في مثل هذا اليوم 6 يوليو عام 1881 اكتشفت مقبرة رمسيس الثاني الذي يميل معظم الباحثين إلى أنه (فرعون الخروج) الذي عاصر نبي الله موسى.

أستاذ التشريح الفرنسي موريس بوكاي، الذي أعلن إسلامه بعد تشريحه لجثة فرعون، له رأي يقول فيه إن موسى عليه السلام عاصر فرعونين: الفرعون الذي رباه في قصره رمسيس الثاني، وابنه

مرنبتاح والذي يرى أنه (فرعون الخروج) الذي تصادم مع نبي الله
وطارده هو وبنو إسرائيل.

أشهر المخالفين لهذه الآراء هو مصطفى محمود رحمه الله، حيث
يقول: فرعون الخروج كان من الهكسوس الوثنيين وتحديداً الملك
السادس.

(1)

من الماء بدأت الحكاية..

وفي الماء انتهت آخر فصولها.

الطاغية فرعون رأى في منامه رؤيا مرعبة، فسُرت له: بأن صبيًا
سيُولد، سيكون ذهاب ملكه على يديه، وكان موسى -عليه السلام-
الذي وضعته أمه في تابوت، ورمته في اليم؛ خوفًا عليه من الفرعون،
الذي أصدر أوامره بإحصاء النساء الحوامل، وقتل كل طفل يُولد..
وفي الماء -في نهاية القصة- ينشقُّ البحر ليبتلع الطاغية وجنوده.
الحذر لم ينفع الملك، وقتله لبقية الأطفال لم يمنع نجاة الطفل الذي
سيهدم ملكه، بل إن قدر الله جعل الأمواج تُرسله إلى أطراف قصره؛
ليعيش الطفل الضعيف، الذي لا حول له ولا قوة، في مقرِّ الحكم.

(2)

كان موسى -عليه السلام- نموذجًا للمصلح، والثائر على الطغيان والاستبداد:

هل هنالك نموذجٌ أرقى وأنبى من نبي؟
أمَّا الفرعون فقد أصبح اسمه ولقبه نموذجًا ورمزًا لكلِّ الطغاة والمستبدين.

(3)

سقط الطاغيةُ وجنده.

تفرَّق السحرة.

تمزقت أعلامه وإعلامه.

وكلمات الفصحاء حوله هزمتها كلمات نبي يتلثم!

انتصرت دعوة موسى -عليه السلام- وكلماته ..

أمَّا الفرعون الطاغية المستبد، فقد ظلت جثته السليمة إلى هذا

اليوم، تُنقل من متحف إلى متحف؛ لأن الخالق سبحانه قال: ﴿الْيَوْمَ

نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾، ورغم وجود هذه الآية، ما يزال

التاريخُ البشريُّ كلُّ فترةٍ يُنتج المستبدين والطغاة، ويصنع الآلهة

الهشة.

وانظروا إلى المفارقة المدهشة، والتكريم الإلهي:

هذا النبي الذي يتلعثم في كلامه (ويشكو من عقدة في لسانه) يختاره
الله سبحانه ليكون: كليم الله!

(4)

أغرب ما في حكاية الطاغية فرعون، ونبي الله موسى:
أن الطاغية رأى البحر ينفلق إلى نصفين، ليعبره نبي الله وأتباعه..
ومع هذا يُصرُّ الطاغيةُ على أن يستمر في المطاردة!
يرى المعجزة تحدث أمامه، ولم تُقلِّ من جبروته، وطفيانه، وإصراره
على المطاردة.
ألم يفكر، ولو للحظة: أن الذي فلق البحر لموسى سيجعله يرتد عليه،
وعلى جنوده؟
ما الذي يفعله الاستبداد والطفيان بالمستبدين والطفاة:
هل يُصابون بالعمى؟
هل يفقدون السمع؟
ألا يسمعون، ويرون ما يحدث حولهم؟
لماذا - وعلى مدى التاريخ، واختلاف الحكايات - يكرِّزون الأخطاء
نفسها؟!

(5)

ستجد أمام كل موسى: فرعون..
لكنك لن ترى أمام كل فرعون: موسى!

[7 يوليو]

ما يزال هذا العالم يصر على محاربة الإرهاب.. وإعادة إنتاجه
والساسة لا يستنكرون التوحش..
يستنكرون «بعض» المتوحشين !

[8 يوليو]

قتل بشع.. وقتل أنيق!

مكتبة الرمحي أحمد

(1)

يصفون بعض الحروب بأنها: «حرب قدرة»..
هل هنالك حروب نظيفة؟!

(2)

هذا «الولد» أربكته كمية الدماء المهدرة في أنحاء الخارطة العربية
خلال السنوات الماضية.

اهتزت «هويته» وقناعاته وأحلامه المشروعة بحياة أفضل، ومجتمع
أجمل، وقوانين تحترم إنسانيته وخياراته، ولا تُفرّق بينه وبين آخر
لاختلاف في اللون أو المذهب أو الفكرة أو العرق.
ثم أتت «داعش» لتهز عقيدته... جعلته يطرح أسئلة من هذا النوع:

- لماذا ينتج الإسلام فرقة متوحشة ودموية مثل داعش؟
- هل كل تاريخنا «داعشي» ولم ننتبه.. لأنه «تاريخنا» الذي نتباهى به حتى وإن كانت تفوح من سطره الدماء؟
يصل إلى قناعة تهز كل قناعاته السابقة، ترتبك روحه وفطرته، يشعر بالغضب من كل ما يحدث حوله، يرى مشهداً متوحشاً لأناس يكبرون.. يكتب عبر حسابه في أحد مواقع التواصل الاجتماعي: أعلنُ كفري بالإسلام!

يا بني.. الإسلام ليس داعشاً
أعداء الإسلام لو اجتمعوا لابتكروا فكرة لتشويه الإسلام لما استطاعوا أن يأتوا بأفضل من داعش.
الفكرة النبيلة لا يهدمها سوى مؤمن أحمق.. آمن بها بطريقة مختلفة، أو متخلفة!
المؤسسات والأفكار المتماسكة / الصلبة لا يهدمها خصومها مهما كانت قوتهم وذكاؤهم.. يهدمها الأنصار عندما يخالفونها أو يشعرون بالتذمر منها.
كل فكرة.. كل نظرية.. كل رسالة (سماوية كانت أو أرضية) مثلما تنتج المريدين الصالحين الذين يعملون لحمايتها وترويج محتواها ونشره بالمحبة.. تنتج الحمقى أيضاً، الذين يقرؤونها بشكل مختلف، ويتطرفون في تفسيرها، ويكونون الصورة الأسوأ لها.

قال «الولد»: التوحش صفة شرقية.. انظر لهذا الغرب الرائع، الرحيم، المتحضر.. لماذا لا نكون مثله؟
قلت: والغرب له تاريخ من التوحش والقتل..

- اقرأ تاريخ الحملات الصليبية، وستشم رائحة الدم تفوح في كل صفحة.. سترى بلدات بكاملها أبيدت، وأحرق البشر والشجر والحجر فيها.

- الطوائف المسيحية قامت بحروب إبادة بعضها ضدّ بعض:

في باريس - في القرن السادس عشر - قام الكاثوليك بحرق البروتستانت أحياء، وعرّوا نساءهم في الشوارع، وسحبوا أطفالهم منهم، وفي ليلة واحدة أبادوا خمسة آلاف منهم.. وكانت أجراس الكنائس تُقرع احتفالاً بتنفيذ مشيئة الرب على أيدي المؤمنين!

- والأوربي، المتحضر المتديّن - الذي هاجر للعالم الجديد: أمريكا

- قام بإبادة شعب بأكمله «الهنود الحمر» فقط لأنهم مختلفون عنه.. وكان يصفهم بأنهم: متوحشون!

ستقول هذه حكايات قديمة استطاعوا تجاوزها... حسناً، هذا الغرب العظيم له الكثير من الحكايات المتوحشة.. سأروي لك حكايات بعض أبطالها ما يزالون على قيد الحياة:

- هتلر أشعل حرباً عالمية قضت على أكثر من ٥٠ مليون نفس بحجة أن العرق الآري الألماني هو الأعظم والأنبل وبقية الأعراق هي الأدنى.
- أمريكا، ودون أن يرف لها جفن أو يهتز ضميرها الأخلاقي، ألقت على هيروشيما ونجازاكي قنبلتين ذريتين لتقتل وتجرح وتشوّه مئات الآلاف من اليابانيين.

- ما يُوصف بأنه «أفظع مجزرة في تاريخ أوروبا» هذا ما فعله الحلفاء المنتصرون عندما واصلوا قصف «درسدن» مع أن الحرب أوشكت أن تنتهي، وذلك لينتقموا لقتلاهم.. كانت الأوامر تأتي للطيارين: أفرغوا كل ما تحملون من ذخيرة وقنابل في أي مكان وعلى أي

هدف... والنتيجة: مسحت المدينة تماماً، و 170 ألف قتيل، وعشرات الآلاف من المصابين والمشردين.

(3)

داعش - على سبيل المثال - خرجت في - ومن - منطقة مضطربة، تعيش لحظة تاريخية مرتبكة، منطقة بإمكانها إنتاج أكثر الجماعات - والأفكار - تشوهاً وتوحشاً، نبتت في مكان تحكمه الفوضى، منطقة يحكمها الجهل والقمع والاستبداد... ولكن، ماذا تقول عن دول «متحضرة» ترسل الطائرات دون طيار لتبيد قرية بأكملها في أفغانستان لأنها «تشك» بوجود عنصر من «طالبان» فيها؟! هل هنالك فرق بين عصابة أفرادها ملثمون وملابسهم غريبة، وعصابة يلبس أفرادها البدلات الأنيقة؟! هل هنالك فرق بين قتل وقتل؟! الغرب يقتل بنعومة، وداعش تقتل بجلافة.. والقتل واحد. الغرب يذبح بالآلات الحديثة، وداعش تذبح بالسكين.. و«تعدد الأسباب والموت واحد» داعش همجية، والغرب متحضر.. الأولى تقتل بشكل بشع، والثاني يقتل بشكل أنيق.. كلاهما: قتلة!

(4)

هذا العالم المنافق - بساسته وإعلامه - يراقب لأسابيع كيف تُسحب جثث أطفال غزة من تحت الركام دون أن يزعجه المنظر، ويفزعه

مشهد ذبح الصحافي الأمريكي.

كلا المشهدين: مفزع ومتوحش ومرفوض.. أنا ضد القتل هنا وهناك.
لا يوجد هنا قتل متحضر وهناك قتل همجي!
والعالم الذي لا يُحاكم ننتيا هو كمجرم حرب هو - بقادته وهيئاته
ومؤسساته - عالم منافق وكذاب.. وشريك بجريمة القتل.

(5)

يا بُنيّ.. القتل هو القتل.

هل هناك فرق بين القاتل المأجور وجندي المارينز - على سبيل
المثال؟!

- كلاهما قاتل!

- الأول يعمل لدى القطاع الخاص، والثاني يعمل لدى القطاع العام.

- كل منهما يحصل على المال مقابل إزهاق أرواح الآخرين.

- كلاهما، تنفيذاً للأوامر، يقتل شخصاً لا يعرفه!

وكيف يتم التعامل معهما:

- الأول، بحكم القانون، يُعامل كمجرم.. الثاني، بحكم النظام السائد

والشرعية، يُعامل بطلاً.

- الأول توضع القيود في يديه.. والآخر توضع النياشين على صدره.

أحدهما يقتل خارج القانون، والآخر يقتل ضمن سياق القانون الذي

اعتاده الناس.

كم من الأشياء البشعة في حياتنا، وتدعمها شرعية ما، ونقبلها لأننا

وجدناها بهذا الشكل؟!

(6)

يا بُني.. هل تظن أننا وحدنا من لديه «داعش»؟
ما الذي حدث في أفريقيا الوسطى؟.. ما الذي حدث في بورما؟.. ما
الذي حدث في غزة؟.. ما الذي ما يزال يحدث في أماكن متفرقة؟..

يا بُني.. لا تكفر بالله، اكفر بالساسة..
واكره كل القتلة المتوحشين مهما كانت أسماؤهم وألوانهم وصفاتهم.

في مثل هذا اليوم 8 يوليو من عام 2014 بدأت الحرب على غزة، واستمرت
50 يوماً حتى 26 أغسطس.

[9 يوليو]

كل إنسان . لم تُهذِّبه الحضارة أو يُرَوِّضه القانون . هو: مشروع
«وحش»!

[10 يوليو]

أن تفهمني وتختلف معي، أفضل لديّ من اتفاقك معي مع سوء فهمك
لما قلته لك!

[11 يوليو]

وجه الشبه بين
الرصاصة المصوبة بشكل متقن
والعبارة المصوبة بشكل غبي:
أنهما كليهما تصيبك في مقتل!

[12 يوليو]

الجنون . في بعض صوره . هو:
أفكار تحررت من معتقل العقل، ولم يستوعبها الفهم السائد!

[13 يوليو]

أن تتجح وأنت بلا موهبة..
هذا بحد ذاته: موهبة!

[14 يوليو]

من يمشي أمامك .. لا يراك .
الذي يرونك، وينشغلون بالحديث عنك، ونقد مشيتك:
هم الذين كانوا . وما زالوا . يركضون وراءك .

محمد بن راشد «يرونها».. ويرونها!

(1)

هناك مدن تنام مبكراً..

وهناك مدن تصحو مبكراً.. ولا تنام!

هناك مدن تشرب «حليب» البيروقراطية.. لكي يساعدها على النوم أكثر.

وهناك مدن تشرب الأحلام.. والأفكار «المنشطة» لكي تصحو أكثر.
وكل مدينة بحاجة إلى «سيد».. بحاجة إلى «رجل» يتعامل معها
كامرأة رائعة..

يعرف متى يأخذها إلى حفلة أسطورية تتألق فيها..
ومتى يأخذها إلى الطبيب لكي تحافظ أكثر على شبابها..
ومتى يأخذها بين الأحضان لكي تشعر بالأمان والحنان.

(أ)

هذا صباح رائع، ويعد بزخات من المطر.

الكثير من الناس يعشقون «دبي» في هذا التوقيت من العام. أنا
أعشقها في كل الأوقات، وأيا كانت حالة الطقس. أحبها عندما يبلل
وجهها المطر، وأحبها عندما تبلل وجهي الرطوبة.
في هذا الصباح، صحت كعادتي مبكراً، وكعادتي أيضاً خرجت دون
حراسة إلى منزلي الصغير في الصحراء (لا يحتوي إلا على غرفتي

نوم وبعض المرافق) هناك أعود إلي، هناك يصفو ذهني أكثر، هناك تراودني الأحلام الكبرى.

مارست رياضي اليومية المشي ثلاثة كيلو مترات، صنعت لنفسني قهوتي.. يروق لي طعمها أكثر عندما أطبخها على الحطب. في الأيام العادية أكتفي بالمشي والتأمل، وشرب القهوة، ومداعبة الخيل.

- مرة واحدة في الأسبوع تطول مسافة المشي لتتجاوز العشرة كيلو مترات -

بدأ ضوء الشمس يتسلل من وراء غيمة صغيرة انفصلت عن بقية السحب. لا بد من العودة إلى المدينة. في طريقي إلى مكثبي في أبراج الإمارات زخات قليلة من المطر تبلل الزجاج الأمامي لسيارتي. بفعل المطر، والضوء.. والعمل الدؤوب: «دبي» أمامي تتلأأ كلؤلؤة خرافية.

(2)

و «دبي» لم - ولن - تكون بهذا الشكل

لولم يكن هنالك رجل اسمه : محمد بن راشد آل مكتوم.

شكلها بأحلامه، ويديه، وطموحه.. فصارت بهذا الشكل البهي.

أتاها كشاعر، وتعامل معها كقصيدة..

كتبها على (بحر الخليج) هذا البحر الذي مات «الخليل بن أحمد»

من دون أن يضيفه إلى بحور الشعر العربي..

بحر اكتشفه محمد بن راشد، وكتب عليه القصيدة / المدينة الأكثر
حدائثة.

(ب)

هذا صباح رائع، وأظنه مناسباً للعودة إلى أوراقى، التي دائماً ما
أؤجل العودة إليها.

قبل أن أدخل إلى المكتب وأغلق الباب ورائى، قلت لبعض العاملين
معى:

- «لا اتصال يحول لى، ولا زيارات، ويؤجل ما فى الجدول من أعمال
إلى وقت لاحق، ولا أحد يدخل على خلال الساعات القادمة إلى أن
أخبركم»... رأيت الاستغراب على وجوههم، فى العادة كنت أطلب
التعجيل لا التأجيل!

جلست على الكرسي، رميت هواتفى المحمولة جانباً بعد أن
أغلقتها، وسحبت الدرج الأوسط، وأخرجت الملف الممتلئ بالأوراق
والقصاصات والمفكرات التي لا يحتوي بعضها إلا على سطر واحد
ونشرتها على مكتبي. هذا الملف هو المخطط الأولي لما أريد أن أقوله،
هو الخارطة لطريق ما مضى من حياتى، وبلغة أهل البناء التي
أفهمها هذا الملف وما يحتويه هو القواعد والأساسات الأولى لبناء
قصة حياتى وسيرتى الذاتية:

أريده أن يكون شاهقاً مثل: أحلامي.. وناطحات السحاب.
وأريده أن يكون أليفاً وحميمياً مثل: بيت عائلى.

وأريده أن يكون أنيقاً ومرتباً وواضحاً مثل: شقة صغيرة يؤثثها صاحبها.

(3)

قبل أربعة عقود..

دار في شوارعها.. نظر إلى بيوتها المتواضعة والمتناثرة على ساحلها المهمل..

نظر إلى «خورها» البسيط.. في المساء رآها «مهرة» عربية جامحة.. وصغيرة.

ومن دون أن يشعر بالارتباك، تقدم إليها، وأمسك بالرسن، وأخذها بشجاعة إلى أشهر وأكبر حلبات السباق في العالم.. وجعلها تقوز في كل حلبات الدنيا..

الآن، لم تعد الحلبات تسعها.. هي تركض وحدها!
قلت لكم: لم يرتبك حين نظر في عيني تلك «المهرة» لأنه - ببساطة - عرف أنه «فارسها».

(ج)

هذه الأوراق حياتي:

منذ أن كنت ولداً صغيراً يلعب في باحة بيت بلا ماء ولا كهرباء، إلى اللحظة التي كنت أقف فيها أمام شاشات مئات القنوات العالمية

لأفتتح أعلى ناطحة سحاب في العالم (برج خليفة).

بين مبنين.. سأروي لكم المبنى والمعنى.

أقلب الأوراق:

- طفولتي، وحكاياتها، وشغبتها، وسيدة النساء: أمي اللطيفة «لطيفة».

- حياتي في الصحراء وحكايتي مع «بن منانه».

- اللحظة التي خرج فيها صدام حسين من الاجتماع، وتركني وحدي

في بغداد!

- تفاصيل السفر مع والدي للقاء الشيخ زايد في الصحراء والبنود

الأولى لاتفاق الاتحاد.

- معمر القذافي واتصاله بي لبناء «دبي» ثانية في ليبيا.. وتفاصيل ما

جرى لاحقاً!

- الليلة التي اختطف فيها «بشار الأسد» من حرسه الخاص!

- رحلتي إلى نيويورك وأنا في الثالثة عشرة من عمري وانبهاري

بالعالم الجديد.

- كيف كنا نسابق الوقت لنفتتح المترو في وقته (2009/9/9)!

- كيف بدأ «طيران الإمارات» بطائرتين مستأجرتين إلى اللحظة التي

انتزع فيها «مطار دبي» الصدارة من مطار هيثرو البريطاني كأنشط

مطار في العالم.

- الكتب التي قرأتها.

- أحلامي، وآلامي، اللحظات الحرجة، واللحظات الفاخرة، الخيول

التي أعشقها، والقصائد، ودبي، والأزمة المالية، طريقتي في الإدارة

وإدارتي للطريق إلى الحلم، والكثير من التفاصيل واللحظات
الإنسانية، والأسرار التي لم يسبق لي أن أعلنتها!

(4)

هي السيدة.. وهو سيدها.

هي القصيدة.. وهو شاعرها الفذ.

هي المهرة.. وهو فارسها الشجاع.

لهذا لا يمكنك أن تتخيلها من دونه..

ولا تدري..

هل «محمد بن راشد» حلم بمدينة استثنائية..

فتحقق الحلم: «دبي».

أو إن «دبي» حلمت بفتى لا يشبه بقية الفتيان..

فتحقق الحلم: «محمد بن راشد آل مكتوم».

(د)

أقلب الأوراق، أحاول أن أرتبها زمنياً..

من أين سأبدأ؟ وإلى أين سأنتهي؟.. حتى هذه اللحظة: لا أعلم!

هل ستكون الحكاية حكاية «دبي»؟

أو ستكون حكاية الاتحاد وميلاد دولة حديثة؟

أو إنها ستكون حكايتي، وسيرتي الذاتية؟

أظنها، ستكون ثلاث حكايات في حكاية واحدة.. وتاريخ تختصره:

مدينة!

أنظر عبر زجاج مكتبي في الدور 44 وأرى حلمي أمامي يعانق

السحاب..

في الخارج المطر ينهمر بغزارة ويسيل على الزجاج..

وفي الداخل مطر ذاكرتي ينهمر بغزارة أكبر ويسيل على الورق!

(5)

هناك رجال ينامون لكي يحلموا.. فالأحلام لا تأتي إلا في المنام..

«محمد بن راشد» يصحو لكي يحلم!

ولا يكتفي بالحلم.. بل يقاتل لكي يحققه.

تحية له.. ولحلمه الرائع «دَبِّي».

(هـ / 6)

محمد بن راشد آل مكتوم.. اكتب سيرتك الذاتية.

اكتب «دبي» على الورق.. كما كتبتها - بشكل فاتن - على الأرض.

في مثل هذا اليوم 15 يوليو من عام 1949 ولد الشيخ محمد بن راشد بن

سعيد آل مكتوم.

[16 يوليو - 1945]

الولايات المتحدة تقوم بعملية تفجير أول قنبلة ذرية ليبدأ بعدها سباق التسليح النووي.

[17 يوليو - 1918]

البلاشفة يقومون بإعدام إمبراطور روسيا نيقولا الثاني وعائلته ليسدل الستار على حكم عائلة رومانوف الذي استمر ثلاثة قرون.

[18 يونيو - 1925]

صدور كتاب «كفاحي» لأدولف هتلر!

[19 يوليو]

الفرق بسيط بيننا وبينهم:

لديهم: المتهم بريء حتى تثبت إدانته..

لدينا: المتهم مدان حتى تثبت براءته!

[20 يوليو]

عقل / «عقال» / اعتقال..

حتى اللغة العربية توحى لك أن الحرية: جنون!

والمعتقلات والسجون في بعض الدول العربية، تسمى: مراكز إصلاح!

[21 يوليو]

«السجن للرجال»: مقولة عربية تدّعي الحكمة!
والحقيقة أن السجن للصوم والقتلة، ولكن لأن السجون العربية
ممتلئة بالرجال الشرفاء.. ابتكرنا هذه العبارة!

[22 يوليو]

الحديث ذو «سجون»!

(1)

في النرويج توجد أكثر سجون العالم رفاهية ودلعاً لـ «النزيل». هكذا
يسمونهم. فهم لا يفكرون بعقابه بقدر ما يبحثون عن إصلاحه وعلاجه
وإعادته إلى المجتمع، ولهذا تقدم لـ «النزلاء» كل أنواع فرص التعليم،
من تعلم حرفة النجارة إلى الالتحاق بإحدى الجامعات لإكمال
تعليمه، بالإضافة إلى كل وسائل الترفيه التي يحظى بها الإنسان
خارج السجن.

في سجن هالدين النرويجي المكان أشبه بمنتجع في قرية: السجن
يمارس رياضة المشي مع السجان غير المسلح، ويتناول السجناء
والحراس وجبات الغداء والعشاء على نفس الطاولة. يحظى السجناء
بغرفة نظيفة ودورة مياه خاصة وتلفزيون حديث ذي شاشة مسطحة

وثلاجة صغيرة وكمبيوتر، وتتشارك كل عشر زنانات في مطبخ وغرفة معيشة مؤثثة ونادٍ صحي. وكل فترة يتم توزيع الاستبيانات على النزلاء لمعرفة مدى رضاهم عما يقدم لهم! يتعاملون مع الإنسان كإنسان مهما كان شكل الخطيئة التي أوصلته إلى هذا المكان وحجمها، ولهذا رفضوا في النرويج دعوات بعض الأحزاب المحافظة بأن تقتصر هذه المعاملة المرفهة فقط على السجين النرويجي خوفاً من انتقال الجريمة والمجرمين من الدول الأخرى إليها.. يقول مدير السجن «العقوبة تعني تقييد الحرية، وليس الانتقام من المذنب».

يظل السجن سجناً مهما كانت فخامته ونظافته ورفاهيته.. ومع هذا، يخيل لي، أن هنالك مئات الآلاف من «الطلاقاء» العرب يتمنون في أحلامهم لو يحظون بنصف ما يحظى به السجين النرويجي ... أقول «الطلاقاء» ولم أقل «الأحرار»، فالفرق شاسع وواسع ولاسع بينهما!

كم من طليق مستعبد.. وكم من سجين حُر.

(2)

يكاد يكون الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز أهم من اهتم بالسجون ومعاملة السجناء ومنحهم حقوقهم:

- أمر بعزل أصحاب الجرائم البسيطة عن عتاولة المجرمين.
- أمر بصرف رواتب لهم ومنحهم كسوة الصيف والشتاء، وطعامهم وشرابهم.

. أمر ولاته في أول حكمه بتنظيف السجون وإطلاق سراحهم.
. أمر بصرف الراتب ورعاية أهل السجين إن لم يكن لهم عائل سواه.
- «لا تدعن في سجونكم أحداً من المسلمين في وثاق لا يستطيع أن
يصلي قائماً ولا يبيت في قيد إلا رجل مطلوب بدم».

وأمر ولاته، رضي الله عنه، بتعجيل النظر في أمور المتهمين، فمن كان
عليه أدب أدب وأطلق سراحه، ومن لم تثبت عليه قضية خُلّي سبيله..
(مر ولاتك جميعاً بالنظر في أمر أهل الحبوس في كل الأيام، فمن كان
عليه ذنب أدب وأطلق، ومن لم تكن له قضية خُلّي عنه... وانظروا في
السجون ممن قام عليه الحق، ولا تعد في العقوبة، ويعاهد مريضهم
ممن لا أحد له ولا مال).

(3)

في الوقت الذي تعاني فيه بعض البلدان ازدحام سجونها الرديئة،
وتضطر أحياناً لتحويل بعض المباني الحكومية إلى سجون مؤقتة..
تعاني هولندا مشكلة على النقيض تماماً: نصف سجونها فارغة،
والكثير من سجانيتها يعانون البطالة!
يقول الخبر:

وافقت هولندا التي توجد لديها أماكن خالية كثيرة في سجونها على
استضافة 500 سجين بلجيكي في سجن في مدينة تيلبورج بجنوب
البلاد... وسلمت نائبة وزير العدل في هولندا مفاتيح السجن إلى

وزير العدل البلجيكي، وستدفع بلجيكا في المقابل 30 مليون يورو لإيجار السجن لثلاث سنوات!

(4)

في النرويج، ما يزال الناس مصدومين مما فعله السفاح «أندرز بيرينج بريفيك» مرتكب ما عُرف بـ «مذبحة النرويج» التي قتل خلالها 77 شخصاً، ومنذ ذلك اليوم، الذي يوافق هذا اليوم - 22 يوليو 2011 والنقاشات والأبحاث والحوارات العلمية لم تتوقف: يحاولون أن يفهموا ويحللوا، لماذا، وكيف حدث هذا الأمر، وما أسبابه، وما الخلل التربوي أو التعليمي، أو الاقتصادي الذي أنتج هذا الوحش البشري الذي ارتكب هذه الفعلة التي لا شبيه لها في التاريخ النرويجي؟ بريفيك هذا، يحظى بكل الحقوق التي يحظى بها أي سجين في النرويج، ولأنه ممنوع من مشاركة بقية السجناء - خوفاً عليهم منه - تحولت زنزانه إلى شقة صغيرة فيها غرفة نوم بدورة مياه وغرفة تلفزيون وكمبيوتر وغرفة ثالثة ليمارس الرياضة، وقبل مدة قدم أوراقه لدراسة العلوم السياسية في جامعة أوسلو.

الطريف أنه تقدم قبل مدة بتقديم شكوى بسبب سوء معاملة سلطات السجن له، ومما ورد في رسالته المكونة من 27 صفحة: سلطات السجن لا تهتم بدرجة حرارة قهوته الصباحية، ولا تزوده بالزبدة الكافية للفتور، ومنعته من استخدام مرطب البشرة!

يخرب بيتك يا أندرز يا بن بريفيك، ويا بجاحتك، ويا لصفافتك..
نفسى مرة تذوق العدس في زناانة عربية!

(5)

على فكرة:

كل السجناء في سجون النرويج وبلجيكا وهولندا هم قتلة ومفتصبون
ولصوص وتجار مخدرات، ولا يوجد بينهم شخص واحد سُجن لأنه
عارض النظام، أو اتخذ موقفاً مع شيءٍ ما أو ضده، كما يحدث في
معظم السجون العربية !

[23 يوليو]

لله درك يا بن عبدالعزيز

(العادل)

سنتان وأربعة أشهر وعدة أيام: هذه هي مدة حكم الخليفة الأموي
عمر بن عبدالعزيز.

تخيّلوا!.. بأقل من ثلاثين شهراً استطاع أن يصنع لاسمه العظيم كل
هذه المكانة والمجد في التاريخ العربي والإسلامي.

سموه خامس الخلفاء الراشدين

وصفوه بالخليفة العادل

قالوا عنه إنه (عمر الثاني).

لم يمنحه الزمن فرصة لوضع خطة اقتصادية خمسية أو عشرية.. استطاع بأقل من نصف الخمس سنوات أن يطبق الخطة التي جعلت رجال الأعمال في زمانه يجوبون دولته المترامية الأطراف بحثاً عمّن يقبل الزكاة.. ولا يجدونه!

لله درك يا بن عبد العزيز.

تقول كتب التاريخ: في عهده عم الرخاء والعدل والأمن أرجاء البلاد الإسلامية.

كيف فعل هذا خلال سنتين وأربعة أشهر؟

الإجابة كلمة واحدة: العدل.

تقول الكتب إنه انتزع تفاحة من فم أحد أطفاله لأنها من فيء

المسلمين الذي لم يُقسم بعداً!.. يا إلهي.. تفاحة يا أمير المؤمنين..

تفاحة يا سيد أقوى البلاد وحاكمها وهي أكثر البلاد خيراً واتساعاً في زمانها!

ألا يخجلون الذين يقرؤون سيرتك يا بن عبد العزيز؟!

يخوت وقصور وأنواع الملذات وأراض وبساتين لا حد لها..

وأنت تخاف أن يحاسبك الله بتفاحة؟.. تحافظ على تفاحة من بيت

مال المسلمين!

لهذا السبب رحّب بك التاريخ، واحتفى باسمك العظيم..

والتاريخ نفسه سيطرد من صفحاته مئات الأسماء التي لا تستحق أن

تذكر بسطر عابر.

لهذا السبب استطعت خلال «سنتين وأربعة أشهر وأيام معدودة» أن

تصنع الفرق وتنجح بخطتك الاقتصادية العظيمة.. وغيرك يحكمون

بلاد المسلمين منذ عقود ولم يخلفوا وراءهم سوى الفقر والظلم والقهر والخراب.

جدير، الشاعر العربي العظيم، لخص سياسة الخليفة العربي العظيم، في سطر واحد:

«جئتكم من عند رجل يعطي الفقراء ويمنع الشعراء!»

(القوي)

في مثل هذا اليوم 23 يوليو 750 انتهت دولة بني أمية بمقتل مروان بن محمد في الفيوم في مصر. و«مروان الحمار» هو آخر خلفاء الدولة الأموية: الخليفة مروان بن محمد بن الحكم بن مروان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي. وعرف بـ «الحمار» لجراته وشجاعته وقوة بأسه وصبره، ويُقال: «مروان أصبر من حمار في الحروب»، ولهذا لُقِبَ بالحمار.. قالت عنه كتب التاريخ إنه لا ينزل عن ظهر حصانه المنهك إلا ليمتطي ظهر حصان آخر استعداداً لمعركة أخرى. تولى الخلافة مدة 6 أعوام، وسقطت دولة الأمويين بمقتله، وهو نموذج للزعيم الذي أتى بوقت غير وقته.. كان يحاول بصبر وجلد وشجاعة إعادة الروح لدولة بني أمية التي بدأت بالتفكك... لو أتى للحكم قبل وقته لربما استمرت الدولة قرناً آخر!

وبما حدث في نفس هذا اليوم: في مصر عام 1952 قامت حركة الضباط الأحرار بالانقلاب على الملك فاروق الأول، وأطاحت النظام الملكي.. انقلاب عسكري اشتهر باسم ثورة 23 يوليو. وفي نفس هذا اليوم من عام 1970 تولى السلطان قابوس بن سعيد مقاليد الحكم في عُمان بعد قيامه بـ «انقلاب سلمي» على أبيه السلطان سعيد بن تيمور.

[24 يوليو]

لا ذنب للعنب بما يفعله النبيذ.. ولا مجدداً

[25 يوليو]

هو نفس الباب:

أنت تراه «مدخلاً»، وغيرك يراه «مخرجاً»، واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.. ولكنه يخلع الباب أحياناً

[26 يوليو]

الجهلة يظنون أن «الشرف» شيء يقف عند الجسد.. فقط!

[27 يوليو]

الجهلة.. في كل زمان ومكان.. يدافعون عن قيودهم..
اعتادوا رؤيتها كأنها أساور!
لا تفكر بنزعها من أياديهم.. علمهم، ودعهم يرونها كما تراها.

[28 يوليو]

في رأسك ألف باب صغير لم يُفتح من قبل..
اكتفيت بفتح الأبواب التي ورثت مفاتيحها من أسلافك..
جرّب أن تفتح الأبواب الأخرى.. ولا تخف من الهواء الجديد!

[29 يوليو]

أسوأ ما تواجهه الفكرة - أي فكرة - هو أن يؤمن بها أحق، ويدافع عنها بحماسة.
رفضه لها.. أقل تشويهاً من إيمانه بها!

[30 يوليو]

لا تناقش «المؤمن» بالخلل الموجود في عقيدته، أو مذهبه، أو فكرته التي يؤمن بها..
من شروط الإيمان التام: عدم رؤية الخلل!

[31 يوليو]

أشياء يومية.. مزعجة:
- يصادف دائماً، أن الشخص الذي يقف أمامك عند الصراف الآلي: معه ثلاث بطاقات لشقيقاته المدرسات، وسيقوم بسحب الرواتب، وتسديد فواتير الجوال والكهرباء، وتسديد مخالفة لا يعرف الطريقة الصحيحة لتسديدها، ويقوم بالتحويل لحساب خاطئ!
- تذهب للسوبر ماركت، تشتري الكثير من الأشياء.. وتنسى الشيء المحدد الذي ذهبت لأجله!
- خروجك من المحل يصادف دخول الشخص الذي لم ترد على اتصالاته عليك طوال اليوم!
- في نفس اليوم الذي تغسل فيه سيارتك: تهب عاصفة رملية، وتمطر

السماء.. كأن الطقس ينتظر هذه اللحظة الكونية العظيمة لتقوم
بفسلها!

باختصار يمكنك أن تقول إن يوم [31 يوليو] كان يوماً رائعاً بامتياز!

8

أغسطس / آب

[1 أغسطس] السلطة الأكثر شراسة!

هناك مَنْ يظن أن السلطة السياسية هي أكثر شيء يهابه الكاتب،
ورقيبها هو الرقيب الأقسى، والأكثر كتماً للأنفاس.. هذا الكلام غير
صحيح، أو غير دقيق!
هناك سلطات أقوى، وأخطر، وأكثر شراسة: السلطة الدينية،
والسلطة الاجتماعية.

إذا جابه الكاتب السلطة السياسية، يتحوّل إلى: بطل!
وإذا جابه السلطة الدينية، يتحوّل إلى: كافر!
وإذا جابه السلطة الاجتماعية، يتحوّل إلى: خائن.. ومنبوذ!

السلطة السياسية تُعاقب الكاتب لشهر، شهرين، سنة، خمس...
السلطة الاجتماعية تعاقبه مدى الحياة.
السلطة الدينية تلاحقه حتى الآخرة!

الكاتب لا يستطيع أن يُجابه المجتمع، ويكشف له عيوبه كاملة..
لا يستطيع أن يقول لمجتمعه: أنت مجتمع فاسد، ومناقق، ومُصاب
بانفصام الشخصية!

لا يستطيع أن يقول له: إن ما تلغنه في العن، تمارسه - بمتعة -
بالخفاء!

لا يستطيع أن يقول له: انظر لنفسك في أي طابور، وعند إشارة
المرور، لتعلم أنك ابن الفوضى!

لا يستطيع أن يقول له في وجهه: إن كل فاسد هو «نتاج» منك، ولم
يهبط من المريخ، وأنت «مشروع فاسد» لو سنحت لك الفرصة!
سيجادله المجتمع، وسيدخله في منطقة أيهما أولاً: الدجاجة أم
البيضة؟.. الدولة أم المجتمع؟
سيتهمونه بأنه: يمارس جلد الذات.

سيقولون له: الناس على دين ملوكهم!
ولن يقتنعوا، حتى لو رد عليهم: كما تكونون يؤلى عليكم!

حين تبتكر السلطة الاجتماعية سؤالها الشهير: «وش ترجع»؟..!

إلى أي عائلة أو قبيلة يعود أصلك ونسبك؟

تأتي السلطة الدينية لتكسب رضاها، وتبتكر الإجابة: «تكافؤ النسب»
وتشرعنه..

وتنسى: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، و.. لا فرق بين عربي وأعجمي
إلا بالتقوى.

من الممكن أن ينتقد الكاتب «السياسي».. وينجو بفعلته!

من شبه المستحيل أن ينتقد كبير العائلة، أو شيخ القبيلة.. ويسلم.
بإمكانه أن ينتقد بعض ما تفعله السياسة، ويختلف معه..

ولكن، من الصعب أن ينتقد بعض ما تفعله القبيلة، أو أن يُفكر
بتفكيك نظامها ونقده، أو هجاء بعض عاداتها السيئة.
بإمكان السياسي - لو أراد - أن يُفكك كل هذا، ولكنه يتفرج برضا
على مشهد، لو لم يكن موجوداً، لشارك بإنتاجه واخراجه!

أما أنت: فستظلّ عبداً لكل هذه السلطات.. سلطة تسلمك إلى سلطة
أخرى.
قل لي.. كيف تفكر بوطن حر وأنت لم تتحرر من طباع الحيّ وسلطة
سكانه؟!

في مثل هذا اليوم أوقفت أول مرة عن الكتابة.

[2 أغسطس]

من يستطيع أن يفكك النظام الاجتماعي ويعيد ترتيبه.. سيعيد ترتيب
وطنه بأكمله!

[3 أغسطس]

الصداع: فكرة غبية..
أنت في توقيت سيئ لا يناسب رأسي!

[4 أغسطس]

الضوء الباهر القوي كالظلام الدامس الحالك:
كلاهما يفقدك الرؤية.. وكذلك النظرة المتطرفة!

[5 أغسطس]

جرب أن تذهب إلى المتاهة.. لعلك تصبح «الدليل» لدرب جديد!

[6 أغسطس]

«روبوت».. من لحم ودم!

(1)

هل يوجد بينك وبين الإنسان الآلي «الروبوت» أي اختلاف؟
لا تغضب من السؤال، وتظن أنه محاولة لاستفزازك.. ففكر قليلاً قبل
الإجابة..

أعلم أنك: كائن بشري من لحم ودم، وهو: آلة.

ولكن.. كلاهما: مُبرمج!

هو تحركه الملفات الموجودة في شريحة إلكترونية..

وأنت تحركك الملفات/ العادات - المتراكمة والموروثة - في رأسك.

لديك الكثير من الأحكام الجاهزة والتي تمت برمجتها خلال سنوات.

لديك ردّات فعل واضحة ومحددة تجاه أفعال معينة.

لديك قرارات غير قابلة للتراجع أو المراجعة.

تتعامل بـ «آلية» مع بعض المواقف.

(2)

متى يتعطل هذا «النظام» الموجود في رأسك؟

في حالة واحدة: عندما تغضب!

متى تتحكم في هذا «النظام» الموجود في رأسك وتسيّره كما تشاء؟

في حالة واحدة: عندما تُفكّر.

(3)

حاول أن تراجع نفسك، وتكتشف الفرق بينك وبين الروبوت:

زُرعت الكثير من الأوامر في شريحة الروبوت..

وُزعت الكثير من الأفكار في رأسك..

وكلاكما: لا يستطيع التمرد على «النظام» الذي يُحرّكه.

النظام العام: يحدد لك مواصفات زوجتك.. وتظن أنك حر في

الاختيار.

النظام العام: يمنح «القداسة» لبعض العادات والأعراف.. وتقدها

دون أن تشعر.

النظام العام: يختار لك ملابسك، ونوع وجبة الغداء، وعلى أي مقاس

ستقص شواربك!

أنت ترس صغير جداً في آلة -اجتماعية وثقافية- كبرى.

الروبوت لا يشعر أنه مُبرمج.. وأنت كذلك!

(4)

تحرّر.. وانزع هذه الشريحة المزروعة في رأسك..
اقرأ ما كُتِبَ فيها - على مدى عقود - وشارك بكتابة ما يجب أن
يُكتب.

أنت إنسان.. أنت لست آلة!

ظهرت كلمة «روبوت» أول مرة عام 1920 في مسرحية للكاتب التشيكي كارل
تشابيك، وترمز في اللغة التشيكية إلى العمل الشاق. وفي مثل هذا اليوم 6
أغسطس من العام 2012 حط على سطح المريخ الروبوت «كوريوسيتي» الذي
أطلقته ناسا لاستكشاف المريخ.
في الخليج العربي تستخدم الروبوتات لسباقات الهجن!

[7 أغسطس]

الرأي العام:
رأي يقوم الذين يمتلكون المنابر بتشكيله وتحديدته وتوجيهه..
وتظن الأغلبية أنه «رأيها»!

[8 أغسطس]

جميل أن يتدين السياسي: ويخاف الله فينا.
قبیح أن يتسيّس الديني: ويخوفنا من الله!

[9 أغسطس]

أكره الذي يرى أن «الوطنية» ثوب فُصِّلَ
على مقاسه وحده.. عند خياط أفكاره!

[10 أغسطس] خطاب إلى الوطن

(1)

ما الذي يجعل الكتابة إلى الوطن، وعن الوطن، فعلاً محفوظاً
بالمخاطر؟!

كيف أكون (مواطناً صالحاً) أطالب بالإصلاح دون أن تفقد كلماتي
صلاحيتها؟!

لماذا يأتي الذين يظنون أنهم يُحبون الوطن أكثر مني ليصفوني بكل
الصفات السيئة، ويلصقوا بي كل التهم الجاهزة والمكرورة حد الملل..
فقط: لأنني أحبه بطريقة مختلفة عنهم؟!

الأوطان التي لا تقبل النقد تترهل..
النقد: عافية، وغيابه: مرض!

(2)

قلت لكم سابقاً:

ليس من الوطنية أن تمتدح أخطاء بلادك!

(3)

قلت لكم:

الدولة التي تخاف من كلمة حرة يقولها أحد مواطنيها هي دولة هشة،
عليها أن تعيد النظر في قواعدها وأساساتها.
من يخاف من (النسمة) الحرة..
كيف سيجابه (العواصف) إذا هبّت؟!

(4)

قلت لكم:

الحكم بـ «الأمن» لن يؤدي بكم إلى العدل..
الحكم بالعدل هو الذي سيأخذكم إلى الأمن.
والأمن: ليس شرطياً يقف في قلب الشارع..
الأمن: «الشارع» يقف في قلب الشرطي!

(5)

قلت لكم:

كل خطاب سياسي لا يتم نقده، هو خطاب ركيك!..
حتى وإن كان جيداً - ومتماسكاً - ذات يوم.
وكل خطاب مكرور.. هو خطاب ممل وعادي.
وكل خطاب يتكئ على قوة الخطيب وجبروته..

سينتج الكثير من (النقاد المزيفين) الذين يهللون لمحتواه ويصفقون للخطيب.

قوة الخطاب السياسي السائد لا تتبع من قوة محتواه، وجودته، ومعاصرته..

قوة الخطاب تتبع من قوة الخطيب وما يمتلكه من سلطة.

(6)

قلت لكم:

إن النقد ليس خيانة ..

الخيانة أن تزيّن القبح، وتصفق للأخطاء، وتتعامل مع وطنك كأنه «راتب آخر الشهر»!

والغباء: ألا تعرف الفرق بين الدولة والحكومة.. فتضطرب مشاعرك بينهما!

(7)

إن كنتَ في رحلة:

- من حَقَّك أن تسأل: إلى أين أنت ذاهب؟
- من حَقَّك أن تطمئن لسلامة المركبة وتدعو لصيانتها وإصلاحها.
- من حَقَّك أن تحذّر من مخاطر الطريق.
- من حَقَّك أن تشارك بابتكار الحلول، وردم الحفر، والتنبيه على «المطب» الخطر، واقتراح التحويلة القادمة.

(8)

لكي يكون المشهد أجمل وأعدل وأكمل:

لا بد من وجود من يسلط الضوء على الزوايا المظلمة فيه.

لا بد من وجود ناقد لأي خلل فيه.

لا بد من الأصوات والكلمات والخطابات المختلفة التي تتغنى فيه

بطرقها المختلفة في فضاء حر، ويجب.. يجب أن نستمع إليها بمحبة

واهتمام، فربما تقول ما يُجب أن يقال، وتأتي بالعبارة المناسبة في

التوقيت المناسب.

لنستمع - بعضنا لبعض - دون شك أو ريبة!

(9)

كلماتي تحبك..

وأنا أحبك يا وطني بطريقتي المختلفة عن الذين يظنون أن محبتك

«وظيفة».. ومكافأة!

في مثل هذا اليوم 10 أغسطس من العام 1932 - الموافق 12 جمادى الأولى

1351هـ انعقد بالطائف اجتماع للعلماء والأعيان وممثلي رعايا المملكة، ورأوا

ضرورة تغيير مسمى الدولة من «مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها» إلى مسمى:

المملكة العربية السعودية.

[11 أغسطس]

الشريك العظيم: الذي يشاركك الخسارة قبل الربح!

[12 أغسطس]

انتماء وولاء!

ما إن يأتي الرئيس/ المدير/ المسؤول الجديد إلى أحد الكراسي حتى يُحرق مَنْ هُم حوله كل أوراق المسؤول السابق، ولا يفكرون أنهم بهذا الفعل يحرقون مشاريع وطن بأكمله.. كل ما يهتمهم هو إثبات (الولاء) للوجه الجديد.

هم لا يشعرون بـ (الانتماء) للمؤسسة/ للدولة..
كل ما يهتمهم هو (الولاء) لمن يديرها.
والولاء للمسؤول الجديد يُبنى على هدم الولاء السابق.

ثقافة الولاء تُسقط كل مشاريع الانتماء!

- ما الفرق بين الانتماء والولاء؟!

الولاء: لـ «شخص».. الانتماء: لـ «شعب».

الولاء: لـ «لحظة» في عمر الزمن.. الانتماء: لـ «تاريخ» بأكمله.

الولاء: لأشياء زائلة.. الانتماء: لأشياء أبدية.

الولاء: فيه شيء من الاستعباد.. الانتماء: فيه الكثير من الحرية.
الولاء: انحياز لفرد.. الانتماء: انحياز لمجموع.
الولاء: انتماء لأشياء صغيرة.. الانتماء: ولاء لأشياء كبيرة.

الولاء لا يمكنه أن يصنع (انتماءً) حقيقياً..
وإن صنع شكلاً من أشكال الانتماء.. فهو انتماء مزيف!
الانتماء: ولاء حقيقي.

الولاء: انتماء مؤقت.
الانتماء: ولاء دائم.
لا تجعلني كائناً مسخاً.. كائناً لا منتماً!
أعطني كل ما يشعرني بالانتماء لك، وللأشياء التي حولي.. وأعطيك
الولاء!

[13 أغسطس]

مشكلتي معك ليست في:
الحرية، والحق، والخير، والعدالة..
أنت وأنا كلانا نغني لهذه الأشياء، ونؤمن بها بشكل ما.
مشكلتي معك في الأدوات، والطريق الذي يؤدي إليها!
مشكلتي الأكبر:
أن ترى حررتك في قمع حررتي..
وصوتك الحر في صمتي المضطهد!

[14 أغسطس]

أخبت الأسئلة:

سؤال مؤدج، يأتي إليك وهو يحمل إجابته على ظهره..
أو هو يدفعك إليها دفعا: كأنه لا توجد إجابة سواها!

[15 أغسطس]

مقال قصير جداً عن رجل طويل جداً

من المخجل أن يغيب رجل مثل «غازي القصيبي» ولا تكتب عنه..
ولكن الأكثر خجلاً أن تكتب عنه شيئاً صغيراً لا يليق به وبقامته.
لهذا - من البدء - أعتذر لكم (وبخجل) عن هذه الكتابة!

أول سؤال خطر على بالي: من أين أبدأ؟

لو أن الحديث يدور حول رجل جميل بحجم بحيرة.. لهان الأمر.
ولكن الحديث يدور حول الرجل / البحر.. فمَنْ يضمن لي ألا أغرق
في منتصف الكتابة؟!

على سواحله ستجد: غازي.. ابن «عبدالرحمن القصيبي» أحد أثرى
أثرياء زمانه، لم يأت للعمل العام وعينه تتلصص على العقود!
أتى وعينه تراقب المجد البعيد.. لم يأت لكي «يأخذ»، أتى لكي «يعطي».

على سواحله ستجد: الأستاذ الجامعي / الشاعر / الوزير / الروائي /
السمفر / الكاتب.. الحر والتنويري والمقاتل الذي يحترمه الجميع..
حتى خصومه.

على سواحله ستجد: شاعرًا جريئًا يكتب آخر رسائل المتنبي إلى سيف
الدولة.

على سواحله ستجد «شقة الحرية» التي فتحت أبوابها للرواة الجدد.
على سواحله ستجد: زاوية «في عين العاصفة».. لم تكن زاوية، كانت
خندقًا على حد الوطن.

على سواحله ستجد: ألف شهادة وشهادة تقول لك: إنه من القلة التي
لم تفسدها السلطة.

على سواحله ستعرف: أنه الواحد / الكئيبيير.. وستبكي لفقدهم
جميعًا!

أول مرة رأيتة فيها، في منتصف التسعينيات، في حفل للمعهد
الدبلوماسي.. كانت تحيط به هالة من الضوء.. أردت أن أصافحه
وأقول له إنني أحبه.. ولم أفعّل! منعني الخجل.. أردت أن أقول: أنا
من جيل عشق غازي القصيبي، وبهرته شخصيته. أردت أن أقول له:
إنني في طفولتي كتبت قصيدة فيك.. نعم كانت ركيكة وساذجة..
ولكنها صادقة ومحبة لك. أردت أن أقول له إن من أول الكتب التي
اقتنيتها في حياتي هي كتبك.. وإنك أحد الذين هذبوا ذائقتي،

وفتحوا النوافذ في رأسي الصغير، وجعلوني أعشق صبية حسناء
اسمها «الحرية». أردت أن أقول كل هذا.. وأكثر.. ولم أفعل!
اعذرني يا سيدي، كنت شاباً شمالياً صغيراً - وفي مكان لا يشبهه -
وأربكه الضوء المنبعث منك. ولكنك من القلة الذين لم يخذلوني..
كنت طويلاً جداً (كل الذين أحبهم أتخيل أنهم طوال القامة.. لا
أدري لماذا) وأنت كنت طويلاً أكثر من اللازم!

غازي القصيبي: من القلة الذين استطاعوا أن يقرؤوا مستقبل
الفلو.. بوضوح وقاتل بشجاعة كل فكرة متطرفة. اختلفوا على ما
تخطفه يده، ولكنهم اتفقوا على نظافة هذه اليد في كل منصب ذهبت
إليه. لهذا: حتى خصومه يحترمونه. مع كل الاختلاف حول وزارته
الأخيرة، يظل بنظر الغالبية من الشعب السعودي: هو الوزير الأكثر
شعبية طوال العقود الأربعة الماضية.

أكرر اعتذاري عن هذا المقال الصغير / القصير عن هذا الرجل
الكبير / الطويل. فلنتوقف عن الكتابة عنه.. ولنكتفِ بالبكاء عليه.
وفي المستقبل، سيأتي أولادنا ليكتبوا عنه بشكل أفضل وأصدق.

في مثل هذا اليوم 15 أغسطس من عام 2010 توفي الأديب والسياسي
السعودي غازي عبدالرحمن القصيبي.

فاكهة آب

[16 أغسطس]

عند التاجر:

أي جلد، لأي كائن، هو مشروع لصناعة حذاء فاخر!

[17 أغسطس]

انتظار الأشياء الجميلة يفوق متعة الحصول عليها.. أحياناً!

[18 أغسطس]

تقدّمك بالعمر لن يجعلك الأكثر حكمة بيننا.

لا تصدق أن «أكبر منك بيوم.. أفهم منك بسنة»..

كل ما في الأمر:

كنت أحمقَ ثلاثينياً.. صرت أحمقَ ستينياً!

[19 أغسطس]

هل هنالك قانون صغير؟

- نعم.. الذي لا يستطيع محاكمة الكبير!

[20 أغسطس]

الوقت مناسب دائماً..

لكنك أنت: لم تكن مناسباً للتوقيت!

[21 أغسطس]

الذي يمشي أمامي: قائد.

الذي يمشي ورائي: متربص!

الذي يمشي بجانبني: صديق.

لعلّ من يمشي أمامي يظنني: متربصاً!

لعلّ من أظنه متربصاً.. يراني: قائداً.

[22 أغسطس]

القانون الذي يعد اللصوص بالعقاب

لا فائدة منه إن لم يكن هناك:

القانون الذي يحمي المال من اللصوص!

[23 أغسطس]

ذلك الاتصال «الخاطئ» الذي عرفني بك

كان أجمل «صواب» أرتكبه في حياتي!

[24 أغسطس]

بعد أن انتبهت أنها منذ ساعة تقبض على يدي ولم تطلقها لحظة..
قالت بمرح خجول، وخجل مرح:

- سأحكم على يدك بالسجن المؤبد مع الأشغال اللذيذة!
قلت: اليد التي تمسكين بها.. أكثر حريرة من اليد الطليقة!

[25 أغسطس]

في مثل هذا اليوم..

المتشائم: شخص يخرج من منزله في يوم صحو وهو يحمل المظلة.
المتفائل: شخص يخرج من منزله في يوم صحو وهو يحمل المظلة.
شرط أن يكون الأول في لندن، والثاني في الرياض!

[26 أغسطس]

يرى «أرسطو» أن:

الشجاعة أهم الصفات الإنسانية لأنها الصفة التي تضمن باقي
الصفات.

وأرى أن الكرم الصفة الأهم.

الشجاعة - بجد ذاتها - فعل كريم.

الشجاعة: أن تكون كريماً بنفسك وروحك.

الشجاع: بطل «يوم» المعركة فقط.. والكريم: بطل بقية أيام السنة!

الشجاع يمتلك صفته بالقضاء على خصومه.. والكريم بالعفو عنهم!

الشجاعة: جزء من «المكارم»!

[27 أغسطس]

أكثر من يتحدث عن الحظ رجل فاشل..
أكثر من يتحدث عن محطات الفشل - بمتعة - هو الرجل الذي نجح
أخيراً!

[28 أغسطس]

مجادلة الفبي: عمل غبي!

[29 أغسطس]

لا تخجل من البكاء..
أخجل حين لا يكون لديك قلب يهزه الحزن والحنين.

[30 أغسطس]

ماذا أفعل بـ «الأمل» حين يفقد الأمل؟
حين تنكسر أحلامي ..
يمد لي الأمل ألف عكاز.
منذ طفولتي والأمل يمشي بجانبني، ويسبقني..
قبل مدّة صرت أسبقه..

بعدها بأيام أتى وهو يتكئ على عكاز..
بالأمس أتى على كرسي متحرك وأشار إليّ بيده لأدفعه إلى الأمام..

اليوم قال: تَوَقَّفْ عن دفعي.. مللت من الأمل!

[31 أغسطس]

تبحث عن الكمال؟

اطمئن، لا يوجد شيء مكتمل في هذه الحياة...

حتى هذه العبارة!

9

سبتمبر / أيلول

[1 سبتمبر] مانشيت

ابن يُقبل رأس أبيه:

خبر عادي جداً، ولا يحظى باهتمام أحد.

ابن يشج رأس أبيه:

خبر مثير، ومن الممكن أن يحصل على (الخبر الأكثر قراءة)!

أما إذا كان الخبر: ابن يفصل رأس أبيه عن جسده، فهذا - والعياذ

بالله - سبق صحفي وخبر الموسم!

هكذا هو الإعلام، في كل مكان في العالم: الأخبار المبهجة لا تعنيه..

دم على الرصيف، أهم لديه ألف مرة، من وردة نمت على نفس

الرصيف.

هل سمعتم بقصة حب رائعة تحولت إلى مانشيت؟ .. لا... ولكنكم

بالتأكيد: سمعتم عن قصة حرب مروعة.. بعد أن صارت (المانشيت)

و (الخبر العاجل)... نشرات الأخبار - والصحف - توحى لكم أن

العالم بشع جداً، والعالم ليس بهذه الصورة القاتمة.

لا تنكروا، ليس وحده الإعلام فقط من يفعل هذا، حتى أنتم في

أحاديثكم الخاصة وجلساتكم: أخبار الخير تأخذ من وقتكم دقائق

قليلة - هذا إذا عبرت في أحاديثكم - أما الأخبار الشريرة فتأخذ الكثير من أوقاتكم، وتهتمون بتفاصيل التفاصيل فيها!

هذه الحقيقة للأسف: الشر أكثر جاذبية من الخير!
الخير: طيب وبرئ وبسيط.. ولا يحب الأضواء كثيراً.
الشر: مشاكس وذكي ومراوغ، ويعرف كيف يكون سيد المشهد!

فاكهة أيلول

[2 سبتمبر]

أمضى نصف عمره يبحث عن (الإجابة) الصحيحة.
عندما وجدها.. اكتشف: أنه يتبع (السؤال) الخطأ!

[3 سبتمبر]

من أسوأ العبارات التي ما تزال تتردد في المجتمع الشرقي كأنها حكمة:
«زوجوه.. يمكن يعقل»!
وما ذنب الزوجة التي تحولت إلى «تجربة» واختبار..
لعل هذا الفاشل «يعقل» من خلالها؟!

ثم يقولون: يكمل نصفه الثاني...
هل أنتم متأكدون من اكتمال النصف الأول فيه؟!

[4 سبتمبر]

تخيّل حجم الضياع، والمتاهة التي يعيشها:
كان يحلم أن يلتقي ولو قاطع طريق!

[5 سبتمبر]

إذا كان للمبادئ سوق..
فكن المشتري ولا تكن البائع.
البائع يعرف: الثمن..
المشتري يعرف: القيمة!

[6 سبتمبر]

اليد التي تصفق للظالم - وتصافحه - عار عليها أن تكتب عن
العدالة.

[7 سبتمبر]

هنالك أشياء صغيرة في أعماق روحك لا تُقال: أنت ستفشل بقولها
بشكل جيّد وواضح.. ومن يستمع إليك سيفشل في فهمها!
دعها في مكانها.. في أعماق روحك.

[8 سبتمبر]

الندم: النفس تعاقب نفسها على شئ مضى، لتتشفل في حفلة التعذيب عن شئ سيأتي.

[9 سبتمبر]

لديك كل هذه الأشياء ولا تعرف الطريق إلى الفرح!؟
الرائع هو ذلك الشخص الذي - بكل أشياءه البسيطة والمتواضعة -
يستطيع أن يصنع الفرح ويوزع البهجة حوله.

[10 سبتمبر]

كل ما أملكه من علاقات وشهرة ودخل جيّد، سببه - بعد الله -
القراءة ..
ابتعادي عن القراءة لا أشعر أنه كسل... أشعر أنه خيانة!

[11 سبتمبر]

الذين تصر على مرافقتهم . رغم فشلك في رفعهم للأعلى .
سينجحون في جرك إلى الأسفل!

[12 سبتمبر]

أستغرب من أي شخص يعدد عشرات الأسماء، ويقول: أصدقائي!

[13 سبتمبر]

وجود «الدولة» مهم.. حتى وإن كانت سيئة!

[14 سبتمبر]

الشجرة التي صُنِعَ منها هذا التابوت ماتت مرتين!

[15 سبتمبر: اليوم العربي للنخلة]

حتى وإن جفّت عروقك..

أو تكسّرت أغصانك:

لا تخن الأرض التي أنبتتك.

[16 سبتمبر]

هناك شجرة للزينة فقط.

وهناك شجرة لا تمنحك سوى الظل.

وهناك شجرة تمنحك الظل، والمنظر الخلّاب، والثمار اليانعة.

والبشر: مثل الشجر!

[17 سبتمبر]

حنين!

قلت له:

مات منذ عام.. في نفس هذا اليوم 17 سبتمبر. ولم أقم بشطب رقم

هاتفه من القائمة!..

كلما قلبت قائمة الأسماء في الهاتف ومررت على اسمه، أتوقف قليلاً

وأتهجى الحروف كأنني أستعيد ملامحه وابتسامته الطيبة.. لم -

ولن - أقوم بشطب أسماء الذين أحبهم حتى وإن غابوا!

أخذني الحنين إليه، وأضفت:

هل تصدق؟.. أحياناً أفكر بضغط الرقم والاتصال عليه!

قال لي:

لا ألومك.. صديقي مات منذ عامين، وفي كل عيد أرسل له ضمن

القائمة رسالة التهئة..

أخجل أن أتجاوزها!

[18 سبتمبر]

كتف الصديق: العكاز الوحيد الذي لا يجعلك تشعر أنك أعرج!

[19 سبتمبر]

أحد أصدقائي كان يحلم في شبابه بقيادة «الفياري» وامتلاكها..
حصل عليها ولديه جسد لا يسهه الكرسي، وبطن ضخمة يرتطم في
المقود!

الأحلام التي تتحقق متأخرة تفقد الكثير من لذتها.

[20 سبتمبر]

قد لا تكون مركبتك في - السباق الطويل - هي الأفضل والأسرع..
ولكن معرفتك للطريق وتعرجاته ومخاطره هي من ستجعلك أول من
يصل إلى خط النهاية.

[21 سبتمبر]

كان يستره الصمت، تحدّث.. فتعزّى!

[22 سبتمبر]

قال: أحب بلادي كلما ابتعدت عنها.
قلت: في البعد تراها بشكل أفضل.. أو إن الحنين يُعيد البصر إلى
قلبك، فيرى ما لم يره سابقاً.
قال: أعشقها في الشتاء.
قلت: أعشقها في كل الفصول.. ومهما كانت حالة الطقس.
قال: أشعر.. أحياناً.. أنها ليست لي!
قلت: أشعر أنك لها.. ستكتشف أنها لك.

[23 سبتمبر]

23 سبتمبر

لما نموت:

تصبح بقايا أجسادنا..

رمل بصحاري بلادنا..

يجون أحفاد أحفادنا: بينون منّا بيوت!

- هل عرضت عليك الجنسية؟

- كان هنالك «تلميح» وجس نبض..

- وكيف قابلته؟

- اعتذرت، ورفضت.

- لماذا؟

- لأن علاقتي ببلادي أكبر من بطاقة ممغنطة أنزعها من محفظتي

واستبدالها ببطاقة جديدة، أكبر من وثيقة رسمية، أكبر من ورقة

تحدد «هويتي» عبر بيانات جديدة!

- ولكن.. ذلك سيصبح أفضل وأعلى.

- بلادي: ليست راتباً أحصل عليه آخر الشهر.. بلادي «كنزي»

الخاص الذي لا يفنى.

بلادي: الطقس الذي حدد ملامحي، ولون بشرتي الذي أخذ درجته

اللونية السمراء من شمسها، ومقاس فتحة أنفي التي تتسع للأكسجين المتاح في جوّها.

بلادي: هي لحظات العتاب التي لا تأتي إلا من محب إلى محبوب.
بلادي: أكلاتها التي أشتهيها، والملابس التي لا تريحنني.. وأصر على لبسها، واللكنة التي أحبها، والنكته التي تضحكني ويستغرب الذي بجانبني من سر الطرافة فيها، والبيوت المفتوحة للضيوف وعابري السبيل، ورائحة القهوة والهيل، وصوت محمد عبده الذي يستطيع أن يسحب أحد عروق القلب ويضعه وترأ في كمنجة، وأول حليب رضعته ورضعت معه طباع أسلافي والخارطة الجينية، وهدف سجله ماجد عبدالله - قبل سنوات - ما يزال يطربني ويجعلني أقفز في الهواء إلى أن يرتطم رأسي في السقف، والضحكات التي أحبها، والروائح التي شكّلت ذاكرة أنفي، والتراب الذي يضم رفات أجدادي، والباص الذي يحمل أولادي، والطريق، وكراسي المدرسة التي تنتظرهم، و«بنت» علمتني ذات صيف أن الحب أحلى من الأيسكريم وألذ من الشكولاته، ويمنحك فيتامينات تطيل عمرك، وتقوي نظرك، وتجعل عقلك يتمدد ليستوعب العالم كله.

بلادي: شئ أحلى من الحب، وأعلى من القصائد، وأغلى من رائحة عطر بدوي علق في «شيلة» أمي ويسكرني حين أعانقها.
وعلى ذكر أمي.. الأمر بهذا الشكل:

تخيّل أن امرأة رائعة وفاضلة وثرية وبإمكانها أن تمنحك كل ما تحتاج إليه، وتقول لك: تنازل عن أمك لأكون أمك الجديدة، وسأمنحك كل ما تريد. هل تنازل؟

في اللحظات الفاصلة ستري الوضع بهذا الشكل: بلادك هي أمك..
ودائماً أمك وأمي وأمه هي أروع وأجمل وأغلى النساء على وجه
الأرض.

بلادي ليست «ورقة» و «بطاقة»..
هي شئ أكبر.. هي أشياء أكثر.. هي اللون والرائحة والذاكرة والطعم
واللمسة والهوا والهوى.
هي هذه القشعريرة التي تُصيب الجسد والتي تستفز كل خلية
فيه حين يأتي ذكرها في بيت شعر.. في مقطع غنائي.. في خطاب
حماسي.. في سطر لا قيمة له سوى أن «بلادي» أتت فيه.
بلادي هي هذه «الدولة» وهذه الجغرافيا السياسية التي تحمل اسم
«السعودية» من الحد إلى الحد، من الماء إلى الماء، من رفحاء إلى
جيزان، من القطيف إلى نجران، وشعوري بالغضب لو أن أحداً فكّر
بالاعتداء على ذرة رمل من ترابها كأنه - بالضبط - يسطو على
منزلي وقوت عيالي.

بلادي: شئ تعجز كل اللغة أن تصفه.. وتصفه.
بلادي: قبر جدتي «رفعه» وسرير ابنتي «عائشة» التي لم تكمل شهرها
الأول.. ويا ويل من يفكر بالعبث بالسرير أو القبر!
بلادي.. هي الدموع التي انهمرت من عيوني وأنا أكتب هذا النص..
ولا أعرف ما السبب؟!
أحبها في آهات التعب..
أحبها في لحظات العتب

أحبها وهي تنظر لي بريية ، وتعاملني كمشبووه.
أحبها حين تخصم من راتبي الشهري، وتثقل كاهلي بارتفاع الأسعار.
أحبها وهي تُفتش في كلماتي عن مفردة ممنوعة.
أحبها وهي تحاول أن تُصنّفني وتحدد اتجاهي.
أحبها في غبارها، ومطرها الذي يفضح بنيتها التحتية، وليها الخفي
والمعلن / الناعم والخشن.

أحبها وهي تمنحني المخالفة المرورية وتتهمني بأنني خالفت القواعد.
أحبها حتى عندما يلتبس عليها الأمر وتظن أن مشاعري تجاه
«الحكومة» هي نفسها تجاه «الدولة»!

أحبها وهي تحمل شنطة المدرسة على ظهرها، أحبها وهي تحمل
الملف الأخضر وتبحث عن وظيفة، أحبها وهي تنتظر في غرفة
الطوارئ في أحد المستشفيات النائبة وتبحث عن سرير شاغر، أحبها
وهي تنظر عبر نافذة سجن.

وأغني لها في كل الأوقات، ومهما كان شكل الطقس، ومع اختلاف
حالاتي النفسية:

سارعي للمجد والعلياء..

مجددي لخالق السماء..

وارفعني الخفاق أخضر..

اليوم الوطني: 23 أيلول / سبتمبر.

يوم ميلادي: 25 أيلول / سبتمبر.

تُرى.. ما الذي حدث في 24 أيلول / سبتمبر حتى تصبح علاقتنا بهذا
الشكل؟!

[24 سبتمبر] حوار صحفي مع «كورونا»!

"#من أين أتيت؟

- أنا موجود منذ الأزل.. السؤال: أنتم كيف وصلتكم إليّ؟!

#ترد بغرور؟!... أنت فايروس ضعيف وهش يستطيع أن يقضي عليك مسحوق غسيل عادي.

- أنا أذكى منكم أيها البشر، أنمو وأتطور بشكل لم تصل إليه معاملكم وأبحاثكم.. أقضي عليكم ولا يمكنكم القضاء عليّ نهائياً.. دائماً ما أعود بشكل مختلف وأقوى.

على فكرة: تضحكني الأسماء المختلفة التي تطلقونها عليّ... أنا نفس الفايروس!

"#أنت فايروس خبيث؟

- لست أخبت منكم أيها البشر، في يوم واحد تقومون بإبادة بعضكم البعض أكثر مما فعلت بكم منذ ظهوري الأول حتى اليوم. هنالك الآلاف منكم يموتون من التخمّة، ويقابلهم الآلاف الذين يموتون من الجوع.

الذين قتلتهم خلال عام لم يصلوا إلى عُشر الذين يموتون بحوادث الطرق في بلادك فقط... لا تُحملوني ذنوبكم!

#يظل الإنسان - مع كل الأخطاء - هو سيّد الأرض، وتظل أنت كائناتاً صغيراً وهامشياً مثل ملايين الكائنات الأخرى.

-يا إلهي، ما أكبر غرورك أيها الإنسان! ومن مظاهر غرورك إصرارك العجيب على أن كل بلاء يصيبك مصدره كائنات أخرى.. تريد أن تلتصق تهمة «فايروس الإيدز» - على سبيل المثال - بظهر قرد مجهول، ولم تفكر ولو لحظة: لعلّ السبب هو قذاراتكم البشرية! الكثير من أفكاركم البشريّة الفلسفية/ العنصرية/ الاقتصادية/ السياسية: هي «فايروسات» أشد فتكاً مني.

خياناتكم: فايروسات.

أكاذيبكم: فايروسات.

كراهية بعضكم لبعض حتى القتل بسبب اختلاف اللون والمعتقد والعرق والأفكار: فايروسات.

انتبه.. كم «فايروس» خرج منك ليقضي عليك أيها الإنسان.. المغرور!

#هل تعلم أن هذا الإنسان - الذي تصفه بالمغرور - هو العبقري

الذي قام أنتج وطوّر الكثير من أبناء جنسك؟.. أنت لست سوى

«رصاص» صغيرة في حرب بيولوجية محتملة!

-أستغفر الله.. لم ينتجني وبيتكري إلا من أنتجك وابتكرك: الخالق

الأعلى. وتدخلكم بي وجعلي آلة موت هو من حماقاتكم - التي لا تعد
ولا تحصى - وأعمالكم القذرة أيها البشر!
عد لقرآنك العظيم، وتذكّر تلك الآيات:
(ويخلق ما لا تعلمون)

واسأل نفسك لماذا قال الخالق سبحانه (إن الله لا يستحي أن يضرب
مثلاً ما بعوضة) فكَر دقيقةً: أن هذه البعوضة بإمكانها - بقدرة
خالقها وخالقك - أن تبيد الجنس البشري!

"#سنقضي عليك مثلما فعلنا مع أسلافك.."

- سأعود إليكم كل عام بشكل مختلف ومتطور.. وفي كل زيارة أكتشف
نقاط ضعفكم، وحدود المناعة لديكم.. ذات يوم سأعود بشكل يجعل
أجسادكم تقتل أجسادكم!

"#ستجدنا مع المصل المضاد نقف لك بالمرصاد.

- لا أخشى هذا الأمر.. ما أخشاه هو أن يحدث العكس وأصاب أنا
بكم!!

في مثل هذا اليوم 24 سبتمبر من عام 2012 اكتشّف فايروس كورونا الدكتور
المصري محمد علي زكريا، المتخصص في علم الفيروسات في محافظة جدة
السعودية. وبعدّ الفيروس السادس من فصيلة الفيروسات التاجية.

[25 سبتمبر] نتيجة الفحص

كلما أخذتني الحياة بزحامها وفوضاها وأحلامها التي لا حدَّ لها..
وضعتُ نفسي في هذا المشهد المتخيَّل:
أجلس على كرسي من قلق، أنظر في وجه الطبيب الذي يُقلِّب أوراق
التحاليل التي أجريتها هذا الصباح في عيادته، أتابع نظرتَه الباردة
وهو يتفحص صور الأشعة أمامه ..

بعد أيام سأكون في الكويت لحضور الملتقى الإعلامي العربي.
ثمَّ في غضون يومين سأكون في الدمام لإنجاز الحلقة الجديدة من
سلسلة (ضوء) برنامجي في اليوتيوب.

بعد أسبوع سأكون في الدوحة لإنجاز بعض الأعمال.
آخر الشهر سأكون في دبي لحضور جائزة الصحافة العربية.
وماذا بعد؟

متى سينتهي هذا الركض؟

أعود إلى مشهد الطبيب الذي يُقلِّب نتائج التحاليل؛ ليكتشف أسباب

الآلام التي أصابتني، ولم تنفع معها المسكنات والمضادات وبقية
الأدوية... هي لحظات كأنها عمراً!

لا أقوى على السؤال.. أخاف من الإجابة!

ما الذي يراه في هذه الأوراق؟ هل أنا مُصاب بمرض خطير؟!

حققت الكثير من أحلامي، وعشت الحياة بشكل رائع.. ولم أشبع
منها.

ما أنا عليه الآن كان أحلاماً كبيرة وصعبة بالنسبة إلي قبل سنوات
قليلة:

البيت الذي أملكه، زوجتي الرائعة، أولادي الأذكى الأصحاء،
الأصدقاء، دخلي الجيد، الكتابة، الشهرة، الاحترام الذي يمنحه
الناس لي... ولكن كل هذه الأشياء التي بين يدي لا تصل إلى عُشر
الأشياء التي أحلم بالقبض عليها.

ما يزال هنالك الكثير من الأحلام التي تحتاج إلى المزيد من الركض
والجهد والقلق.

وماذا بعد؟!

متى أشعر بالشبع والارتواء؟!

متى ينتهي هذا الركض؟!

أعود إلى الكرسيّ القلق، ونظرات الطبيب الباردة/ المحايدة..
يلتفت إليّ بوجه متجهم، ينزع نظارته.. ولا ينزع النظرة المحايدة،
ويخبرني بالخبر الصاعق!
يا الله!

ليت الحياة تمنحني الفرصة لأعيد رسم علاقتي مع الأشياء.
سأتوقف عن هذا الركض تحت الأضواء الساطعة الباهرة لأجلس
بطمأنينة تحت ضوء خافت مع من أحب.
سأجلس أكثر بجانب والدتي، وأقبل قدميها ويديها، وأستمع لأحاديثها
العادية البسيطة الأهم من كل أحداث العالم.
سأعيد علاقتي مع هذا الإنسان الذي اختلفت معه على أشياء تافهة
جداً.. وصار بيني وبينه قطيعة وكُره.
سأصفي أكثر لموسيقا هذا الكون.
سأهرب من هذا الضجيج، وأهجر كل تلك الثرثرة التي تملأ
الفضاء.. وتدّعي معرفتها بالحياة، لألجأ إلى الكلمات الهادئة
البسيطة التي تدل طريق القلب وتصل إليه بسهولة وسلاسة.
سأنتبه إلى اللحظة الأولى التي قالت فيها طفلتي الصغيرة: (بابا).
أشعر أن أولادي كبروا بسرعة ولم أنتبه إلى تفاصيل أعمارهم،
وتجاربهم الأولى، وأسماء فرقهم المفضلة، والأشياء التي يحبونها
وينحازون إليها.

الحياة تأخذنا من الحياة!

الأشياء التي نظن أنها مهمة تأخذنا من الأشياء الأكثر أهمية.

ننشغل بالأشياء البعيدة.. وننسى الأشياء الجميلة التي بقربنا

وتستحق اهتمامنا.

قلت لكم إن مشهد الطبيب مُتخيّل، ولكنه من الممكن أن يحدث في أي

لحظة ولأي واحد منا.

و.. ينتهي الركض فجأة!

في مثل هذا اليوم 25 سبتمبر في مستشفى التابلاين في رفحاء رزق رطيّان بن

عبّاس بن محمد سلطان السلطان وزوجته وضيحاء بنت قدر بن شايح الشمري

بطفل اقترح الطبيب تسميته عبد الهادي، كبر وهو يعاني حمى روماتيزمية في

القلب جعلته في طفولته يصاب بالشلل، ومشاكل أخرى في الأذن اليمنى..

بسبب المرض والتنقل من بلد إلى بلد أخفق في دراسته ولم يحصل إلا على

المتوسطة. لاحقاً -ولسبب يجهله عبد الهادي - قررا تسميته محمداً!

محمد الآن بصحة جيدة، ووضع مادي واجتماعي رائع، ورزقه الله بزوجة

وسبعة أبناء رائعين، ويكتب لك هذا الكتاب الذي تقرأه الآن.

[26 سبتمبر]

الحياة: نص فاتن ومد هش.

يشغلنا عن الاستمتاع بقراءته.. محاولاتنا الدؤوبة للمشاركة بكتابته!

[27 سبتمبر]

رغم ما ألقاه من معرفة مع تقدمي بالعمر، ورغم الخبرة التي تتراكم لديّ..

ما أزال - ولله الحمد - أحافظ على عيوبي التي أحبها!

[28 سبتمبر]

كلما تقدمتُ بالعمر تخلصتُ من أحد القيود

التي ورثتها من أجدادي..

بعد مدة اكتشفتُ: أنني كنتُ أرميها على أولادي!

[29 سبتمبر: اليوم العالمي للقهوة]

القهوة، برائحتها وطعمها..

الطبيعة تقول لك: «صباح الخير»!

[30 سبتمبر]

ما نعتاده.. يتحكم بالذوق والمذاق:

في إحدى البلدان، لسوء الأوضاع الاقتصادية. وبعد انقطاع بعض

السلع. قررت الحكومة توزيع «شيء» ما.. على أنه «شاي»!

بعد سنوات من شربه، وبعد عودة الشاي الحقيقي، رفض الناس

شرب الشاي.. لأنهم أدمنوا شرب «الشيء»!

10

أكتوبر / تشرين الأول

telegram @ktabpdf

[1 أكتوبر]

أنا متفائل:

في هذه اللحظة، وفي أماكن مختلفة من هذا العالم، يحدث الآتي:
هنالك ولد يتدرّب بجانب والده على البيانو.. غداً سنراه موسيقاراً
عبقرياً.

هنالك ولد يلعب في شارع ترابي - في حيّ فقير - غداً سيدهشنا
بأهدافه الرائعة مع نادٍ شهير.

هنالك شاب يتهمه رفاقه بالغرابة والانطواء.. غداً سيذهلنا ببرنامج
إلكتروني مذهل.

هنالك رجل تجاوز الستين من عمره - قضى نصفه في معمل الأبحاث
- غداً سيعالج أمراضنا بدواء عجيب.

هنالك صبيّة تفتح أزهارها وأسرارها.. غداً سيذوب العالم
بضحكتها.

هنالك

خبر عاجل:

قذيفة تُبَدّ عائلة بأكملها في سورية.

أنا متفائل!

[2 أكتوبر]

احذر من هذا الإنسان الذي يرى أن مصيبتك: عقوبة، ومصيبته:
ابتلاء..

واحذر أكثر من الثقافة التي شكّلتها بهذا الشكل!

[3 أكتوبر]

الضمير ينبهك ويؤنبك ويوجعك..

ولكنه لا يمنعك من ارتكاب الخطيئة.

الضمير: جرس إنذار..

هل سمعتم بجرس إنذار قام أطفأ حريقاً؟!

[4 أكتوبر]

امتلاكك لهذا الكم الهائل من

المعلومات لا يصنع منك مثقفاً..

الثقافة هي أن تُشكل من تلك

المعلومات: رأياً، وتتخذ: موقفاً.

مثقف بارد..

من يظن أن القراءة - وحدها - هي التي ستشكله ثقافياً!

[5 أكتوبر]

في مثل هذا اليوم عام 2011 توفى ستيف (صطيف) جوبز الأمريكي ذو الأصول السورية - صطيف عبدالفتاح جندلي - مؤسس شركة آبل.

[6 أكتوبر]

قال هاتف ذكي:

أنا الوحيد الذي لا أصاب بالزهايمر، ولكنني سأجعلكم جميعاً تصابون به.. أنا ذاكرتكم الجديدة التي ستلغي الذاكرة!

[7 أكتوبر]

حارس المرمى!

حارس المرمى: اللاعب الوحيد في فريق كرة القدم الذي تشعر أنه منبوذ!

أظن، لو أن الطب النفسي الحديث ركّز على حُرّاس المرمى لوجدتهم يعانون حالات نفسية غريبة!

- حارس المرمى يرى زملاءه يجوبون الملعب بالطول والعرض بكامل حريتهم، ووحده محبوس في صندوق صغير.

- يراهم يحتفلون بتسجيل هدف، وينظر من بعيد - وحده - لا يستطيع الوصول إليهم، ولا الاحتفال معهم.

- جميعهم يلبسون شعار الفريق، وبلون واحد، ووحده ملابسه

مختلفة عنهم بشكلها ولونها.

- القوانين التي تُطبَّق عليهم لا تطبق عليه. كرة (قدم) وهو الوحيد بينهم الذي يسابقهم ليضربها ب (يده).

كأنه الابن الضال، والمنبوذ من العائلة!

كل الفرق تلعب بعشرة لاعبين وحارس.

وحده الألماني «مانويل نوير» يجعلك تشعر أن فريقه يلعب بأحد عشر لاعباً.. وحارس!

هو الوحيد الذي يتمرّد على منطقتة ويخرج من «الصندوق».. ولو

أعطاه مدربوه الحرية لوجدته في منطقة الـ 18 للفريق الخصم!

يحب أن يداعب الكرة - كلاعب.. لا كحارس - ويرaug، قبل أن

يرسلها إلى دفاع فريقه.

يقوم بالحركات الخطرة في المنطقة الخطرة ليشعر أنه جزء من

الفريق.. وليس مجرد «حارس» محبوس في مرماه ومنطقتة التي لا

يتجاوزها.

هو حارس مذهل، يلعب بالكرة... وأعصاب أنصار فريقه!

[8 أكتوبر]

في الفن، والحب: من المنطق ألا تستخدم المنطق!

[9 أكتوبر]

حتى الفكرة السيئة، دعوها تمر..

امنحوها الفرصة الكاملة لتثبت لكم أنها سيئة!

[10 أكتوبر]

مع أن «ساعته»: غالية..
كانت أوقاته: رخيصة!

[11 أكتوبر]

نزع القناع الأول..
نزع القناع الثاني..
حاول أن ينزع الثالث، وفشل..
حاول مرة ثانية، وثالثة، وعاشرة، ولكنه يفشل في كل مرة:

اكتشف - أخيراً - أنه وجهه!

[12 أكتوبر]

أكبر وأعظم مغامرة في حياته: أنه لم يغامر أبداً!!

[13 أكتوبر]

النفوس الطيبة لها وجوه طيبة حتى وإن لم تكن ملامحها جميلة..
ما يُزرع في داخل النفس تخرج ثماره في ملامحنا الخارجية.

[14 أكتوبر]

عند بعضهم..

الدعاء الأكثر لؤماً في العالم:

«اللَّهُ يعطيك على قد نيتك»!

[15 أكتوبر]

بين الهوا والهوى!

(1)

رجال الدين - في عالمنا العربي - نوعان:

الأول: رسمي، والثاني: شعبي.

الأول: يعمل داخل «المؤسسة»، والثاني: يعمل خارجها.

الأول: يتكئ على سلطة الدولة وقوتها، والثاني: يتكئ على الأتباع

والمرئيين.

يتميز الأول - غالباً - بالولاء، ويتميز الثاني - أحياناً - بالمشاكسة.

(2)

الأول أصبح رهينة المؤسسة وبيروقراطيتها وتعاميمها وتوجيهاتها..

الثاني أصبح رهينة الجمهور والأتباع.. صار المتبوع - دون أن يشعر -

يتبع التابعين، يتلمس مزاجهم العام، ويحاول أن يعرف مصدر الهواء

الذي يحركهم.. والهوى الذي يدركهم، فإما أن يقول ما يوافق المزاج

العام.. وإما أن يلجأ إلى الصمت!

(3)

صار لكل مؤسسة شيخها «الخاص» بها:
هذا «جهاز» يحتاج إلى فتوى تمرر قراراته وتصرفاته للمراقبين.
وهذه مؤسسة مصرفية تحاول أن تزيد أرباحها عبر إقناع الجمهور
بمشاريعها «الحلال».
وهذه قناة تريد أن «تشرعن» برامجها الترفيهية ببرنامج وعظي
يتخلل المشاهد الراقصة!

(4)

في الغالب، وعند النوعين الأول والثاني، لم يتطور «الخطاب»..
فقط.. عند الأول يُقدّم عبر إذاعية رسمية وبطريقة تقليدية، وعند
الثاني يُقدّم بشكل مبهر عبر قناة فضائية ملونة شاشتها HD، و«
الخطاب»: أبيض وأسود!
تشعر أنهم خارج العصر، ويرتابون بشكل عجيب من أي جديد..
وأفضل حكم فيه: رفضه!
ينشغلون بأحزابهم أكثر من انشغالهم بدينهم.
أغلبهم «حفظة» لم يضيف لكتاب تاريخ الإسلام سطرًا واحدًا.
اقتصروا الإسلام بعظمته وكماله وإنسانيته وحضارته إلى أشياء
شكليّة صغيرة ومسائل تافهة.
بعضهم لديه القدرة على تشويه الإسلام أكثر ممّا يفعل ألد أعدائه!

(5)

«رجل الدين»: في الكثير من الدول العربية تحوّل إلى «موظف» لا تراه إلا في صلاة العيد عبر الشاشة الرسمية، أو شيء موجود - ليُكمل المشهد - في مناسبة قومية..
خارج هذا الإطار، تراه: خارجاً على القانون!

(6)

«علي الوردي» كان يتحدث عن وعّاظ السلاطين.. الآن، لكل سلطان واعظ:
سلطان السياسة، سلطان المال، سلطان الإعلام، حتى سلاطين كرة القدم لهم وعّاظهم الذين يقرؤون عليهم بعض الأذكار لـ «فك نحس» الفريق ليفوز بالدوري!

(7)

في عالمنا العربي هنالك جيل بدأ يتشكّل، ويخرج من العباءة:
لم يعد يعجبه «الخطاب» المكرور، ولم يمنحه الحلول السحرية.
هو لا يُصدّق الأول، ولا يثق بالثاني.
هذا الجيل، في الغالب، تراه يتطرف برفضه ويذهب إلى أقصى اليمين أو أقصى اليسار:
أحدهم يُلحد، والآخر يلتحق بجماعة متطرفة!

(8)

رجال الدين - في عالمنا العربي - نوعان ..
عبد الرحمن السميطة رحمه الله: نوع ثالث.

والإنجازات العظيمة ليست نتيجة لعمل دول قوية ومؤسسات كبرى
فحسب. بإمكان شخص عظيم أن يفعل ما لا تفعله الدول والمؤسسات
الضخمة التي تمتلك المليارات. عبد الرحمن بن حمود السميطة..
كان وحده مؤسسة، بل هو أحد أهم المؤسسات الدعوية: بنى 5700
مسجد، وزّع 6 ملايين مصحف، كفل ورعى 15000 يتيم، أقام 840
منشأة تعليمية، علّم 500 ألف طالب، حفر 9500 بئر، بنى 124
مركزاً صحياً... وأسلم على يده أكثر من 10 ملايين شخص في
أفريقيا.

في الوقت الذي كان بعض الدعاة يدعون «المسلمين» إلى الإسلام في
قاعات فخمة ومكيفة..

كان هو يعبر أحد المستنقعات ترافقه لسعات البعوض، ويتسلق جبال
كلمنجارو، ليصل إلى قبيلة بدائية لم تسمع بالإسلام.

قضى نصف عمره في مجاهيل أفريقيا وأدغالها:

بين أفعى قاتلة، وطبيعة شرسة، ومليشيات مسلحة..
وقضوا نصف أعمارهم في الفنادق، والقصور، والبخور، والمشالح
المطرزة بالذهب.

كانوا يجمعون مداخل الأشرطة والمحاضرات والبرامج الإذاعية
والتلفزيونية..

وكان يصرف ما يكسبه في سبيل الدعوة.

كانوا يأخذون، وكان يعطي..

وهو الأكثر «ربحاً» بينهم.

ما أعظم الفرق بينه وبينهم !

كانوا: الضوء، وكان: الضوء.

كانوا نجوماً في التلفزيون

كان كوكباً في السماء.

رحل خادم فقراء أفريقيا، وسيّد الدعاة في هذا العصر رحمه الله
في 15 أغسطس 2013، وكانت ولادته في مثل هذا اليوم 15 أكتوبر
1947.

[16 أكتوبر] خبز الكتابة/ كتابة الخبز!

قبل فترة سألني أحدهم: ما رأيك بما يكتبه فلان؟
ولأنّ ما يخبزه فلان من مقالات باهتة لا تروق لي.. هربت من الإجابة
قائلاً:

نحن الكتاب مثل الخبازين.. ولا تسأل - يا رعاك الله - الخبّاز عن
رأيه بخبز الفرن الذي بجانبه!
قال: يعني.. أنتم تخبزون علينا؟!
قلت: لا.. بل نخبز لكم.. وهناك فرق بين لكم وعليكم يا أخا العرب!
قال: الكل يخبز؟

قلت: نعم، ومن أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، هذا يُقدم لك خبز
«التميس الأفغاني» والآخر يُقدم لك «الخبز الفرنسي».. وما بينهما
يتنوع الطحن والعجن وتتعدد الأروقة، والكل يقول لك: إن خبزي هو
الأشهى والأكثر لذة وفائدة.

قال: ولكن.. هنالك فرق بين الخبز والكتابة!
قلت: أبداً.. هذا غير صحيح.. الخباز يطحن ويعجن لكي يُقدم لك
رغيفاً ساخناً وشهيّاً، وأنا أطحن وأعجن الأفكار لكي أخبز لك مقالاً
ساخناً وشهيّاً.. وكلانا نطمع في أن يروق لك ما نخبز.. ويشبعك.
قال: هل هنالك فرق بين خباز وخباز؟
قلت: طبعاً.. الخبازون أنواع...

هناك الكاتب/ «الأرقل»/ الكسول الذي يُقدم لك «خبز الرفلا»:

نصفه محروق، والنصف الآخر عجين.

وهناك الكاتب الذي يُقدم لك «الرغيف» نفسه منذ سنوات.. ولكنه يخدعك كل مرة ليوهمك بتنوع ما يخبزه: مرة رغيف دائري، ومرة يخبزه بالشكل المثلث، ومرة يُضيف عليه بعض السمسَم والسمن.. وهكذا، تتغيّر الأشكال مع أن الرغيف واحد!

وهناك الكاتب الشعبي ذو الأُرغفة الشعبية .. كيس الخبز بريال! وهناك من يسرق «طحين» الآخرين ليعيد إنتاجه ويوهمنا بأنه خبز جديد.. وهناك من يسرق الخبز ويُعيد تسخينه!

وهناك من تَأْكُل أرغفته وتجد في داخلها بعض نشارة الخشب! وهناك من يحرث، ويزرع، ويسقي، ويحصد، ويطحن، ويعجن، ويتحمل أذى الفرن وناره اللاسعة، ليخبز لك في النهاية خبزاً لا شبيه له سواه.

وهناك من تَأْكُل خبزه الفاخر.. وتظن - لذته - أنه كعك.

قال: اقبل مني هذا السؤال / الشطحة!

قلت: تفضل.

قال: كأن العالم اتفق على أن تكون أرغفة الخبز - في الغالب - دائرية الشكل.. لماذا؟

قلت: لأن الدائرة سيدة الأشكال الهندسية.. والخبز سيّد الأغذية.

قال: وما الذي يزعجك من المفتش الصحي الذي يُراقب خبزك؟

قلت: حين أصنع رغيفاً شهياً ولذيذاً ويمنع الناس من تناوله بحجة

أنه يسبب عسر الهضم!

قال: وماذا ستفعل إذا أغلق المخبز؟

قلت: سأزرع أصابعي سنابل حنطة، وأشعل تنور أحلامي، وأفتح مخبزاً إلكترونياً، وأوزع الخبز والأفكار لكل الناس. لا أحد يستطيع

أن يمنعك من الغناء.. والخبز!

قال: أنا جائع.. بماذا تتصحني؟

قلت: عليك بالخبز البلدي.. الذي خبزته أصابع أحرقت أطرافها نار تنور الحقيقة.. هو الخبز الأشهى والأصدق.

(أ)

الجوع يبتكر أخلاقه!

وتقلب الحالة الاقتصادية لأي مجتمع بإمكانها أن تعيد تشكيل وعيه وطباعه وأخلاق الشارع.

الطباع تتغير، والكلمات - ومعانيها - تتغير، وأخلاق الناس تتغير مع تغير حجم الرغبة..

تذكرون حجم الرغبة الذي تصنعه أمهاتنا؟.. كان كبيراً ويكفي ثلاثة أشخاص..

صغر الرغبة، وصارت ثلاثة أرغفة لا تكفي شخصاً واحداً.

(ب)

طباع الجائع سيئة.. وطباع المتخم من الطعام أسوأ!

(ج)

قلت سابقاً:

إنني لا أحبُّ الحديث في السياسة، ولكن.. ماذا أفعل و«السياسي» هو مَنْ يُحدِّد شكل الرغيف وحجمه، وسعره، ومقدار الملح فيه.. وموعد وصوله إلى مائدتي؟!

(د)

والخبز يختلف شكله وحجمه وطعمه باختلاف المائدة:

هناك الخبز العادي للمواطن العادي.

وهناك الخبز الفاخر للمواطن الفاخر.

وهناك الخبز الأنيق: المعجون والمخبوز بطريقة أنيقة وشهية.. كأنه

يدعوك لأكله!

وهناك المائدة المعولة: احتضنت في سلة واحدة الخبز الفرنسي

والعربي وخبز الفوكاشيا الإيطالي والتوست والمعجنات وخبز الجباتي

الهندي!

وهناك الخبز اليابس للمواطن البائس!

(هـ)

في مكان ما سيصرخ الجوعى: نريد خبزاً.. نريد خبزاً..

وفي كل زمان ستكون هناك «ماري أنطوانيت» ترد عليهم ببلاهة:

ولماذا لا تأكلون الكعك والبسكويت؟!

(و)

أخطر شيء من الممكن أن يحدث في أي مطبخ هو ألا يبقى فيه سوى
مائدتين:

مائدة متخمة، ومائدة جائعة.. وتغيب المائدة المتوسطة/ الطبيعية.

لحظتها.. سيسقط سقف المطبخ على رؤوس الجميع!

(ز)

الرجيف يصنع التاريخ .. أحياناً!

ضمن أحداث الثورة الفرنسية التي غيرت العالم: في مثل هذا اليوم 16
أكتوبر 1793 اقتادت عربة الموت الملكة ماري أنطوانيت - بين الجموع التي
تبصق عليها وتلعنها - إلى ميدان الثورة في باريس لتواجه عقوبة الموت بقطع
رأسها بالمقصلة.

[17 أكتوبر]

عندما تُدخل يدك في فرن الكتابة..

لا تصرخ لأن إحدى أصابعك لسعتها فكرة ساخنة!

الذي يحسب عدد أصابعه قبل الكتابة..

يخرج بعد الكتابة: بأصابع كاملة وكلمات ناقصة!

[18 أكتوبر]

في المطعم نعرف النادل ولا نعرف الطهارة..
وكذلك في الحياة:
كثيرة هي الأشياء التي نرى الذين يقدمونها لنا..
ولا نعرف في الحقيقة من «يطبخها»!

[19 أكتوبر]

لا تطالب الآخرين بأن يتخذوا «مواقفك» نفسها أو أنك ستصفهم
بالسلبية والجبن.
تفاصيل حياتهم، وإمكانياتهم، وظروف عيشتهم، حتى نظرتهم لـ
«البطولة» تختلف عنك.

من الظلم أحياناً أن تطالب المشغول
بـ «رغيف الخبز» أن يتخذ موقفاً تجاه «الكمك»!!

[20 أكتوبر]

القناعة: كنز الفقراء!
والفقر: لعبة السياسة..
والسياسة: هي توزيع «كنز القناعة» على الفقراء!

[21 أكتوبر]

احصل على مؤرخ سييء، تحصل على تاريخ جيد!

[22 أكتوبر] سلطان العلماء وعلم السلاطين

(1)

هي «القاهرة»:

قهرت الصليبيين والتتار والصهاينة.. وستواصل عملها التاريخي،
رغم أنف الظروف وتقلبات الأجواء.. لأن اسمها، وطبعها: القاهرة
هي «القاهرة»:

مدينة لديها القدرة على تعريب أي عرق..

وانتاج الأمل، وابتكار البطولة.

وصناعة المجد لأي رجل ترى في ملامحه وطباعه المؤهلات الكاملة
للدخول إلى كتاب التاريخ.

(2)

في شوارع دمشق كان يتجول رجل في مطلع العقد السادس من عمره..
لا يعرفه أحد.

مضى عمره بلا قيمة... وفي لحظة ما، تلفت حوله، شعر أنه مجرد
«شئ».. أو «لا شئ»!

هو واحد من العامة، من الرعاع، من الدهماء، من السواد الأعظم،
يشبه الأغلبية العظمى من الناس: يتفرجون على ما يحدث حولهم..

ولا شأن لهم!

قرّر في لحظة ما أن يكون شيئاً مهماً، وأن يبدأ في طلب العلم رغم عمره المتقدم .. وبعد سنوات قليلة، عرف العالم اسمه .. إنه: «العز بن عبد السلام».

(3)

في شوارع القاهرة كان القائد العظيم يتجول ليتفقد جنده ويحثهم على الصبر ويوحد الفصائل المختلفة... حول «القاهرة» إلى ثكنة عسكرية ومصنع لإنتاج العز والمجد والآلة الحربية. جعل الأمراء - بفتوى جريئة من العز بن عبد السلام - يتبرعون بكل ما يملكون، وكان هو في مقدمتهم، لدعم الجيش الذي سيواجه القوة العظمى الأولى في العالم (جيش هولاكو) .. لم ترعبه ما تبثه الأخبار عن ضخامة الجيش القادم وقوّته.. لم تكسر عزيمته كل الحروب النفسية التي سبقت العسكر في الوصول إليه.. لم ينحن للخطابات المكتوبة بلغة عربية تحثه على المفاوضات مع الجيش الأقوى.. لم تُفره الوعود بمنحه إمارة صغيرة تصاحبها بعض الرفاهية وغنج جارية حسناء... قال للفصائل المتناحرة بعد جمعهم: «سلموني هذا الأمر لأرد هذا الغزو عنكم ونحمي بلاد المسلمين، ثم اختاروا من شئتم ليحكمكم».

قبل سنوات قليلة من هذا الحدث وبعيداً عن القاهرة، كان هذا القائد العظيم:

طفلاً يلهو في قرية جبلية في بلاد ما وراء النهر (آسيا الوسطى) عندما اجتاحت جيوش التتار بلاده، وسُبي ليُباع فيما بعد كعبد مملوك في أسواق دمشق.

هذا الطفل الذي سباه التتار أصبح بعد سنوات قلائل منقذ الحضارة الإنسانية حين أوقف تقدم جيوش الظلام الهمجية في «عين جالوت». هذا الطفل الذي هزم من سباه، اسمه: «قطز».

(4)

هي «القاهرة» جمعت الاثنين:

الدمشقي الطاعن في السن.. والرأي، والأسوي المطعون في حرите. كان «العز بن عبد السلام»: المثقف الشريف الذي لم يعرض رأيه في سوق النخاسة العلمية.

وكان «قطز»: السياسي والقائد العظيم الذي استمع إليه واحترم رأيه.

كلاهما صنع النصر وكتب التاريخ في «عين جالوت».

(5)

لا عمر للمجد، لا أصل للمجد..

سلطان العلماء «العز بن عبد السلام» بدأ بطلب العلم وعمره: 52 سنة.

عَلِمَ السلاطين، وصاحب التاريخ العظيم «قطز»: عاش نصف حياته مملوكاً ومات شاباً.

(6)

لم يكن هناك «قطز» لو لم يكن هناك «العز بن عبد السلام».
أما «التتار» فما يزالون يقفون على حدود المسلمين.. أكاد أسمع صهيل
الخيال!

في مثل هذا اليوم 22 أكتوبر من عام 1260 توفي الملك المظفر سيف الدين قطز
بطل معركة عين جالوت وقاهر التتار المغول.

[23 أكتوبر]

السائد: مريح، الاختلاف: مُرهق.

أنت تُولد وتتشكل هويتك وطباعك وأخلاقك عبر كل الأدوات السائدة
قبل حضورك لهذه الدنيا: ترث نفس اللهجة والعادات والطباع
والملامح التي يمتلكها مجتمعك.. تصبح، مع مرور الوقت، هذه
الأشياء - بحسناتها ومساوئها - هي هويتك التي تدافع عنها.. تدافع
عن الخطأ فيها قبل الصواب!
الناس في الغالب - وأنت منهم - مُنقادون لعاداتهم:
بالضبط، مثلما أنت معتاد برنامجك اليومي، وممارسة عاداتك
اليومية.. أنت عبر الجماعة التي تنتمي إليها لك عاداتك الكبرى
والتي لم تفكر بمراجعتها، أو رفض ما هو خطأ فيها.

من الممكن أن تكسر برنامجك اليومي المعتاد..
لكن، كيف ستكسر برنامج حياتك الذي شارك الجميع بكتابته.. إلا
أنت؟!

بعضهم يرى أن نزع جلده أسهل من نزع الملابس التي اعتادها!

[24 أكتوبر]

الخروج عن السائد: مغامرة!

لـ «السائد» جيوش تدافع عنه، ومصالح تشكلت مع الزمن سيقاتل أصحابها للحفاظ عليها.

مراجعة السائد وفحصه هي أول خطوة للخروج منه، والتخلص من قيوده..

والذين يختبئون في أقبية السائد والمألوف هم في الغالب يخافون من أي جديد يأتي بشكل مختلف عما اعتادوه:

- في البدء يرفضون الجديد ويقاقلونه بكل الأسلحة التي يمتلكونها بالطرق المشروعة وغير المشروعة.

- بعد مدة يكتفون بالرفض.. وشيئاً فشيئاً يعتادونه.

- بعد سنوات، وحين يتحول ذاك «الجديد» إلى سائد ومألوف، بيدؤون بالدفاع عنه ضد أي شيء أكثر جدة وحادثة منه!

[25 أكتوبر]

التقليديون هم أبناء ما ألفوه.. وُخِّدَأمه المخلصون:
يتميزون بعدم مراجعتهم لما مضى.. ورفضهم لما سيأتي.
لا يفرقون بين الاختلاف، والخلاف، والتخلف!
أنصار السائد لا ينتصرون، ولكنهم يقاتلون بشراسة حتى آخر لحظة..

لو انتصروا لكانت البشرية ما تزال تسكن منزلها الأول: الكهف!
بعض المجتمعات تتجاوزهم بسهولة..
وبعض المجتمعات تحتاج إلى قرن لتمرير فكرة صغيرة!
مصيبة حين يتحوّل السائد إلى سيّد كل شيء..
وأى خروج عليه هو خروج على كل الأنظمة.

[26 أكتوبر]

في مثل هذا اليوم عام 2013 ظهرت دعوات جديدة في المجتمع
السعودي من ناشطات سعوديات لحملة القيادة في السعودية للنساء،
وحَدّد موعد للحملة تنطلق فعالياتها في 26 أكتوبر، وانتشرت تلك
الحملة عبر وسائل التواصل الاجتماعي.. وانتصر السائد!

[27 أكتوبر]

أكثر شخص اتفق العالم على أن يخدعه:
«الجندي المجهول»... نصبوا عليه بنصب تذكاري!

هو الشهير الذي لا يعرفه أحد!

[28 أكتوبر] تمثال

(1)

لا أحد يعلم على وجه الدقة في تلك القرية، كيف بدأت الفكرة، ومن الذي تقدم بالاقترح؟... فالحكاية تقول:
إن الجماعة هناك قررت أن تبني «تمثالها» الخاص، فكل القرى حولهم لهم تماثيلهم.. ولا بد أن يصنعوا تمثالاً لا يشبه له بين التماثيل.

قال كبار السن في القرية: على كل شخص أن يأتي بما يستطيعه من «المواد» لكي نصنع التمثال..

هذا أتى بالرمل، وذاك أتى بأحلامه، وثالث أتى بأغصان الشجر، وآخر أتى بآلامه، وخامس أتى بضوء سراج، وهناك من تبرع بحكمته... وتعددت المواد: رغيف خبز يابس، عصا، حليب البقرة

الوحيدة، ما تبقى من رمح مكسور، بيتٌ شعر لا يُعرف صاحبه... ولما اجتمعت المواد التي سيصنع منها تماثيلهم، قال أحد كبار السن: لا بد من الماء لنخلطها ونعجنها..

هنا، قال حكيم القرية: لا بد أن يكون الماء من النوع الطاهر النادر! قال الجمع: ومن أين نأتي به؟

قال الحكيم: ماء العيون / الدمع، وماء الجسد / العرق.

وبدأت الأمهات بالبكاء، وبدأ الآباء يعملون بكد ليستخرجوا عرق أجسادهم.. حتى توفرت الكمية المناسبة لخلط المواد... وصنعوا التمثال الذي لا شبيه له بين التماثيل.

(2)

مع مرور الوقت:

صاروا يهتمون بشكل التمثال وصورته، ونسوا المادة التي تشكل منها. اهتموا بشكله الخارجي / السطحي، ونسوا العمق وما فيه.

بعد مدّة من الزمن، ومع تعاقب الأجيال:

صار للتماثيل حُرّاس يستفيدون من دخله الذي تجلبه الزيارة والتبرّك حوله.

وظهرت فئة أخرى، صارت تعرضه «سياحياً» للغرباء.

وتشكّلت جماعة لها الحق وحدها في حمايته وكتابة تاريخه.

وآخرون صارت قيمتهم من قيمته، وأهميتهم من أهميته.

(3)

ذات فجرٍ، قام من نومه الصبي المشاغب (الذي حُبس مرتين لأنه يثرثر بالكلمات الممنوعة) وتسلل نحو ساحة المدينة - التي كانت قرية - وكان بيده فأس.. صوّبه نحو التمثال ليتناثر إلى أربع قطع... ومن

يومها والأحلام والعرق والدموع والضحكات والحكمة والضوء والآلام
تتجول في شوارع المدينة.

أما الصبي المشاغب، فاختلف الرواة حول مصيره..
أغلب الرواة يقولون: إنه منذ تلك اللحظة، وإلى هذا اليوم، ولعنات
أهل الأرض والسماء تطارده. مكتبة الرمحي أحمد
وهناك رواية يتيمة - لا تجد من يؤكد لها - تقول: إنه في اليوم التالي،
وفي موقع التمثال القديم، انتصب تمثال جديد، يحمل نفس الملامح
المشاكسة للصبي المشاغب!

في مثل هذا اليوم 28 أكتوبر من عام 1886 تم افتتاح تمثال الحرية في نيويورك
الذي أهده فرنسا للولايات المتحدة بمناسبة الذكرى المئوية للثورة الأمريكية.

[29 أكتوبر]

قالت كرة القدم:

كل هذا الضرب الذي ألقاه يومياً وتسمونني «معشوقة الملايين»!
ماذا كنتم ستفعلون بي لو أنكم تكرهونني؟!

[30 أكتوبر] عن اللعبة التي أحب

[صافرة البداية]

أعظم لاعبي كرة القدم خرجوا من الملاعب الترابية، من وسط الأحياء الفقيرة.

في التنس.. أنت تحتاج إلى ملعب.

في كرة القدم.. أي شارع بإمكانه أن يتحوّل إلى ملعب.

التنس لعبة أولاد الأثرياء الذين يولدون ويجدون الملعب في باحة المنزل

كرة القدم لعبة الفقراء: عارضة خشبية وكرة.. ويتحوّل المكان إلى ملعب.

التنس لعبة أنانية، الفريق: أنت.. وحدك!

في كرة القدم لا بد من الفرقة والرفقة.

في التنس، أحب الأسباني نادال، الذي أتى من الطبقة المتوسطة

ليسيطر على كل بطولات هذه اللعبة التي لا يتفوّق فيها إلا أبناء

الطبقة الأرستقراطية، أحبه لأسباب فنيّة.. وطبقيّة!

[ضربة ركنية]

من كتابي «وصايا»:

الحياة ليست مباراة كرة تنس.. تلعبها وحدك.

الحياة أشبه بمباراة كرة قدم!

[بطاقة صفراء]

أطيب وألطف «الحكام» في العالم هو: حكم كرة القدم.
لا يوجد لديه عساكر وزنازين وقيود ..

ولا يوجد لديه إعلام يصفق لقراراته ويدافع عنه.. في الغالب الإعلام
سيهاجمه!

كل ما يملكه مساعدان، وثالث يقف خارج الملعب.
أسلحتهم: صافرة وراية.

إذا غضب منك لن يمنعك من اللعب مدى الحياة!
كل ما سيفعله سيشهر في وجهك بطاقة صفراء أو حمراء.
هو لا يعاقبك (لأنك خرجت عن قانون اللعبة) هو فقط يريد أن
يحمي الآخرين من رعونتك وتهورك.

[تمريرة]

هذه الجماهير تحتاج إلى شيء تنتمي إليه وتدافع عنه بحماسة:
فليكن «فريق» كرة القدم.

هذه الجماهير تحتاج إلى أن تفرغ غضبها وتوزع الشتائم واللعنات
على شئ ما: فلتكن على حكم مباراة كرة القدم.

هذه الجماهير تحتاج إلى أن تصرررررررر: فليكن بسبب «هدف» في
مباراة كرة قدم.

[هدف]

لم تكن اللحظة الأجل في حياة كريستيانو رونالدو هي تلك اللحظة التي أعتلى فيها المنصة متوجاً بلقب أفضل لاعب في العالم، ولا تلك اللحظة الإنسانية - على روعتها وجمالها - حين احتضن ابنه وهو يللم مشاعره التي سالت على شكل: دموع... كانت اللحظة الأجل والأعظم - التي أجزم أنه سيتذكرها طويلاً وبكل تفاصيلها - هي تلك اللحظة التي أقصى فيها السويد بقيادة السلطان إبراهيموفيتش... في ذلك المساء:

كان فارساً، وكان حارساً لحلم أكثر من عشرة ملايين برتغالي.. حملهم على كتفيه وأخذهم لكأس العالم، وطار بهم إلى البرازيل. جعلهم للحظات ينسون أزماتهم الاقتصادية، ويرقصون طرباً على إيقاع أهدافه.

في ذلك المساء.. كان الدون كريستيانو لاعباً بمرتبة بطل شعبي!

[ضربة جزاء]

أسوأ ما في كرة القدم أنها تعلمك الآتي:
لن تصل إلى (هدفك) إذا لم (تراوغ) بشكل جيد!

[بطاقة حمراء]

«ميسي» يلعب بكرة القدم ويكتب تاريخها.

لا!

«ميسي» يكتب كرة القدم ويلعب بتاريخها.

هكذا تستقيم العبارة.

قبل سنوات . في كلاسيكو العالم . ارتكب المدعو «بيبي» مدافع ريال مدريد خطأ ضد «ميسي» وداس - متعمداً - على يده، ومع عشقي وانحيازي لملك الأندية الذي يمثله «بيبي».. كتبت الآتي:

ميسي نعمة، والنعم لا تستحق أن تُداس..
هو مثل تفاحة «آبل» التي زرعها ستيف جوبز في حياتنا، فأثمرت كل ما هو ممتع ومفيد في عالم التقنية.

مثل نكهة شوكلاتة «جالكسي» التي تذوب في الفم .. كأنها: قُبلة.
مثل قصيدة مذهلة كتبها شاعر عبقرى.

مثل عطر خراي في يُعيد لأنفك حاسة الشم.

مثل مقطوعة موسيقية، تزرع لك ألف جناح، وتُحلّق بك في كل السماوات.

مثل رجل طيّب عاش نصف عمره في المختبر ليكتشف لنا الدواء لمرض مستعص.

كل هؤلاء، وغيرهم، الذين يصنعون لنا المتعة، وابتكرون كل ما هو مفيد للبشرية، أياً كانت ألوانهم وأديانهم وأعراقهم، هم: نعم..

تستحق الحمد والشكر لله الذي خلقهم ومنحهم مواهبهم، لتصبح حياتنا معهم أجمل.. و «ميسي» منهم، والنعمة لا تستحق أن تدعس أو تداس بالأقدام.

ولكن، ماذا تفعل؟.. إنه «بيبي»! وعلى ذمة الإنجليزي «روني» الذي وصفه في حسابه على تويتر بأنه: أحق.. ومتهورا!

[صافرة النهاية]

نلعب بكرة القدم لدقائق..

تلعب بنا كرة القدم على مدار العام !

[31 أكتوبر]

علّمه مقص الرقيب أن يكتب بمهارة لاعب كرة قدم يُجيد المراوغة
وسط غابة من دفاع الفريق الخصم، ويسجل الهدف دون أن يصاب
أو يطرد من الملعب.. الصحفي!

في مثل هذا اليوم 30 أكتوبر من عام 1960 ولد أحد أعظم لاعبي كرة القدم
في العالم الأرجنتيني دييغو أرماندو مارادونا.

11

نوفمبر / تشرين الثاني

[1 نوفمبر] الخيانة.. وخلف ظهرك روم

(1)

«أبورغال» أحد رموز الخيانة العربية، بل إن العرب صارت تنعت كل خائن بـ «أبي رغال» حتى أصبح اسمه مرادفًا للخيانة. لما قرّر أبرهة غزو الكعبة وهدمها، بحث عن دليل عربي يدلّه على طريق مكة، جميع من عرض عليهم هذا الأمر من العرب رفضوا رغم الإغراءات والتهديدات، إلى أن وصلوا إلى «أبي رغال» الذي وافق مقابل أجر معلوم ليكون دليلًا لجيوش أبرهة. ظلت العرب لقرون (منذ الجاهلية) وهي ترحم قبره لأنها تحتقر الخيانة والخونة، بل إنهم قبل الإسلام جعلوا رجم قبره جزءًا من شعائر الحج.

(2)

العبد الذي سُبّي: يُباع ويُشترى في أسواق النخاسة رغماً عن إرادته المسلوبة. الخائن: يذهب إلى أسواق النخاسة بإرادته ليعرض نفسه لمن يدفع أكثر! الخائن لم - ولن - يكون حرًا أبدًا.. حتى وإن ظن ذلك.

(3)

لا تُمذهب الخيانة.. هي طبيعة الوضع الحقير الذي يمكنك شراؤه بأي سعر.

حين تتذكر اسم «ابن العلقمي» فلا تنظر لخيانته بشكل مذهبي.. وإن فعلت، فتذكر بإنصاف اسم «سيف الدولة الحمداني» - وهو شيعي أيضاً- الذي أمضى عمره وهو يقاتل الروم وحده، ويدافع عن الأرض العربية ضد الغزاة، وعليك أن تغني مع «المتنبي»:

أَنْتَ طُولَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَازٍ
فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُفُولُ
وَسَوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ
فَعَلَى أَيِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ

والروم الذين أمام سيف الدولة، وأمامك.. تراهم، وتعرفهم بشكل جيد.

المشكلة في «الروم» الذين يقفون خلف ظهرك.. وما يزالون يقفون هناك)

(4)

أخطر الخونة: خائن تتم صناعته من الأعداء باحترافية ومهارة ويتم تصديره لك وترويج أفكاره حتى يصبح وجهًا مألوفًا - ومقبولاً لدى بعضهم- ليعمل تحت الضوء بصفات وأسماء مختلفة.

يتم تلميع «الخيانة».. تصبح: وجهة نظر، أو: رأياً آخر..
تسرب إليك عبر عبارات أنيقة ورائجة، وأحياناً عبر بعض القيم
الإنسانية!

انتهى «الخائن» التقليدي.. الآن هنالك مؤسسات ودول ومنابر
تستطيع أن تصنع لك «الخائن» الأكثر حداثة.. الخائن اللامع الأنيق
الذي يأتيك بمسميات مختلفة وأنشطة إنسانية.

الخائن التقليدي يدل الأعداء على الطريق... يفتح لهم باب القلعة...
يدلهم على الثغرة.

الخائن الحديث يصنع الطريق والثغرة... يجعلهم يتجولون داخل
القلعة كأصدقاء... ويجعلك تعتاد هذا الأمر، وتنظر إليه شخصاً له
قيمه، ومقامه، ومؤسسته المدعومة من الخارج، وصورته اللامعة
بالفلاشات المستأجرة وهو يستلم الجائزة المشبوهة!

(5)

حين تجد في كتاب التاريخ سطرًا يقول لك:
إن أول زعيم عربي خان أمته وتآمر عليها وقاتل بجانب الأعداء في
الأندلس هو «سليمان الأعرابي».. التاريخ هنا لا يحفظ اسمه، هو
فقط يبصق عليه بشكل سريع!

التاريخ يذهلك ويفجعك بحكايات الخونة على عظمة آبائهم
وأجدادهم:

أحد أحفاد الفاتح العظيم «صلاح الدين الأيوبي» سلّم القدس بكل حقارة للصليبيين في صفقة قذرة، فقط لينصروه في حروبه الداخلية على عمه!

(6)

لا أصل للخيانة، لا عرق للخيانة، لا لون للخيانة:
حين تُصاب بالفثيان من أسماء الخونة الذي يشبهون أسماءنا ولهم نفس ملامحنا، تذكّر أسماء الغرباء الذين وقفوا بجانبنا:
- «جورج غالوي» سياسي بريطاني أمضى عمره يدافع عن القضية الفلسطينية. حاول - مع آخرين - كسر الحصار وتم منعه وضربه..
اسمه «جورج» والعسكر الذين منعوه أسماءهم: محمد وأحمد وعلي وعبد السلام!...

- تذكّر أيضًا اسم «راشيل كوري» شابة أمريكية ماتت تحت عجلات جرافة إسرائيلية وهي تحاول منعها من هدم بيت فلسطيني.

(7)

فخر الدين باشا القائد العثماني العظيم، وآخر حاكم عثماني في حصار المدينة المنورة: يقف بثبات داخل مسجد رسول الله.. ويحرّض جنده لمواصلة القتال.
يتواصل حصاره هو وجنده..

الدولة العثمانية تتساقط أطرافها بضربات الحلفاء، وتوقع معاهدات

الاستسلام، ويستمر حصار المدينة..

ينفذ الطعام..

ينفذ الماء..

تتفشى الأمراض بين جنده، وتنفذ الأدوية، ويقل العتاد.

تقطع عنه الإمدادات، وتفجّر سكة حديد الحجاز.

يقف وحده مع قوته الصغيرة وسط صحراء من الأعداء دون أي سند.

يأتيه التلغراف من اسطنبول يدعو للاستسلام.. يتجاهله.

يرسل له قائده يطلب إليه الاستسلام، يرفض.. ويبحث عن أي حجة،

ويقول في رسالة الرد: هذه ليست أي مدينة حتى أنسحب منها أو

أستسلم.. إنها مدينة رسول الله. لا بد أن يأتيني الأمر من الخليفة

نفسه!

يأتيه أمر الخليفة بجواب من وزير العدل يأمره بتطبيق معاهدة

موندروس وتسليم المدينة للحلفاء.. ويرفض، قائلاً:

«إن الخليفة يعد الآن أسيراً في يد الحلفاء، لذا فلا توجد له إرادة

حرة».. ويرفض أن يستسلم، مُعرضاً نفسه للمحاكمة والعزل وتهمة

خيانة الأوامر العسكرية... (سيسجل التاريخ أنها أظهر وأعظم

وأشرف خيانة).

يقف أمام قبر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ويقول بلغة عربية

مُكسّرة وعزيمة صلبة متماسكة:

«والله لن أخونك يا رسول الله».

يتساقط جنده وضباطه، وقبلها دولته، وكل شيء حوله يقف ضده...

قال للقلّة التي بقيت معه: اخرجوا أنتم، وأنا سأبقى هنا... لا يدرون

ما الحيلة مع قائدهم!.. أحاط من تبقى منهم بفراشه وحملوه قسرًا وهم يبكون ليخرجوه إلى الخيمة المعدة له من جانب «حلفاء» الحلفاء. التاريخ الذي يبصق على وجوه الخونة.. ينحني ليقبّل رأس فخر الدين باشا.

(8)

انزع ملابسك واستبدلها بملابس جديدة ومختلفة عمّا اعتدناه..
أنت: حر.
انزع جلدك.. أنت: خائن!

في مثل هذا اليوم 1 نوفمبر سنة 1922 انتهت الدولة العثمانية بصفتها السياسية، وأزيلت بوصفها دولة قائمة بحكم القانون بعد توقيعها على معاهدة لوزان، وزالت نهائيًا عند قيام الجمهورية التركية!

[2 نوفمبر]

لا شيء أقسى من الشعور بالخيانة:
كانك تشرب دمك.. في كأس صنّعت من عظامك!

[3 نوفمبر]

تردد دائماً: «خانني التعبير»..
ألم تفكر. ولو مرة واحدة. لعلك أنت من خنته!؟

[4 نوفمبر] غسيل مخ!

حين تسمع عبارة «غسيل مخ» هل تظن أن هنالك مسحوقاً يجعل مخك نظيفاً؟!

أو إن «غسيل المخ» تعني تنظيف - ومسح - ما فيه من أفكار سابقة لتحل بدلاً منها فكرة جديدة تفضلها الجهة التي قامت بغسله؟ هذا يعني أن الجهة التي قامت بغسل مخك ترى أن كل الأفكار المزروعة فيه قذرة.. ولا بد من غسله!
لو كانت لديك (أفكار سابقة) حقيقية وصلبة ألا تُقاتل هذه الأفكار، وتقاوم عملية الغسل؟!

أظن أن جهة ما / مؤسسة ما / جماعة ما .. تقبض على مخك - الفارغ أصلاً - لتملاه بما تريد من أفكار.. هكذا يكون غسيل المخ. إذاً: مخك غُسلَ منذ سنوات وأنت لا تعلم..

تحتاج إلى «غسله» وتنظيفه من عمليات الغسل السابقة! غسيل المخ الجيد - بالنسبة إليّ وإليك - هو أن تراجع كل ما زُرِعَ في رؤوسنا منذ سنوات..

كل ما آمنّا بأنه ثابت لا يتزعزع...

كل علاقاتنا مع الأشياء والأفكار، لماذا نقبل ما نقبله دون مراجعة؟.. لماذا نرفض ما نرفضه دون مراجعة؟.. لماذا لا ننظر للمشهد - أي مشهد - من عدة زوايا؟ لماذا نركز فقط على الزاوية التي سُلِّطَ

الضوء عليها بتعمد وننسى بقية الزوايا المعتمة! مخي، ومخك، اختطف منذ سنوات عبر وسائل عديدة ومتعددة.. عبر رأي واحد، وفتوى واحدة، وفكرة واحدة هي الصواب وما عداها هو الخطأ...

تعال لننفض الغبار عن الرف الأعلى في مكتبة الجسد.
تعال لنؤثث رؤوسنا من جديد.

كل هذا القبح والتخلف والبشاعة والجهل حولنا تدل على أننا نحتاج إلى «غسيل مخ» مختلف.

قبل هذا: عليك أن تستعيد مخك المخطوف!

[5 نوفمبر]

غسيل المعدة: يعني إصابتك بالتسمم.

غسيل الأموال: يعني ارتكاب جريمة.

غسيل المخ: يعني اختطاف العقل.

غسل بعض الأشياء لا يعني نظافتها!

[6 نوفمبر]

كل إعلانات مساحيق الغسيل تقول إنها: تجعل الملابس البيضاء أكثر بياضاً...

ما هذه العنصرية؟..

ألا يوجد إعلان عن مسحوق يجعل الملابس السوداء أكثر سواداً؟!

[7 نوفمبر]

بعض الدول لها من السياسات ما يُذكرك بمحلات غسيل السيارات: تجعل السيارة/ الدولة تلمع من الخارج.. ولكنها لا تُصلح العطل الموجود في الداخل!

[8 نوفمبر]

في مثل هذا اليوم 8 نوفمبر 1934 اعتمدت سويسرا قانون السرية المصرفية، إذ يجري التعامل مع الحساب على أساس رقمي دون معرفة اسم صاحب الحساب إلا من قبل مدير المصرف الذي يفتح شخصياً الحساب ويعطيه رقماً معيناً مع إبقاء اسم صاحبه سرياً. إلا أن الضغوط الأمريكية على سويسرا من أجل مقاومة عمليات غسل الأموال وملاحقة أموال المخدرات والجرائم الاقتصادية المختلفة أدت إلى إجبار سويسرا على توقيف العمل بهذا النظام.

[9 نوفمبر] من الذي دفع للزّمار؟!

(1)

بدأ الأمر بهذا الشكل: كانت الكاتبة الإنجليزية فرانسيس ستونر سوندرز تجمع المادة الوثائقية لفيلمها التسجيلي عن الأسباب الكامنة وراء نجاح مدرسة نيويورك في الفن، وكانت بذرة البحث: مقالة تزعم أن السبب وكالة المخابرات المركزية... كيف؟.. ما علاقة جهاز الاستخبارات برواج مدرسة فنية وسقوط المدارس الأخرى؟.. أسئلة جعلت سوندرز تتجاوز ببحثها ما يحتاج إليه فيلمها التسجيلي من مادة، ليتواصل البحث والتنقيب في مئات وآلاف المواد الأرشيفية، لتقدم بعد ثلاث سنوات من البحث والحوارات كتابها المثير للجدل «من الذي دفع للزّمار» لتكتشف - وتكشف للعالم - الآتي:

- في الوقت الذي كان يعيش فيه العالم، ما اتفق على تسميته بـ: الحرب الباردة، كانت الـ CIA تشن حربها الساخنة ثقافياً وفنياً وعلى كل الجبهات.

- كانت تسيطر على «عقل العالم» وذائقته ومزاجه، وتحتله عبر

ترسانة ضخمة من الأسلحة الفنية والثقافية والإعلامية: مجلات، وصحف، وأفلام، وكتب، ومعارض، وحفلات، وجوائز، ومنح علمية، ومؤتمرات وندوات.

- كانت، عبر منظمات تحمل أسماء تتفنى بالدفاع عن حرية التعبير، تتلف الكتب وتهتمش الكتاب وتحارب الأعمال الإبداعية التي لا تتفق مع (الحلم الأمريكي) وعلى النقيض: تروج، وتلمع الأسماء، وتمنحها الجوائز، وتطبع ملايين النسخ من الأعمال التي تبشر بالسلام الأمريكي والأحلام التي لا يمكن أن تتحقق إلا حسب رؤية البيت الأبيض!

- كانت المخابرات الأمريكية، عبر منظمات مدنية ومؤسسات تابعة لها، تقف وراء تشكيل ذائقة العالم، وتحديد رأيه العام تجاه أي حدث!

- كانت تصنع «الشرير» وتقوم بترويجه عبر كل الوسائل ليصبح بعد مدة هو نموذج الشر المطلق الذي يجب على العالم أن يكرهه ويخاف منه.. ويحاربه!

- كانت... وما زالت!

(2)

في كل بلد: كان لأمريكا «زمار» لا يعزف من الألحان إلا ما يناسب السلم الموسيقي الأمريكي.

الذين يعزفون الألحان المختلفة.. هؤلاء يُتهمون بالنشاز، وتحارب أعمالهم، وتقف أبواب المسارح في وجوههم، وإن استدعى الأمر: تُكسر المزامير على رؤوسهم!

(3)

العرب يقولون (زامر الحي لا يُطرب) .. ولكن من السهل شراؤه!
في المجتمعات التي ليس فيها «زامر» موهوب، بإمكانك إحضار زامر
مغمور، وتلميعة، ودعوته لمؤتمر كبير للزمّارين، وتسليط الأضواء
عليه، ومنحه جائزة.. وبعد مدّة ستجده يعزف من الألحان ما تشتهي
أذنك، وتجد الجمهور يصفق له ويتسابقون للتصوير معه!

(4)

كتبت سابقاً أنه في مراهقتنا العمرية - وإن شئتم : في مراهقتنا
الفكرية أيضاً - كانت هوليوود أحد أكبر مصادرنا الترفيهية.. وليت
الأمر توقف عند الترفيه فقط.. بل تجاوزه حتى أصبحت هوليوود
للكثير من مراهقي العالم مصدراً مهماً من مصادر التثقيف والوعي
والمعرفة!

كان الإعلام الأمريكي - ورأس حربته هوليوود - يسابقون ساسة
البيت الأبيض في صنع الأعداء لأمريكا، وإقتناع الرأي العام بهؤلاء
الخصوم.

وكانت هوليوود تروّج للعالم النموذج الأمريكي «الخير»:
ف «السوبرمان» و «الوطواط» و «الرجل العنكبوت» هم رجال
أمريكيون.

والجندي الذي يبید كتيبة بأكملها، ولا يحدث له سوى خدش صغير على خده، هو جندي أمريكي!

.والرجل الذي يُبطل مفعول القنبلة النووية « في آخر ثانية! » وينقذ العالم من الدمار، هو جاسوس أمريكي.. أو حليف له: مثل العميل السري البريطاني (007) جيمس بوند!..

هذا لا يُلغي أن هوليوود كانت تقدم الترفيه بشكل مبهر وممتع، وأنها قدمت الكثير من الأفلام الإنسانية الرائعة.. ولكنها كانت - أيضاً - مصدراً لتغيير الحقائق وتشويهها، فحين كانت تُقدم «الأمريكي» على أنه النموذج الأفضل للإنسان الخيّر الذي يُبید مدينة بأكملها، وفي المشهد التالي: يبكي بشجن عند قبر صديقه!.. لا بد لهذا النموذج من نموذج مقابل - نقيض - هو نموذج «الشر».. وطوال سنوات طفولتنا ومراهقتنا، كان هذا النموذج موجوداً في «روسيا»!

كانت روسيا (التي تروجها هوليوود) باردة.. ليس في طقسها فحسب.. بل حتى في علاقاتها الإنسانية.. كانت مركز الشر في العالم ومملكته المتوجة.

كانت ملامح الروسي (الهوليودي) مفزعة.. ولا تدري متى يستل سكينه ليطلعنك!

كان هذا الروسي هو نفس الشخص الذي يُجهز القنبلة ليبيد العالم - لولا عناية الله - ثم متابعة المخابرات الأمريكية ورجالها الأفذاذ الذين ينقذون العالم - وكالعادة - في آخر لحظة!

انتهت الحرب الباردة.. وانشغلت هوليوود بإنقاذ العالم من الكوارث
الكونية!

والآن هي مشغولة أكثر بصنع «شهير» آخر..
شهير له ملامح «شرق أوسطية».. له نفس ملامحك بالضبط!

(5)

حفلة العزف على المزامير ما تزال مستمرة!

9 نوفمبر: اليوم العالمي للحرية. في مثل هذا اليوم 9 نوفمبر عام 1989 سقط
جدار برلين .. ليسقط بعده تاريخ كامل، وتتغير الجغرافيا!

[10 نوفمبر - 1775]

تشكيل قوات مشاة البحرية الأمريكية المعروفة باسم «المارينز».

[11 نوفمبر - 2004]

وفاة «أبو عمار» ياسر عرفات في باريس.
الأطباء قالوا إن سبب الوفاة تليف الكبد، وهناك من يقول إنه اغتيل
بالتسميم.

[12 نوفمبر - 1956]

في مثل هذا اليوم حدثت مذبحة خان يونس التي نفذها جيش الاحتلال الإسرائيلي بحق اللاجئين الفلسطينيين في مخيم خان يونس، وراح ضحيتها أكثر من 250 فلسطينياً، وبعد تسعة أيام نفذت وحدة من الجيش الإسرائيلي مجزرة وحشية أخرى راح ضحيتها نحو 275 من المدنيين في المخيم نفسه.

[13 نوفمبر - 1974]

أول مرة في تاريخ الأمم المتحدة يقف رئيس حركة تحرير وطنية على منبرها ليلقي خطاباً، وكان الخطيب زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات.

[14 نوفمبر - 2012]

إسرائيل تفتال نائب القائد العام في كتائب عز الدين القسام أحمد الجعبري، وذلك بقصف استهدف سيارته.

[15 نوفمبر - 1988]

المجلس الوطني الفلسطيني يعلن من الجزائر الاستقلال وقيام دولة فلسطين وتشكيل حكومة فلسطينية بالمنفى برئاسة ياسر عرفات.

[16 نوفمبر]

في مثل هذا اليوم من عام 1626 باع الهنود الحمر جزيرة مانهاتن مقابل قماش بقيمة 24 دولاراً!

[17 نوفمبر]

الناس: «نيجاتيف»

الحياة: معمل تحميض!

قال لي ولد مراهق وهو يحمل هاتفه الذكي: يعني إيش نيجاتيف؟!!

[18 نوفمبر]

كاميرا

- دقيقتان.. تصنعان الصورة!

أعترف لكم أنني لا أعرف هذا (المسؤول) الذي ارتكب ذلك الخطأ.. لا أقصد بشكل شخصي.. ولكنني لا أعرف حتى اسمه، و.. منذ أن ارتكب ذلك الخطأ أمام المواطن... أو بشكل أدق: منذ أن ارتكب ذلك الخطأ أمام (كاميرا الهاتف الذكي) الذي يحمله المواطن، وتم تصويره.. والبلد من أقصاها إلى أقصاها تعرفه!

انها «ثقافة الصورة»، والمشهد المُصور، حتى وإن كان لا يتجاوز دقيقتين، يفوق حضوره ثقافة المقروء حتى وإن كان بحجم مكتبة الكونغرس. الناس - كل الناس - تعرف الأشخاص الذين يقدمون نشرات الأحوال الجوية في «العربية» أو «الجزيرة»، ويحفظون ملامح وجوههم حتى وإن لم يعرفوا أسماءهم، ولكنهم لا يعرفون الكثير من العقول المهمة في بلادهم.

دقيقتان - على اليوتيوب - جعلتا كل الناس تعرف من هو هذا (المسؤول).. وكوّنتا عنه «صورة سلبية» مع أنها هي الصورة الوحيدة التي يعرفونها عنه.. إلا أنها أصبحت صورة راسخة في الذهن. نحن لا نعرف من حياة هذا الرجل، وتاريخه العلمي والعملية، سوى تلك «الدقيقتين»، ومن خلالهما تحرك الرأي العام والشعبي للهجوم عليه.

دقيقتان: استطاعتا أن تقضيا - على الأقل شعبياً - على ملايين الدقائق من حياته.. فنحن لا نعرف سوى تلك الدقيقتين. دقيقتان: جعلتاه يظهر بصورة لا يتمناها أي مسؤول في العالم. دقيقتان: صورتاه على أنه أحد أسباب الخلل في البلد.

ولكن، تعالوا لنتخيّل المشهد بشكل آخر:

يرد (المسؤول) على المواطن بكلمات من نوعية: «أبشر».. «نحن وضعنا في هذا المكان لخدمتك».. «أمرك سيدي المواطن»... تخيلوا معي أنه قال هذه الكلمات - حتى وإن كان لا يعنيه.. أو لا يفكر

بتنفيذها - ثم.. تخيلوا معي أنه انتبه إلى وجود الكاميرا في المكان، وأراد أن يضيف قليلاً من البهارات على المشهد، وقام من كرسیه ليعتذر للمواطن عن أي تقصير.. ويختم المشهد بتقبيل رأسه! هنا.. ستتحول «الدقيقتان» إلى مشهد رائع وعظيم لرجل رائع وعظيم.. وتتحول الحملة المطالبة بطرده إلى: «شكراً أيها المسؤول».. ولا نسأل لحظتها - عدا تلك الدقيقتين - ما الذي فعله بملايين الدقائق الأخرى خارج الصورة!؟ إنها «ثقافة الصورة» تُشكل الرأي العام كما تشاء.. والصورة البشعة (الحقيقية) والصورة الرائعة (المتخيلة) كلتاهما لا تتصفُ الرجل.. ولا تقولُ الحقيقةَ كاملةً.

أنا - هنا - لا أدافع عن (المسؤول)، ولا أتهمه، ولا أهجوه - ولا يوجد أسهل من المديح المجاني سوى الهجاء المجاني - ما أفعله هنا هو محاولة لقراءة المشهد وتأثيره.. والذي فعله - خلال تلك الدقيقتين - خطأ.. وخطأ كبير جداً، تعامل بفطرسة وإهمال مع مواطن يشكو من سوء الخدمات المقدمة له، وقدم صورة لتعامل بعض المسؤولين مع بعض المواطنين، مشهد جعل الناس تتساءل: هذا ما يحدث أمام الكاميرا.. إذن ما الذي يحدث خلفها!؟

ولكن كم هم أشباهه الذين لم يصل إليهم ضوء الكاميرا، وأريد ان أسألكم: كم من «المسؤولين» الذين تعج إداراتهم بالفساد وسوء الإدارة وتعج حساباتهم بالملايين التي لا يعلم - سوى الله - عن مصدرها.. ومع هذا هم بأمان ضد الحملات والضغط الشعبي..

والسبب:

نجوا من «دقيقتين» على اليوتيوب!

- صورة الصورة:

(1)

هل حقاً الصورة تساوي ألف كلمة؟

لا بد أنكم سمعتم بهذه العبارة، والصورة التي (تراها) أفضل وأكثر مصداقية لديك من كلمة (تسمعها).

ولكن: من الذي يملك الكاميرا؟..

من هذا الذي يحدد التوقيت لالتقاط (اللقطه)؟..

أي (مشهد) وأي لحظة من الحدث تلك التي تمرر لعينك، وترسخ في وعيك، وتحفظ في ذاكرتك؟

(2)

(الصورة) أصدق: لأنك تراها، (الكلمة) تشكك بها لأنك تسمعها.

أنت تثق بعينك أكثر من أذنك..

عينك تقدم لك النتيجة المريحة، أذنك تتعبك وتحرضك لتحريك

عقلك، ومراجعة ما سمعته، لتقرر مدى مصداقية الحدث. ولكن

الصورة تكذب أحياناً - مثل الكلمات - وتزيّف بالفوتوشوب!

- وماذا عن الفيلم المتحرك؟

- هذا يا صديقي يُنتج ويُخرج كما يشاء من يملك الكاميرا.

(3)

في بدايات الاحتلال الأمريكي للعراق:
كانت الكلمات تقول: القصف يتواصل على «الفلوجة».
أما الصورة فكانت تنقل هذا المشهد:
جنود مارينز يوزعون الخبز على الأطفال في «الرمادي»!
هل (الصورة) هنا تساوي ألف كلمة؟

(4)

بعض الدول: كل الصور التي تأتي منها هي صور ملونة ومبهجة.
بعض الدول: صورها ثلاثية الأبعاد.
بعض الدول: ما تزال تعيش مرحلة الأبيض والأسود!
بعض الدول: تحرّم التصوير.

(5)

الصورة المتقنة: تقول كل ما يجب أن يُقال بشكل جميل ودون ثرثرة.
تأخذك إلى الموقف وتؤثر بك بيسر وسهولة.
هي: لحظة في عمر الزمن - ثانية ضغط فيها المصوّر على الزر - لا
تعرف ما الذي حدث قبل هذه اللحظة أو بعدها، وهل يتفق أو يتناقض
تماماً مع تلك اللحظة المحبوسة في صورة؟
لا تعرف!
الذي تعرفه أن هذه (اللحظة المصورة) وجّهتك بشكل ما، وحددت

موقفك تجاه قضية ما، وحبستك أنت في تلك اللحظة، وحبست تلك اللحظة في وعيك.. وجعلتها لحظة تساوي زمناً بأكمله!

(6)

الموت يقوم بتثبيت الصورة: الأميرة ديانا ما تزال شابة وجميلة! نحن نتقدم بالعمر، و(الصورة) المخادعة لا تكبر.

(7)

عبر هوليوود استطاعت أمريكا أن تصنع وتروّج (صورة) العدو حتى انطبعت في الذاكرة الجمعية.

كانت صناعة الصورة تسبق - أحياناً - قرار السياسي.

في سنوات الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي: كان الغالبية العظمى من الجمهور - حول العالم - يرون السوفييتي/ الروسي بصورة القاتل الدموي الذي يريد أن يدمر العالم.

كانت الكاميرا - وما زالت - تقاتل بجانب البندقية..
والطلقة تُصيب واحداً، والصورة تُصيب الملايين.

(8)

السياسي - في العالم الثالث - يهتم بصورته أكثر من كلماته!

(9)

يستطيع السياسي - في أي مكان - أن يصنع ما يشاء من الصور،
ويروّجها على الجماهير بما يملكه من وسائل متعددة لترسخ في
الوعي الجمعي.

ستقع - دون وعي منك - في فخ (الصورة) الرائجة.

ستكتشف في لحظة ما أنك تدافع عنها كأنها (الصورة) الوحيدة..
والحقيقية.

الألف كلمة = لن تمحو هذه (الصورة) .. هذا إذا استطعت أن تشكك
بمصداقيتها!

(10)

انفجار يحدث في مكان ما في هذا العالم:

صورة تنقله لك كعمل بطولي لمناضل.

وصورة تنقله لك كعمل إرهابي لمجرم عديم الإنسانية.

من يملك الكاميرا الجيدة، والزاوية والتوقيت المناسب، والمنابر

الأكثر والأقوى لنشرها: سيجعلك تحدد موقفك تجاه (المناضل/

الإرهابي) ويرسخ الصورة التي يريد في ذهنك!

(11)

تقوم بعض شركات الإنتاج السينمائي بـ «تلوين» بعض أفلامها

القديمة المصورة بالأبيض والأسود لإعادة عرضها.. بعض الساسة
يظن أن «الإصلاح» يتم بهذه الطريقة: تلوين الصورة القديمة
للنظام!

في مثل هذا اليوم 18 نوفمبر 1787 في فال دواز الفرنسية ولد مخترع الكاميرا
الفرنسي لويس داجير.

[19 نوفمبر]

صاحبي ليس لديه ألبوم صور:

قال له «شيخه» إن الصور حرام، فمزق كل ما لديه، ولم يصور -
لاحقاً - لحظات نمو أطفاله، ومناسباته العائلية. كل الصور التي
يملكها هي بمقاس (4X6) تلك التي تجبره الدوائر الحكومية على
التقاطها لإنهاء إجراءات بعض المعاملات!

بعد سنوات، صار يرى صور «شيخه» في كل زاوية: في الصحف
والمجلات، في المواقع الإلكترونية، وعلى شاشة التلفزيون... وعلى
مختلف الأوضاع!

الشيخ في كل مكان.. وصاحبي بلا ذاكرة.

ملحوظة: في صورة الـ (4X6) الرسمية أتحداكم أن تجدوا مواطناً
يبتسم في الصورة.. كل الشعب عابس!

هل «رسمية» الصورة تطرد الفرح من الملامح؟.. هل هنالك قرار

عالي - شبه سري - اتفقت عليه الحكومات بمنع البشرية من الضحك في الأوراق الرسمية! الصورة الرسمية: متجهمة.. وكئيبة!

[20 نوفمبر]

في المجتمعات المحافظة فقط:
يمكنك أن ترى ألبوم صور كاملاً لحفل زواج، ليس فيه سوى صور الزوج!

[21 نوفمبر]

لا تصدّق ألبوم الصور!
هو - في الغالب - التاريخ المخادع لكل عائلة:
ترى لحظات الفرح والزواج.. ولا ترى لحظات الحزن والعزاء.
تُسجّل لحظات النجاح.. أما لحظات الإخفاق فلا توجد كاميرا تحتفي بها وتسجلها.
وانظر لأي صورة جماعية: الجميع يبتسمون... حتى أكثرهم حزناً!
في ألبوم الصور:
تحضر الابتسامة، وتغيب الدمعة.
تحضر التهاني، وتغيب المواساة والعزاء.
تحضر الضحكات حول المولود الجديد، وتغيب صورة الحزن عند غياب أحدهم.
ألبوم الصور ليس تاريخ العائلة..
ألبوم الصور: هو تاريخ العائلة المبهج.. فقط!

[22 نوفمبر]

في ذلك الألبوم صورة قديمة ما أزال أحفظ بها:
كنا أولاداً في حدود العاشرة من أعمارنا.
قبل أن تُلقط الصورة بلحظات نهرها شقيقها لتبتعد.
أجمل ما في الصورة: أنها (كادت) تكون فيها!

[23 نوفمبر]

في العالم العربي تحفظ (غصباً عن اللي خلفوك) ألبوم صور
الزعيم!
يقدمونه لك على هيئة سوبرمان: لا يمرض، ولا يهرم، ولا يموت..
حتى حين يموت!
الكاميرا وال فلاش والورق جميعها تتأمر ضدك لتلميع صورته: لا
تتذكر صورة واحدة له في لحظة ضعف إنسانية.
ألبوم الصور الرسمي أكثر خديعة من ألبوم الصور العائلي!

[24 نوفمبر]

في كل العالم:
الصورة الثابتة.. تحرّكت..
الصورة العادية صارت ملوّنة، والملونة أصبحت أكثر نقاوة HD
وثلاثية الأبعاد.
في العالم العربي:

الصورة ثابتة و.. أبيض وأسود!
ولن تجد في الألبوم صورة للشعب.

[25 نوفمبر]

الدولة ليست بحاجة إلى: صورة لأمعة..
هي تحتاج أكثر إلى: تصوّر ألمعي .
ما أكثر صور الماضي.. وما أقل تصورات المستقبل!
وفي زمن الإنترنت والهواتف الذكية، صار كل مواطن عربي يحمل
كاميرته/ هاتفه في جيبه.. يلتقط ما يشاء من الصور، ويصنع
(ألبوم صور) المستقبل!

[26 نوفمبر]

صديقي المصوّر: لا أريد لقطتك الميتة لشيء حي..
أعطني لقطة حيّة - حتى وإن كانت - لشيء ميت!

[27 نوفمبر]

المصور الجيّد: قنّاص ماهر.
الكاميرا: بندقية.
اللقطة: رصاصة.. تُصيب «اللحظة»، ولا تقتلها!
الصورة: قفص .

[28 نوفمبر]

ما (نسمعه) أكثر إثارة مما (نراه)..
لأن الخيال يتدخل: ويكمل الباقي لنا!

[29 نوفمبر: اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني]

في فلسطين يوجد أكبر وأعظم
منجم لـ «الأحجار» الكريمة!

اكتشفه أطفال الانتفاضة..
ومع كل جيل سيستخرج ألماس الحرية منه.

[30 نوفمبر]

فلسطين ليست «فصيلا» يقاتل «فصيلا آخر» للبحث عن السلطة وما
تجلبه من مكاسب.

فلسطين ليست ثلاثة من الساسة الذين تكرههم، يذهبون إلى مؤتمر
ليوقعوا على المزيد من التنازلات.
فلسطين: قضيتك المركزية.

فلسطين: أغنيتك الخالدة التي لا تموت مهما سيطر الإيقاع الغربي
على مقامات الغناء العربي.

فلسطين: المسجد الأقصى الذي تعادل الصلاة فيه خمسمئة صلاة..
ألم تحلم بالصلاة هناك؟ .. ألم تراودك نفسك بهذا الحلم الجميل؟

فلسطين: الذاكرة.. ومن ينسها فقد أصابه «خرف» في الشرف
والانتماء!

فلسطين: عشرات الآلاف من الشهداء.. ومئات الآلاف الذين
ينتظرون دورهم.

فلسطين: خندقنا الأول - الذي لم يسقط حتى الآن - وما يزال يقاتل
عدونا الواحد.

فلسطين: صلاة تعادل خمسمئة صلاة.

فلسطين: شجرة الزيتون.

وستظل هذه الشجرة قائمة على أرضها طالما أن هنالك عجوزاً تشعل
نار تنورها لتطعم أولادها الخبز والمقاومة.

وطالما أن هنالك امرأة تقدم ثلاثة شهداء من أولادها، وتتجب بدلاً
منهم سبعة.

وطالما أن هنالك كهلاً طاعناً بالسن والحزن، ما يزال يحتفظ بمفتاح
بيته القديم.

وطالما أن هنالك رجلاً وامرأة يصران كل أسبوع أن يصليا الجمعة في
المسجد الأقصى.

ستظل فلسطين الثابتة.. وستذهب إسرائيل الطارئة.

12

ديسمبر / كانون الأول

[1 ديسمبر] هذه الـ «لا» الفاتنة

أشهر (لا) في تاريخ أمريكا، هذه الـ (لا) التي قالتها امرأة سوداء حرة في وجه رجل أبيض عنصري.

كانت «روزا باركس» تعيش في ذلك الزمن الذي يُكتب فيه على واجهات بعض المطاعم عبارة (يُمنع دخول السود).. وفي الحافلات العامة حين يأتي رجل أبيض ولا يجد مقعداً فارغاً.. يتجه إلى أحد السود ليقوم من مكانه ويجلس بدلاً منه!.. كانت «روزا» تشعر بالقهر من هذا المشهد.

في ليلة من ليالي ديسمبر الباردة. ليلة الخميس 1 ديسمبر. من عام 1955م وبعد ساعات من العمل المضني في محل الخياطة خرجت «روزا باركس» إلى موقف الحافلات لتتجه إلى منزلها.. صعدت إلى الحافلة التي لم تمتلئ بعد بالركاب.. جلست على أقرب كرسي.. بعد محطتين أو ثلاث امتلأت الحافلة.. أتى أحد الركاب البيض.. تلفت حوله.. لم يجد أي كرسي فارغ.. و - كالعادة - اتجه صوب امرأة سوداء - روزا باركس - وطالبها بالتهوض من مكانها ليجلس بدلاً منها.. ولحظتها قالت (لاءها) العظيمة.. صرخ جميع الركاب

البيض في وجهها وشتموها وهددوها.. قالت: لا. توقف سائق الحافلة وطالبها بالتهوض من مكانها.. قالت: لا. اتجه السائق إلى أقرب مركز شرطة، وحقق معها، وغرمت 15 دولاراً نظير تعديها على حقوق البيض!!

من هذه الـ (لا) اشتعلت لاءات السود في كل الولايات، وتضامنا مع «روزا باركس» بدأت حملة لمقاطعة كل وسائل المواصلات، واستمرت حالة الغليان والرفض، وامتدت (381) يوماً إلى أن حكمت إحدى المحاكم لـ «روزا باركس».. وتم إلغاء الكثير من الأعراف والقوانين العنصرية.

من خلال هذه الـ (لا) الرائعة الحرة تغيرت أوضاع السود. من خلال هذه الـ (لا) استطاعت هذه المرأة أن تحافظ على (مقعد) في حافلة صغيرة، لتستمر حركة الحقوق المدنية، وبعد نصف قرن يأتي ابن بشرتها السوداء ـ باراك أوباما ـ لينتزع أكبر (مقعد) في الولايات المتحدة!

في أكتوبر عام 2005م توفيت «روزا باركس» عن عمر يناهز 92 عاماً، وكرّمت بأن رقد جثمانها بأحد مباني الكونغرس في إجراء لم يحظ به سوى (30) شخصاً منذ عام 1852م، وفي حياتها مُنحت

أعلى الأوسمة.. ولكنها - قبل هذا - منحت نفسها الوسام الذي لا يستطيع أي أحد أن يمنحه لك.. سواك: وسام الحرية.. عندما قالت (لاءها) الحرية العظيمة.

[2 ديسمبر]

جميل أن تجرؤ على قول (لا) عندما يجب أن تُقال.
الأجمل أن تجرؤ على قول (نعم) عندما يجب أن تُقال، دون أن تهتم
بردة فعل جماهير ال: لا!

[3 ديسمبر]

وجود مفردة «ذكر» في خانة: نوع الجنس..
هذا ليس كافياً لكي تكون رجلاً حقيقياً!

[4 ديسمبر]

«أحلى امرأة في العالم هي أمي».
صدّقوا هذه العبارة.. حتى وإن قالها لكم رجل ماتت أمه وهي تتجبه!

[5 ديسمبر - 1978]

الاتحاد السوفياتي وأفغانستان يوقعان اتفاقية تعاون وصدقة، وهو الاتفاق الذي مهد للسوفييت غزو أفغانستان.

[6 ديسمبر - 1969]

المملكة العربية السعودية تنصّر في حرب الوديعة، وتسيطر على شرورة والوديعة.

[7 ديسمبر]

الرياضيات تقول: أقصر طريق بين نقطتين هو الخط المستقيم. والنظام الفاسد يقول لك: «الطرق الملتوية».. هي الأقصر، والأسرع، والأضمن لوصولك!

[8 ديسمبر]

لم تستطع كل الروائح العطرية المرشوشة في الممرات، ولا دخان «البخور»، أن يخفي رائحة الفساد المنبعثة من الضيف الكبير!

[9 ديسمبر: اليوم العالمي لمكافحة الفساد]

السيد «فساد» يتألق!

(1)

تراه في أغلب الشوارع العربية يمشي بكامل أناقته ووقاحته، يجر خطواته القذرة ولا تعنيه نظرات المارة المشمئزة منه. أشباهه في أماكن أخرى يعيشون في الزوايا المظلمة.. يتوارون عن الأنظار خوفاً من القانون والنظام والمؤسسات التي تطاردهم في كل زاوية... في الشوارع العربية - ما شاء الله تبارك الله - يمشي مرفوع الرأس، ويضع عينه بعينك، ويقول: هاه.. وش عندك.. ماذا تريد؟.. نعم أنا السيد «فساد»!

تقول له: يا عمي موهيك / موكذا / مش كده / مو چذي.. احترمنا، وتوارى قليلاً عن الأنظار!
يقول لك: سأفعلها أمامك.. وأعلى ما بـ خيلك اركبه!
ولأنه لا يوجد لديك أسطبل ولا خيل تركبها، تكتفي بالجلوس عند زاويتك الصحفية.. وتصرخ!

(2)

يدعى إلى كل المناسبات المهمة في المدينة.
يجلس في صدر المجلس.

يصافحه الجميع باحترام وتقدير.. مع أنهم قبل قليل كانوا يتهامون عنه بلغة مختلفة.

الغالبية - إلا من رحم ربي - تحاول أن تتقرب منه.

لا تستغرب إذا اختارته جمعية أو مؤسسة ما: شخصية العام!
لا تستغرب إذا قرأت في اليوم التالي ثلاث مقالات لثلاثة كتاب تُشيد بحكمة هذا الاختيار.

لا تستغرب إذا شاهدت في أحد شوارع المدينة لوحة إعلانية ضخمة تدعوك لحضور محاضرة مهمة بعنوان (الأمانة) يُلقبها السيّد «فساد»!

له حضور عجيب ومدهش ويدخل في كل تفاصيل الحياة..
في وجوده يتحول المشهد بأكمله إلى لوحة فاسدة..
رائحته تملأ الفضاء: حتى المصاب بالجيوب الأنفية لديه القدرة على شم الفساد المنبعث من جيوبه المنتفخة.

(3)

يأتيك أحياناً على هيئة أموال عامة: لا تدري كيف أتت.. لا تعلم إلى أين ذهبت؟

يأتيك أحياناً على هيئة «ولد» ينتمي لعائلة مهمة قرّر، في ليلة غاب فيها القمر والنزاهة والذوق، أن يصبح شاعراً.. فيشتري الكلمات والموسيقا وصوت المغني لتحقيق هذا الغرض.. وتصديره لنا كنجم مزيف.

يأتيك أحياناً على هيئة شخص لا أحد يعرفه، وبعد فترة يقرأ الجميع

اسمه ضمن قائمة الأثرياء العرب.

يأتيك أحياناً على شكل «شركة» يتم إنشاؤها خلال ليلة لتحصل في الصباح على المشروع الذي فصل خصيصاً لها.. قبل ولادتها.
يأتيك على شكل «فزعة» وواسطة تأخذ حق أحدهم لتمنحه لك.
يدخل في الطابور، ف «يلخبطه» وينظمه بفوضاه، يدخل في الذائقة فيفسدها ويفسد الفن قبلها، يدخل في الموروث والعادات فيربك العلاقات الاجتماعية والوعي، يدخل في الجمعية الخيرية فيصيبه شئ من الثراء المفاجئ، يدخل في كرة القدم، فتحصل على ركلة جزاء مشبوهة!

يأتيك وقد أطلق لحيته.. فتظنه ورعاً نقياً.

يأتيك وقد قام بحلقها وحلق شواربه.. فتظنه عصرياً متحضراً.
يلبس القبعة.. يلبس العمامة.. يأتي عاري الرأس: في كل الأحوال هو السيد «فساد» مهما اختلفت ملابسه وملامحه. كل أطباء التجميل وجراحيه وخبراء المكياج في العالم لا يمكنهم تجميل وجهه البشع.
يأتيك بألف صورة وصورة.. يتحوّل إلى ثقافة شعبية:

«لك؟ ولأ للذئب؟».. طبعاً لك، يخسا الذئب!

«إذا سرقت.. اسرق جمل».. ولا تكن من اللصوص الصفار الذين يكتفون بسرقة الدجاج فقط!

(4)

الحكمة الفاسدة تقول لكم: ارتكب الفساد فساداً

[10 ديسمبر: اليوم العالمي لحقوق الإنسان] قف!

(1)

تعرف هذه اللوحة الإرشادية المرورية (قف - stop) تلك التي تراها في الشارع؟

ما الذي يجعلك تحترمها، وتتفد أمرها، وتقف؟
هي مجرد لوحة معدنية رخيصة..

ربما: تحترم (النظام) الذي وضعها..

أو: تخاف من السلطة التي تحميها..

أو: تهاب (العقوبة) التي ستأتيك لو لم تتفد أمرها.

وهو أمر اعتدت تنفيذه، وولدت وقد وجدت الجميع قد اتفقوا عليه كنظام عام، وتعمل مثلما يفعلون.

(2)

كم (قف) موجودة في حياتك، ولا تراها، لأنها لم تكتب على لوحة معدنية؟

بعضها موجودة في ذهنك.. تشكلت فيك ونمت معك.

بعضها ورثتها كأعراف وعادات اجتماعية.

بعضها صنعتها (الأنظمة) حولك، واعتدت وجودها، وتنفيذ أوامرها.

لـ (قف) سلطة:

تجبرك على التنفيذ، وتعاقبك حين تتجاوزها.

(3)

انظر حولك، وحاول أن ترصد عشرات اللوحات التي تقول لك: قف.
نعم، لا بد أن هنالك (قف) ضرورية.. حتى لا تقع بعض الحوادث
المروية في شوارع الحياة!!...

ولكن، كم (قف) ورثتها، وكم (قف) وجدتها حولك، وكم (قف)
أمرت بها، وأصبحت تراها في كل شوارع حياتك، ونفذتها دون قناعة
منك؟

هذه (قف) صنعها السياسي العربي ورَّوجها الإعلام.
وهذه (قف) صنعها رجل الدين، ولقَّنها لك منذ الصغر حتى صارت
جزءاً من شخصيتك.

وهذه (قف) أورها لك العرف الاجتماعي، وصارت تحدد هويتك
وجغرافيا انتمائك.

وكل منهم له:

نظام وسلطة تدعوك لتتبعه وتنفذ أوامره..

وعقوبة تنتظرك إذا عبرت إلى الرصيف الآخر!

(4)

قف!

وانظر كم (قف) في حياتك عليك التخلص منها لتواصل الطريق..
وكم (قف) صنعتها الحضارة والأخلاق، أنت في حاجة إليها، لتصبح
الطريق آمنة.

ملحوظة: حاولت إحدى الأفكار العبور لرأس أحدهم، فوجدت تلك اللوحة أمامها (الطريق مغلق للصيانة)!

أول اختراع للإشارة المرورية كان بتاريخ 10 ديسمبر 1868م، إذ ركبت خارج البرلمان البريطاني بلندن، وكانت من تصميم مهندس السكك الحديدية «جون بيك نايت»، لذا كانت شديدة الشبه بالإشارات الضوئية الخاصة بالسكك الحديدية في ذلك الوقت، ولم تكن هذه الإشارة تعمل بشكل آلي، إنما كان يتحكم بها شرطي مرور يقف بجانبها طوال الوقت، وقد انفجرت بعد سنتين من تركيبها، في الثاني من يناير عام 1869م، وتسببت في قتل الشرطي الذي كان يقف بجانبها!

[11 ديسمبر]

بلادي تخبرني عن كل الأهداف الرائعة التي سنصل إليها..
ولكنها تنسى أن تدلني على الطرق الآمنة.

في كل زاوية أرى هذه اللوحات:

- منعطف خطر!

-قف.

- ممنوع التجاوز.

- الطريق مغلق للصيانة!

- ممنوع الدوران!

أحتاج إلى لوحة تقول لي: كل الدروب ممهدة أمامك.. رافقتك
السلامة.

[12 ديسمبر]

فجر يوم 12 ديسمبر 1098 في الحملة الصليبية الأولى: دخل الفرنج مدينة معرة النعمان، بعد أن نكثوا بعهدهم مع الأهالي، وعملوا مذبحة عظيمة، وأبادوا الآلاف من أهلها، وسبوا السبي الكثير. يذكر المؤرخ الفرنسي «رالف دي كين» من الأعمال الفظيعة التي حدثت ذلك اليوم: طبخ جثث البالغين في القدور، وشكّ الأولاد في أسياخ والتهامهم مشويين!

[13 ديسمبر]

طريق!

بعض البلاد مثل الطرق السريعة:
واسعة وأمنة - عدة مسارات - فيها خدمات واستراحات رائعة -
يحكمها النظام والقانون - لوحاتها واضحة وأنيقة!

وبعض البلاد مثل الطرق السريعة:

موحشة وشبه مقطوعة - مسار ضيق - استراحات مهجورة وخدمات سيئة - تحويلات مفاجئة - حُفر ومطبات - كل كيلو متر فيها يجعل المرء يشك بعدم نزاهة الشركة المنفذة.. ومع هذا، لا يحق لأحد هناك أن يتذمر من الطريق، أو يصاب بالقلق من الرحلة، أو يكتب: لا بد من إصلاح الطريق بأي طريقة!

تلك البلاد:

موعودة بالحوادث المرورية القاتلة!

[14 ديسمبر]

الطريق لا يصنع الأقدام.

الأقدام والإقدام: هما اللذان يصنعان الطريق!

[15 ديسمبر]

أول سيارة دخلت نجد عام 1915 هي مرسيدس أتت مع وكيل إمارة آل رشيد في إسطنبول رشيد الناصر، وهي هدية من الدولة العثمانية إلى الأمير سعود بن عبد العزيز آل رشيد أمير حائل. الناس اصابهم الرعب عند مشاهدتها أول مرة.. ويُقال إن السيارة توقفت في منتصف الطريق لنفاد الوقود منها!

[16 ديسمبر]

كيف تنقل فكرة «خطوط المشاة» لشارع لا يحترم إشارة المرور؟.. في بلد. ونظام. لا يحترم المشاة أصلاً؟! كل فكرة.. هي ابنة الثقافة التي أنتجتها.

[17 ديسمبر]

لا يمكنك صنع الباب الأتوماتيكي الحديث عبر أدوات النجار التقليدي.. كل جديد يحتاج إلى أدوات جديدة وعقل يجيد التعامل معها.

[18 ديسمبر]

كل «معرفة» حصلت عليها ولم تؤدبك، وتهذب روحك: هي «جهل» إضافي!

[19 ديسمبر]

عمال المناجم يضعون على رؤوسهم خوذة في مقدمتها ضوء.. تحميهم، وتضيء لهم الطريق. الوعي والمعرفة: هما الخوذة والضوء.

[20 ديسمبر]

في الكتابة:

ترى ما لا يرى..
وتسمع ما لا يسمع..
وتلمس الأشياء قبل أن تتشكل!
في القراءة:
تمتلك الأذن والعين والأصابع!

[21 ديسمبر]

تسلل - في غفلة منك - إليك!
المحبون حولك يصنعون ضباباً من ندى محبتهم.. يجعلك لا تراك
بشكل جيد.

لا تنتقِ من الكلمات ما تشتهي:
ليس كل ما يقوله أحبابك عنك صادقاً..
وليس كل ما يقوله خصومك فيك كاذباً!

[22 ديسمبر]

لا تتباهَ بثقافتك!
لا يهمني عدد الكتب التي قرأتها.. دعني أرها فيما تقوله وتفعله.

[23 ديسمبر]

قل، وأفعل ما تراه صواباً، ولا تهتم.
كل فكرة، أو رأي، أو فعل تفعله مهما كان نبيلاً وعظيماً ستجد من
يختلف معك فيه.

لا تتردد..

الأنبياء - أعظم الخلق - وجدوا من يختلف معهم إلى درجة التفكير
بقتلهم!

[24 ديسمبر]

الناس ترى «ضوءك» الباهر، ولكنهم
لا يشعرون بـ «الحريق» الذي أنتجه!

[25 ديسمبر]

الإنسان أكثر المخلوقات حماقة:
منذ آلاف السنين وهو يكرر نفس الأخطاء،
ويُصدّق نفس الأشخاص،
وتُبتكر له نفس الحيل التي تخدعه كل مرة!

[26 ديسمبر]

أكاد أقتل نفسي لـ «كتابة» هذه العبارة...
وأنت تكاد تقتلني - مرة ثانية - في طريقة «قراءتك» لها!

[27 ديسمبر - 2008]

إسرائيل تبدأ بعملية عسكرية أسمتها «الرصاص المصبوب» بعد أن
شنت قواتها الجوية غارات مفاجئة على قطاع غزة أدت إلى سقوط
ما لا يقل عن 1315 قتيلاً و5340 جريحاً.

[28 ديسمبر]

تذهلني تفاصيل الحكايات: نفس الخيانات، ونفس الذل، ونفس الممالك التي يتسبّد المشهد فيها بعض الجوّاري والغلمان. ونفس الأقلام العربية التي كانت تكتب خطابات «هولاكو» لإمارات المشرق لتستسلم له.. هي نفس الأقلام التي تكتب بلغة الغزاة الجدد. وراية حفيد «صلاح الدين الأيوبي» - التي وقفت بجانب جيوش التتار - ما أكثر الرايات التي تشبهها... ولا يلمع في الأفق «قطز»، و«العز بن عبد السلام» مشغول ببرنامجه التلفزيوني!

كل شئ حدث سابقاً، ويحدث الآن، وسيحدث لاحقاً، يقول لك: إن «الحرب» لم - ولن - تتوقف.. فقط كن مستعداً لها.. هي قادمة إليك لا محالة!

الأمم الضعيفة وحدها تكرر نفس الكلمات في كتب التاريخ.. تختلف اللغة والصياغة وشكل العبارة، والمعنى واحد: سلام بطعم الإستسلام، وشعارات تبرر الهروب، ومعاهدات تشبه التنازلات... أحد أمراء ذلك الزمان ذهب لهولاكو بعد أن فرغ للتو من ذبح مليون مسلم في بغداد وقال له: «هلا شرفنت رأس عبدك يا سيدي بأن تضع قدمك الشريفة عليه»؟!

على إيقاع موشح أندلسي تلمع أمامك نوافير قصر الحمراء في غرناطة، وتساءل نفسك: أين كانت هذه الأمة - من طنجة إلى ظفار - عند سقوط الأندلس؟

أين كان المسلمون الذين يملؤون الأرض من أقصى الشرق إلى
أطراف الغرب؟

تتابع نشرة الأخبار: تفهم ما فاتك فهمه بالأمس البعيد، وترى
ما سيحدث في الغد القريب، وتعرف لماذا تضرب غزة، وتفتصب
الحرائر في الشام، وتضيع بغداد، وتباد حلب والأمة تتفرج؟
لا جديد.. كل هذا حدث بالأمس، ويتكرر اليوم، وسيكرر غداً
للمتفرجين!

[29 ديسمبر]

يتكئ على عصا معدنية.

يقف ليلتقط أنفاسه عند كل عتبة.

في أذنه اليمنى عُلِقَ «شئ» صغير، لا أدري هل هي سماعة أو شريحة
إلكترونية!

في يده اليسرى كيس أدوية.. ويفكر بأخر سلالة أنتجتها
«الفايروسات» التي ستقضي عليه ذات يوم.

في منتصف الدرج - حيث التقينا - أخرج محفظته، ويبيدين
مرتعتين أخذ يقلبها وهو يحملها هي والكيس والمصا.. سقطت
منه: تبعثرت منها حياته على شكل أرقام سرية وعلمية، وبطاقات
بنكية/ صحية/ هاتفية، وثلاثة كروت لعيادات نفسية مختلفة...
انحنيت لأحملها، وأعيدها إليه.

أول شئ سقطت عيني عليه بطاقة هويته.. قلت: أنت؟
قال: نعم... أنا «العالم»!!

[30 ديسمبر]

فجر يوم السبت 30 ديسمبر 2006 في العاشر من ذي الحجة الموافق أول أيام عيد الأضحى: نفذ حكم الإعدام بالرئيس العراقي صدام حسين في بغداد، وجرى الإعدام في مقر الشعبة الخامسة في منطقة الكاظمية.

[31 ديسمبر]

توأم: خمس دقائق.. وعقل!

(أ)

خرجا من نفس البطن.

الفارق بينهما: خمس دقائق.

شربا نفس الحليب.

عاشا في نفس الحيّ: يتنفسان نفس الأكسجين، ويلفحهما نفس

الهواء.

لعبا الكرة مع نفس الفريق.

دخلا مدرسة واحدة، وقرأ نفس الكتب.

توارثا نفس العادات والأعراف السائدة.

لم يُفَرِّق والدهما بينهما في أي شئ: في توقيت واحد يعطيها نفس المصروف، ويشترى لهما نفس الملابس وبنفس الكمية. لهما نفس الملامح، ويحدث أن أحدهما يلبس ملابس توأمه وهو يظن أنها ملابسها.

ومع كل هذا: هما مختلفان تماماً!

ما الذي حدث؟... لماذا أصبح أحدهما أقرب إلى الخير، والآخر أقرب إلى الشر؟

الأول: لطيف ومتسامح، والآخر: أقرب إلى الهمجية والعنف.

هل الفرق يكمن في (الدقائق الخمس)؟

هل الاختلاف بدأ بإحساس الأول بتمييز الخروج المبكر إلى العالم، وبشعور الفقد والوحشة - ولو لخمس دقائق - عند الآخر؟... أو هي بالامتيازات التي منحتها هذه الدقائق الخمس للأول حيث أنه منذ طفولته - في مجتمعه التقليدي - يُنادى والده باسمه (أبو فلان).. شعوره بأنه الأكبر وما يمنحه هذا التقدم في العمر - ولو لخمس دقائق - من هيبة ومسؤوليات.

حسناً.. سنلغي الدقائق الخمس، ونتحدث عن توأم سيامي: وُلد بجسد واحد له نفس الأعضاء ونفس القلب ولكنه برأسين مختلفين.. يختلف هذان الرأسان - أحياناً - على لون القميص الذي يجب أن يغطي هذا الجسد الواحد!

ما أسباب الاختلاف هنا؟... هل هو (العقل)؟

رأسان، في جسد واحد، كلاهما: عاشا بنفس الظروف، واستقبلا نفس الأشياء.. ولكن، لكل منهما (عقل) مختلف.. يختلف تعامله مع

هذه الظروف، وشكل وطريقة استقباله للأشياء التي تصله.

عقل يقبل نفس الأشياء كما هي.

وعقل آخر «يفلترها» ويسألها: لماذا أتت بهذا الشكل ؟

عقل يقبل (الحقائق) كما وصلت إليه وبشكل نهائي لا يقبل الجدل

والسؤال.

وعقل يحاول أن يتأكد من حقيقة (الحقائق) النهائية!

الدقائق الخمس تقول: أنه فارق التوقيت، والتوأم السيامي يقول: أنه

فارق التفكير.

(ي)

إذا كان هذا التوأم له (عقل) وأفكار، وآراء، وتعامل مع الأشياء

حواله، تختلف عن (عقل) توأمه الذي يملك نفس الجينات، وعاش

معه بنفس الظروف، فما بال هذا المجتمع الذي أراه في كل ضجة

يملك (عقلاً) واحداً، وتحركه فكرة واحدة؟!

هذا التوأم السيامي: له جسد واحد وعقلان مختلفان..

أما هذا المجتمع فله: مليون جسد وعقل واحد!

في مثل هذا اليوم 31 ديسمبر عام 1990 أجريت أول عملية فصل توأم لتوأم سيامي سعودي، ملتصق في منطقة البطن، وأجرى العملية وزير الصحة السعودي السابق الجراح الدكتور عبدالله الربيعه.

أما بعد :

[روزنامه متخيلة]
تاريخ المستقبل!

telegram @ktabpdf

2037 / 9 / 11

القنوات العالمية تتابع باهتمام نقل آخر شحنة نفط تخرج من الخليج.
 بث مباشر منذ الصباح يصوّر الناقل الضخمة في رحلتها الأخيرة
 وهي تتسحب بهدوء.. ومن دون وداع.
 الخبراء والمحللون يتحدثون عن مستقبل الطاقة «لم يتحدثوا أبداً عن
 مستقبل المنطقة والبشر الذين يعيشون فيها».

أتابع الخبر عبر التلفاز الصغير، الذي يستمد طاقته من الشرائح
 الشمسية، التي عكفت على شرائها في السنوات الثلاث الأخيرة، بعد
 أن أصبحت الكهرباء تنقطع كثيراً، حتى صارت لا تعمل سوى ساعتين
 في اليوم الواحد، قبل أن تنقطع تماماً خلال العام الماضي.

2037 / 9 / 17

إحدى الإذاعات - لا أكاد أسمعها.. ولا أعرف مصدرها - تتحدث
 عن فراغ مخيف في المدن الكبرى، وعن هجرة جماعية. تذكرت رواية
 «مدن الملح» لعبد الرحمن منيف، التي قرأتها في شبابي. أرى مدن
 الملح تذوب.. أرى ما يحدث أمامي كأنه فيلم سينمائي مرعب لم
 يصل إليه خيال مخرج عبقرى.

22 / 9 / 2037م

الكثير من العائلات المعروفة بثرائها استوطنت في السنوات الأخيرة أوروبا.

بعض منهم - ولأسباب ثقافية - هاجر إلى تركيا واستقر هناك. الأقل ثراءً، والأكثر محافظة، اختاروا الإقامة بمصر. البسطاء من الناس يحاولون استخدام أدوات جديدة لم يعتادوها ، ويبتكرون طرق عيش مختلفة.

25 / 9 / 2037م

اليوم يصادف يوم مولدي.. اليوم أكملت الـ 67 أو الـ 66.. أو الـ 68.. لا أعرف بالضبط، ولا أريد أن أعرف.. هي مجرد أرقام. مضى عمري وجميع الأرقام الكبرى تمارس خديعتها معي.. أنا ضحية الأرقام المزيفة والأرقام غير الدقيقة. قالوا لنا إنه سينضب بعد 100 سنة!

30 / 9 / 2037م

الشائعات تتحدث عن: صفقة لبيع إحدى الإمارات الصغيرة - ذات السواحل الجميلة والبنية التحتية الجيدة - بثلاثة مليارات دولار لرجل أعمال فرنسي بفرض تحويلها لمنتجع شتوي ضخمة.

2037 /10/2م

سيارتي التي لم تعمل منذ عامين، مثلها مثل كل السيارات في المدينة،
صارت المكان المفضل لإقامة قطط الشوارع التي أنهكها التعب من
البحث عن أي شيء تأكله في براميل القمامة الفارغة.
القطط توحشت.. والبشر كذلك.

2037 /10 /7م

لأنه، في الأصل، لم تتشكل هوية وطنية جامعة..
عادت الهويات الصفرى إلى الواجهة: العشيرة/ القبيلة/ المذهب/
المنطقة..
الكثير من أبناء العمومة والأقارب تركوا مدنهم الكبيرة وعادوا إلى
هنا - حيث التجمع الأكبر للقبيلة - يبحثون عن الأمن.
صارت الفيلا: خيمة الإسمنت.
صار الشارع: مضاربنا التي لا ينبت فيها الكلاً.
صارت الحارة: العشيرة.
من ليست له قبيلة صار يبحث عن قبيلة تأويه.
بعضهم صار يتفقد عدد الرصاص الموجود في مخزنه القديم.

13 / 10 / 2037م

بيوتنا: أفران في الصيف.. ثلاجات ضخمة في الشتاء.

البارحة.. حلمت بأنني حصلت على جهاز تكييف يعمل دون كهرباء،

وقرص «بنادول»!

كان حلماً رائعاً.. له لذة حلم جنسي يزور منام فتى مراهق.

14 / 10 / 2037م

لم يعد لها قيمة.. صارت مجرد أوراق.

البارحة، جمعت كل ما أملكه من أوراق نقدية وأشعلت النار بها

لأصنع لنفسي كوباً من الشاي.

17 / 10 / 2037م

هذا الصباح أصابتنى حالة من الضحك الهستيري.. انتهت بالبكاء.

السبب، أنني وأنا أبحث في المخزن عن بندقيتي العتيقة التي أصابها

الصدأ، سقطت في يدي قصاصة قديمة لصحيفة محلية، مانشيتها

الرئيسي يتحدث عن «التنمية والمستقبل».

27 / 10 / 2037م

في أحد البيوت المجاورة: أسمع صراخاً هستيرياً لامرأة.. يصاحبه

بكاء طفل.

اليوم صحونا في مدينتنا الصغيرة على خير مفرع:

الماء.. انقطع.

«2»

يقول مراسل الـ BBC في نهاية تقريره:

هذا هو محتوى الأوراق المكتوبة على شكل يوميات، التي وجدتھا بجانب جثة رجل يحتمل أنه في منتصف الستينيات من عمره، في تلك المدينة المهجورة على أطراف ما يُسمى سابقاً «الخليج العربي».

[مقدمة ثالثة] هذا الكتاب لا يعينك!

أنت لا تبحث عن «الحقيقة»..

أنت تبحث عن ما يثبت أن ما تؤمن به وترتاح إليه هو الحقيقة!

أنت لا تجادل لتصل إليها..

بل لتثبت أنك وصلت إليها.

أنت كل الأشياء التي تراكمت فيك منذ أول لحظة استطعت أن

تستخدم فيها حواسك.

أنت كل ما يُشكّل «هويتك» التي تتباهى بها وترأها الأعلى: لونك،

ولفتك، وتاريخك العائلي، وطائفتك، ومذهبك، وأصلك، ومنطقتك..

ومنطقتك!

ما تراه «هوية».. ألم تفكر ولو مرة واحدة أنه «قيد»؟!

بإمكانك أن تنزع قميصك.. لكن لا يمكنك أن تنزع جلدك الذي

ولدت به!

أنت... من أنت؟!

أنت أحياناً: هذا الشخص الذي لا يتردد في الدخول لمناقشة أي

موضوع وهو لم يقرأ في حياته عشرة كتب على الأقل.

أنت أحياناً: هذا الشخص الذي «ينظر»، ولكنه لا «يرى» ومع هذا

تسابق الآخرين لوصف المشهد، ورواية الحدث!

أنت أحياناً: ذلك الشخص الذي تفزعه الفكرة الجديدة، أو الآلة الجديدة، وتشارك بلعنها، وتتضم للجموع التي تحاربها، فقط لأن عقلك الصغير لم يستوعبها... ولا تخجل حين تكتشف بعد سنوات أنها طبيعية وطيبة وغير ضارة، ورفضتها لأن «الأغلبية» رفضتها! أنت أحياناً: ذلك الشخص الذي تختطفه أي ضجة إعلامية جديدة، وأول من ينسى الضجة السابقة، وأسبابها؟ وإلى أين وصل الضجيج؟ أنت في الغالب: ذلك الشخص الذي يفكر الجميع بالنيابة عنه. ما أسهل اختطافك وتوجيهك.. كأنك كائن هلامي يستطيع أي فنان - بنصف موهبة - أن يُشكلك بالشكل الذي يريده.. أو الشكل المناسب للمرحلة!

لك «دور» - مثل غيرك - ودورك الكبير ألا يكون لك أي دور! أنت الذي - لوركزت قليلاً - ستكتشف أنك تتباهى بالكثير من الأشياء الغيبية.

لك عدة وجوه، ولا يوجد بينها وجه يشبهك! أنت أحياناً: ذلك الشخص الذي يستخدم أحدث ما أنتجته التكنولوجيا من أدوات، وتستطيع بمهارة جهلك أن تحوّلها من أدوات لإنتاج الوعي والمعرفة إلى أدوات منتجة ومروجة للتخلف! ظاهرك البرّاق لا يشبه باطنك المتوحش.

علاقتك بـ «الحضارة» مثل علاقتك بزوجتك! تنظر بريية للعالم، وتشعر أنه من أقصاه إلى أقصاه يتأمر عليك. تردد الكثير من «الكلمات» التي تُفصّل معانيها على مقاسك وحدك، وتوزع على خصومك الكثير من «التهم» التي لا تعرف معناها.

تدّعي أنك تحترم الإنسان، وتقصد «الإنسان» الذي يشبهك تماماً..
والبقيّة لهم مسميات أخرى!
أنت دائماً: ذلك العبد الذي اشتراه السيّد / الجهل من سوق
التخلف..

من الذي خدعك، وأوهمك بأنك حر، وألف شئ يستعبدك؟!
هل استفزك هذا الكتاب؟.. حسناً، لا تغضب..
اقنع نفسك - كمادتك - أن الحديث يدور حول شخص آخر!

مكتبة الرمحي أحمد

telegram @ktabpdf

للتواصل مع الكاتب :



alrotayyan



alrotayyan



alrotayyan



ALRotayyan



alrotayyan@gmail.com



www.alrotayyan.com

- كاتب سعودي

- كتب المقالة والقصة القصيرة والقصيدة العامية في عدة صحف ومطبوعات عربية، ومقالته الأسبوعية تنشر في أكثر من خمس صحف في السعودية ومصر وقطر والإمارات والكويت والسودان والكثير من المواقع والصحف الإلكترونية.

- تم اختياره في استفتاء صحفي أكثر الكُتاب جماهيرية في الخليج العربي.

- فاز نصح «هليل» بالجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة.

- تم اختياره في عدة استفتاءات جماهيرية من الأسماء الأكثر تأثيراً في السعودية.

- حصلت روايته «ما تبقى من أوراق محمد الوطيان» على جائزة رواية العام ٢٠١٠م.

- كتبه من أكثر الكتب انتشاراً وتطبع عشرات الطبعات، وكتابه «وصايا» طبع منه خلال عامين أكثر من ٤٠ طبعة.

- ورد اسمه ضمن قائمة مجلة «فوريس» العالمية لأكثر ١٠٠ شخصية حضوراً وتأثيراً في العالم العربي ٢٠١١م.

- تم تكريمه من مؤتمر غراس عام ٢٠١١م.

- في الأعوام: ٢٠١٤م و ٢٠١٥م و ٢٠١٦م اختاره المرصد السعودي للإعلام في المركز الأول ضمن قائمة الكتاب الأقوى تأثيراً.

- حاز عام ٢٠١٥م على جائزة التميز العربي من ملتقى الإعلام العربي في الكويت.

- عمل كمستشار إعلامي في السعودية وقطر.

- له برنامج في اليوتيوب بعنوان: ضوء .

- يتابعه عبر تويتر أكثر من ٢ مليون متابع.

من مؤلفاته:

- كتاب «كتاب» ٢٠٠٨م.

- رواية «ما تبقى من أوراق محمد الوطيان» ٢٠٠٩م.

- كتاب «محاولة ثالثة» ٢٠١١م.

- كتاب «وصايا» ٢٠١٢م.

- كتاب «أغاني العصفور الأزرق» ٢٠١٤م.

- كتاب «روزنامة» ٢٠١٧م.



محمد الرطيان



Madarek مدارك
Madarek Publishing House



مدارك للنشر

